

جذير

حياته وتناجه

تأليف الدكتور

محمد باقر عبد الغني

ترجمة الدكتورة

سعاد محمد خضر

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

جيل
حياته ونتاجه

جريد

حياته ونتاجه

د. محمد باقر عبد الغني (رحمه الله)

ترجمة

د. سعاد محمد إبراهيم خضر

الناشر

دار مكتبة الرائد العلمية

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٠٤/٧/١٥٩٤)

٩٢٨,١

عبد الغني، محمد باقر

جرير: حياته ونتاجه / محمد باقر عبد الغني؛ ترجمة سعاد
محمد خضر. - عمان: مكتبة الرائد العلمية، ٢٠٠٤.

() ص.

ر.إ: (٢٠٠٤/٧/١٥٩٤)

الواصفات: /التراجم//الادب العربي/

تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

رقم الاجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر ٢٠٠٤/٧/١٥٨٦

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبات والوثائق الوطنية ٢٠٠٤/٧/١٥٩٤

☐ جرير حياته ونتاجه

☐ الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

☐ دار مكتبة الرائد العلمية للنشر

دار مكتبة الرائد العلمية

العنوان: وسط البلد - شارع الملك حسين - مقابل مجمع الفحيص

هاتف: ٤٦٥٨٨٨٣ - تليفاكس: ٤٦٤٩٨٨٣

ص.ب: ٧١٧٧ عمان ١١١١٨ - الأردن

e-mail: alraedbookshop@index.com.jo

جميع الحقوق محفوظة للناشر

Copyright
All Rights Reserved
2004-1425

الإهداء

اقدم الترجمة الحالية للدراسة الموسومة "حياة جرير ونتاجه" الى روح
والدي الذي اشعر بالفخر وانا اقدم له ترجمة لدراسته القيمة التي
لم يمهله القدر لتقديمها للقراء.

واشكر الاستاذة الفاضلة الدكتورة سعاد محمد ابراهيم خضر لقيامها
بذلك العمل الذي سوف يعمل بدوره على ابقاء اسم والدي الدكتور
باقر عبد الغني حياً على مدى الايام.

ايمن محمد باقر عبد الغني

مقدمة المترجمة

أقدم بين يدي القارئ ترجمة امينة لواحدة من أعمق الدراسات التراثية الشاملة حول واحد من أكبر شعراء العربية في القرن الأول الهجري. ومن المعروف أن اسم " جرير " يتألق في كل دراسة تتصدى للبحث في تاريخ الشعر العربي أو تاريخ نقده، قديماً وحديثاً. ودائماً ما يقترن اسم " جرير " بأسماء شاعرين كبيرين آخرين من شعراء العربية هما " الفرزدق " و " الأخطل ".

وقد قام الدكتور " محمد باقر عبد الغني " رحمه الله، بدراسة وافية لحياة الشاعر ونتاجه، نضعها بين أيدي القارئ العربي في ترجمة امينة حاولت فيها أن أنقل بدقة ما أراد الكاتب أن يقوله عن الشاعر الكبير. وقد غطى الدكتور باقر رحمه الله في دقة علمية جميع جوانب ابداع الشاعر مروراً بدراسات النقد العربي و الغربي التي تناولت حياته ونتاجه.

واعتماداً على العديد من المصادر العربية والاجنبية، استطاع الدكتور باقر في دقة علمية أن يدرس جميع تلك الظروف و الاسباب التي جعلت من " جرير " أكبر شعراء العربية في القرن الأول الهجري. وقد برز على وجه الخصوص في ميدان الهجاء، حيث أجمع كل من تصدى لدراسته على أنه يتفوق على أقرانه ومعاصريه من الشعراء في ذلك الميدان. كما أنهم يعتبرونه حلقة وصل بين شعراء ما قبل الاسلام وما بعد الاسلام، وعلى وجه الخصوص في القرن الأول الهجري.

هذا ورغم أن الشاعر كان قد اشتهر بهجائه اللاذع، إلا أنه تناول جميع المواضيع الشعرية الأخرى التي اعتاد شعراء العصر تناولها من مديح

او غزل. بل ان شعر " النسيب " لديه يعتبر من ارق و اعذب ما قيل في هذا الموضوع في ذلك العصر.

ونقدم دراسة الدكتور " باقر عبد الغني " العلمية الوافية اضافة الى ذلك، صورة حقيقية شاملة للشاعر في اطار الحياة الاجتماعية و السياسية و الادبية للعصر، الذي كان يمورُ الاحداث الجسام في ظل حكم بني امية سواء كان ذلك في سوريا او في العراق او في أي جزء آخر من الاقطار التي تمتد اليها خيمة الخلافة الاموية.

وختاماً فانني اقدم ترجمة امينة لتلك الدراسة الهامة وفاءً مني للدكتور " باقر عبد الغني " رحمه الله، والذي كان عميداً لكلية اللغات حيث كنت اقوم بتدريس اللغة الفرنسية وآدابها، وفاءً مني لاسرته التي تربطني بها اواصر صداقة متينة.

د. سعاد محمد ابراهيم خضر

استاذة اللغة والآدب الفرنسي في كلية الآداب

جامعة بغداد، وجامعة موسكو سابقاً

ورئيسة تحرير مجلة " الثقافة " العراقية

الجزء الأول

مقدمة المؤلف

تعتبر خلافة الامام علي (رضي الله عنه)^١ بداية مرحلة جديدة في الحياة السياسية في العالم العربي. وتميزت تلك المرحلة بموقعين دمويتين بين الامام علي و معارضيه: موقعة الجمل^٢ ، وموقعة صفين^٣. وقد ادى ذلك الى ظهور تباشير نظام سياسي جديد يختلف تماماً في مبادئه ومفاهيمه عما سبقه، حيث وضع معاوية بن ابي سفيان اسسه ووطد دعائمه. وكان معاوية رجل دولة قديراً ومهراً، وحاكماً متمرساً بخبرة قديمة في السلطة استقاها من ولايته الطويلة على سوريا. هذا الى جانب كونه سليل اسرة عربية عريقة. وسوف يظل هذا النظام يتواصل مهتدياً بالمفاهيم السياسية لمن وضع اسسه، وبأرائه في شكل النظام المتوارث وبطريقته المستندة على خبرة عميقة في ممارسة السلطة.

وقد بدأ معاوية عهده باتخاذ دمشق عاصمة له، مبتعداً بذلك عن " المدينة " ، مهبط الوحي وعاصمة الخلفاء الراشدين الاربعة الكبار؛ والتي اصبحت فيما بعد مقراً للاستقرارية العربية. ودشن معاوية بذلك اول انفصام له عن النظام القديم. وجاء قراره هذا ليققل من القيمة المعنوية و المكانة الدينية لتلك المدينة التي ترتبط بها ذكريات كثيرة و مشاعر جمّة. ولم يمر ذلك الموقف مرور الكرام حيث ترك آثاراً مقلقة لدى الجماهير القبلية التي ما كادت تتقبل الدين الجديد الا بصعوبة، و لترى عاصمته الاولى تصبح مجرد مدينة ثانوية.

١ - (٥٣ - ٤١ / ٦٥٦ - ٦٦١ م)

٢ - (٥٣ / ٦٥٦ م)

٣ - (٣٦ / ٦٥٨ م)

وعلى الصعيد السياسي، فإن معاوية مؤسس الدولة الاموية كان يعمل، وهو ينقل مقر الخلافة الى دمشق، على ارساء اسس اسرته الحاكمة في مكان امين يعرفه مسبقاً ويلمس ولاء السكان لقضيته منذ موقعة صفين.

ولما كانت الفتوحات الاسلامية في الفترة السابقة الشغل الشاغل للقبائل، فإن الصراع على السلطة في ظل حكم الامام علي (رضي الله عنه)، قد دفع بهذه الجموع القبلية الى صراعات و تمزقات داخلية وهي تصطف في تحزبات سياسية خلف هذا المطالب بالسلطة او ذاك. كما وان انتصار معاوية اصبح في انظار المغلوبين كما المنتصرين؛ اصبح انتصاراً للمفهوم القبلي والأسري المتوارث للسلطة، كما تسبب في عودة الصراعات التقليدية بين القبائل في ذات الوقت. و ستظهر تلك الصراعات تحت غطاء سياسي في ظروف عدة خلال القرن الاول للهجرة.

ومع ولادة الخلافة الاموية في دمشق، اصبحت سوريا مركزاً للخلافة في ذات الوقت الذي اصبح العراق فيه مركزاً للمعارضة. في حين مارست جماهير الحجاز حياة هادئة نوعاً ما، لاتؤرقها كثيراً تلك الصراعات السياسية.

وكان هناك عاملان قبليان ساعدا على تكوين التحزب الاموي؛ اولهما، استقرار قبيلة " كلب " في سوريا قبل الاسلام وثانيهما استقرار قبيلة " تغلب " في اعالي بلاد ما بين النهرين، مما هيا الاجواء لمثل ذلك التحزب الاموي. وقد ساهمت القبيلتان في ولادة الاسرة الحاكمة الجديدة، وظلا يؤيدانها طيلة بقائها في الحكم آملين بذلك في الحصول على مساندتها لهم

٤ - انظر طه حسين، حديث العربية - القاهرة (١٩٢٥) في ثلاثة اجزاء. الجزء الاول (ص ١٨٤- ١٨٥).

٥ - بلاشير Blachere، تاريخ الادب العربي منذ البدايات وحتى القرن الخامس عشر الميلادي. باريس (١٩٥٢)، الجزء الاول ص ١٦-١٧ وكذلك ص ٣٩.

في صراعاتهما القائمة ضد التجمع القيسي عدوهما المشترك. وفي العراق، وفي البصرة على وجه الخصوص كان الجانب الاموي يتكون من قبيلة " بكر وائل " احد فروع " ربيعة " الرئيسية، ومن " الازد " وهي قبيلة من اصل يمانى^٦.

لقد دفع معاوية وبمأساوية التجمع القيسي الى صفوف المعارضة عندما ارتكز على ذلك التحالف القبلي. كما واصبحت السياسة الاموية تتصرف على اساس فعالية الحقيقة القبلية، التي ظلت تطبع الحياة الاجتماعية و السياسية طوال فترة ذلك الحكم.

و قد وجد معارضون آخرون كما الخوارج و الشيعة^٧، وجدوا في العراق مكاناً آمناً للتنظيم ومن ثم لانطلاق هجماتهم ضد ذلك النظام الجديد. وذلك في الوقت الذي لم يستطع التجمع القيسي فيه ان يحتمل مثل ذلك التحالف القبلي بين سادة دمشق واعدائه الدائمين وكان ينتظر اللحظة المناسبة للانتقام.

ولكن معاوية، قد استطاع ان يهدىء الخواطر بفضل دهائه و حكمته السياسية و كرمه؛ ومجرداً بذلك رؤس الاسرة الكبيرة من اسلحتها حيث كان يمكن لها ان تتعاطف مع جماهير القبائل، و كان يمكن ان يشكل ذلك خطراً على نظام حكمه^٨ ورغبة منه في تأمين الاستقرار لدولته واستمرارية السلطة في اسرته، فقد اصرّ على ان يعلن في حياته ان يكون ابنه " يزيد " خليفة له، ورغم ان ذلك يتعارض ومبادئ الخلافة في الاسلام. ولكن ذلك التجديد الذي ادخله معاوية اثار مشاعر عدم الرضى بين مختلف فصائل المعارضة. واعتبره المتطرفون من " الخوارج " خرقاً

٦ - المصدر السابق، ص ٤٢ .

٧ - انظر بلاشير، حول الحركتين. ص ٨- ٣٧ .

٨ - انظر الاب لامانس، حول سياسة معاوية ص ٣١١ .

جديداً لمبادئ الاسلام الاساسية. اما من كان يتوقع امكانية اختياره من الاسر الكبيرة؛ فقد رأى في تلك الخطوة اجهازاً على آمالهم في السلطة، في حين اعتبرها القيسيون استمرارية للامتيازات التي يتمتع بها التحزب المساند للسلطة.

وفي عام (٦٠ هـ / ٦٩٧م) اصبح يزيد خليفة بعد موت والده. وجاءت ثلاثة احداث كبيرة لتحريك الاضطرابات في ظل حكمه و لاثارة الحماس في الخواطر. وترجع خطورة تلك الاحداث الى مناطق حدوثها الحساسة و شخصية قادتها؛ الى جانب تلك الاجراءات القاسية جداً التي اتخذتها سلطات دمشق للاجهاز على تلك الاحداث. ويدور الحديث هنا عن انتفاضة الحسين بن علي قائداً للشيعية في العراق عام (٦١ هـ / ٦٨٠م)؛ وانتفاضة المدينة لصالح عبد الله بن الزبير عام (٦٣ هـ / ٦٨٢ م). واخيراً الحملة التأديبية التي ارسلتها دمشق ضد عبد الله بن الزبير الذي لجأ حينذاك الى مكة و جاء موت يزيد في اواخر ذلك العام، انقازاً لعبد الله بن الزبير و لانصاره في العراق و سوريا؛ كما و سمح لهم بحرية التصرف الذي تمت ترجمته في الحال في شكل معارك دامية احتوت جميع فروع قيس و التحزب الاموي الذي يتكون كما نعرف من قبائل ربيعة و حلفائها اليمانيين. وكان ذلك ايذاناً بوقوع معركة " مرج راهط " بالقرب من دمشق، وكذلك بالاضطرابات التي حدثت بالبصرة^٩.

ونتيجة لتجربة عرض القوة ذاك، فقد الامويون الحجاز و العراق واصبحا تحت إمرة الزبير بفضل انصاره في العراق.

واستمر ذلك الشرخ في السلطة المركزية في الازدياد منذ اعوام ٦٤ هـ و حتى ٧٣ هـ. وتفاقت خطورة الوضع السياسي في تلك الاثناء

٩- الاب لامانس " Lammens " حول سياسة معاوية. ص ٤٠ - ٤١ .

١٠ - المصدر السابق، ص ٤١ - ٤٢ .

بسبب الاضطرابات المتكررة التي يثيرها الخوارج في العراق و اليمامة^{١١}، الى جانب التحركات الشيعية المتكررة^{١٢}.

واخيراً وليس آخراً، الحروب الاهلية التي اندلعت في شمال العراق بين قبائل تغلب و القيسيين الذين لم ينسوا بعد هزيمتهم في " مرج رهط"، و اندفعوا ضد اعدائهم بروح انتقامية^{١٣}.

وفي عام (٧٢ هـ)، عاد العراق ليقع تحت سلطان دمشق بعد معركة جديدة واخيرة حاسمة؛ وفي السنة التالية اعلن الحجاز خضوعه بعد حملة قادها الحجاج بن يوسف الثقفي ومؤمنا بذلك تحالف آخر معاقل عبد الله بن الزبير بعد ان قتله في مكة ذاتها.

ومع ذلك ففي نهاية القرن الاول للهجرة، برز حدثان خطيران تسببا في حدوث انشقاق خطير داخل صفوف التحريين القبليين و اللذين كانا يوجهان الحياة السياسية في ذلك الوقت. وفي عام (٩٦ هـ/٧١٥ م)، اندلعت اضطرابات في خراسان، تسببت في ان تقف " تميم " ضد " قيس "؛ وكانت النتيجة اغتيال حاكم خراسان القيسي " قتيبة بن مسلم "^{١٤}. وكانت هاتان القبيلتان توجهان وحتى ذلك الوقت جنبا الى جنب المعارضة ضد الامويين وانصارهم. وبعد عدة سنوات، عرف الامويين وانصارهم بدورهم حركة معرصة ضد السلطة المركزية. فقد هرب يزيد بن المهلب، حاكم العراق السابق، هرب من السجن عام (١٠١ هـ/٧٢٠ م)، وذهب الى البصرة ليقود تمرداً ضد الامويين جامعاً حوله قبيلة " الازد " و حلفائها قبائل ربيعة. وكانت هاتان القبيلتان حتى ذلك الوقت تساندان الجانب الاموي في العراق. وقد استطاع جيش دمشق ان يسحق التمرد وبمساعدة

١١ - المصدر السابق، ص ٥٠ .

١٢ - المصدر السابق، ص ٥١ .

١٣- المصدر السابق ، ص ٥٢ .

١٤ - المصدر السابق، ص ٦٩ .

"تميم" و"قيس"، حيث نسيا مؤقتاً خلافتهما بعد مقتل حاكم خراسان، وانتهزا الفرصة لمحاربة ذلك الاتحاد القبلي عدوهما التقليدي والذي يقف حينذاك ضد السلطة^{١٥}.

لقد ساهمت تلك المواجهات الدامية بين هذه الاطراف المتعارضة في الابقاء على روحية الحرب و القلاقل التي سادت دائماً في كل وقت. وهكذا عادت ذكريات الجاهلية حاملة معها كل ما يذكر بروح الانتقام جسداً وروحاً وبالغارات المتواترة. لم يستطيع الاسلام ان يمحو كلياً تلك التقاليد. فقد اعتنق البدو الاسلام على مضض^{١٦}، لانهم وجدوا فيه تجديداً يتعارض وفكرهم المحافظ. وقد حمل الاسلام معه روح المساواة والرحمة وذلك لايتوافق وكبريائهم العنصري وعاداتهم في الثأر على طريقة العين بالعين. وزيادة على ذلك، فانهم يتمسكون باستقلال القبيلة حيث يرونها تحاول الاندماج في المجتمع الاسلامي الكبير الموحد. ومن المعلوم ان البدوي يرى في تلك الاستقلالية حرية للتصرف وضماناً اكيداً لحياته الخاصة وفي نهاية المطاف تؤمن له جميع مراتب المجد.

اذن الردة تعني الكثير. فهي تدلل لنا دونما شك على الاستقبال الذي استقبل به البدو الدين الجديد. فبعد وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم)، ظهرت الردة في الحال ضد تعاليمه وضد السلطة المركزية^{١٧} تقريباً في كل مكان وعلى وجه الخصوص في اليمامة.

ومن جهة اخرى، فان الحياة المادية لتلك الجماهير، أي حياة الصحراء الصعبة قد بقيت خلال القرن الاول الهجري، على نفس المستوى الذي كانت عليه في عصور الجاهلية.

١٥ - المصدر السابق، ص ٧٦ .

١٦ - حول موقف البدو في مواجهة الاسلام، انظر نالينو "Nallino"، ص ٨٠ .

١٧ - نفس المصدر، ص ١٨ - ١٩ .

كما كانت الثروات التي تدفقت نتيجة للفتوحات، تذهب على الاكثر الى مركز الخلافة في الحجاز مهد العالم الاسلامي خلال النصف الاول من القرن الاول الهجري ثم الى سوريا بعد نقل مقر الخلافة اليها في عهد الامويين.

ولاشك في ان تأسيس الاسرة الحاكمة الاموية كانت لها نتائجها الهامة التي اثرت في جميع ميادين حياة العرب في تلك الفترة.

وقد اثرت التغييرات السياسية بشكل كبير في الحياة الادبية للعصر^{١٨}. اذ حرصت جميع الاطراف بالطبع على ان يكون لها من يتحدث باسمها ليشرح افكارها ويدافع عن وجهات نظرها: وقام الشعراء بذلك الدور. وكان اسياد النظام الجديد في حاجة بدورهم لمثل تلك الدعاية لتبرير وجودهم السياسي ولكسب الانصار لقضيتهم. وهكذا وكما يذكر الاب لامانس بحق فقد اهتموا بان يخلقوا لهم إعلاماً، عندما جعلوا الشعراء منبراً وحكماً للرأي العام... ويكسبون قبيلة الشاعر لقضيتهم الى جانب اكتساب شعرائها الغنائيين الذين يماثلونهم في الرأي^{١٩}.

والشعراء، من جانبهم، وكما كان الحال قبل الاسلام، ارادوا ان يتكسبوا من موهبتهم. وكانوا يعرفون جيداً انه يجب من اجل ذلك الاستناد على الكبار. وفي الفترة التي تهمنا في بحثنا هذا، كانوا كما ابواق دعاية مأجورة للأسرة الحاكمة، او لنواب الملك في العراق او لاحزاب المعارضة^{٢٠}.

والشعراء وهم يقدمون موهبتهم لخدمة من في السلطة او في المعارضة؛ وجدوا انفسهم مجبرين على معالجة الامور العامة و التطورات

١٨ - انظر نالينو " Nalino " حول ذلك الموضوع. ص ٨٥٥ .

١٩ - الاب لامانس، معاوية، ص ١٥٤ .

٢٠ - بلاشير " Blachere " ، المتنبي، ص ٨ .

السياسية في اشعار النقد او المديح حيث تناقش جميع المسائل المتعلقة بالخلافة، او بحق هذه الاسرة او تلك في السلطة وبمبادئ هذا التجمع السياسي او ذاك.

وقد تطور ذلك النوع من الشعر بشكل خاص في العراق مركز المعارضة وفي سوريا مركز السلطة؛ لدى شعراء كرسوا موهبتهم الفنية بشكل رئيسي على النقد والمديح وكلاهما نوعان قادران على التعبير عن الافكار السياسية.

اما الحجاز، مركز الامبراطورية القديمة، فقد فاضت ثرواته بفضل الغنائم التي تدفقت من الفتوحات الاسلامية، واصبح مقراً للاستقرارية العربية، والتي اغدق عليها الامويون بدورهم النعم لكي تخرس اصوات المعارضة فيها وانعزل تماماً عن الحياة السياسية ومشاكلها. وسادت حياة اللهو والدعة مما ادى الى ظهور نوع جديد من الشعر، وهو الغزل. وقصيدة الغزل، تلهمها حياة الترف والسلوك المذهب تجاه المرأة، الحنان، والحياة السهلة المترفة. ولكن لايجب ان نخلط بين ذلك النوع وبين النسيب الذي كان دائماً ما يستخدم كمدخل لقصائد الهجاء والمديح لدى البدو^{٢١}.

وكان عمر بن ابي ربيعة^{٢٢}، شاعر الحب الشهير جداً في القرن الاول الهجري في الحجاز. ولد في (٣٢٢هـ/٦٤٤م) وتوفي في (١٠١هـ/٧١٩م). وقد عاش وهو يتبعد عن الحياة السياسية وعن الصراعات، حياة عاطفية مترعة، متمتعاً بكل ما يقدمه له محيطه من تسهيلات ومتعة. واشعار الحب التي طرزت مجمل شعره تقدم لنا صورة مترعة باللذة. هذا من جهة، ومن جهة اخرى، والى جانب بعض الاشعار الاخرى لمواطنيه، فهي تقدم لنا صورة

٢١ - المصدر السابق، ص ٢٢٠ .

٢٢ - حول ذلك الشاعر، انظر الجزء الاول والثالث، ١٠٤٦- ٢٧ . (مقالات لكراشكوفسكي)،

وكذلك انظر نالينو ص ٩٤- ٦ . وكذلك طه حسين ، الجزء الاول، ص ٢٨٧ .

للووسط الاجتماعي في الحجاز، الذي يتذوق ويميل الى تطوير ذلك النوع من الشعر؛ وعاكساً بذلك صورة للحياة الجديدة في ظل الامويين.

وفيما عدا شعر الغزل، والتطورات السياسية لشعراء التحزبات؛ فقد بقى الشعر في ظل الامويين دونما تطورات عميقة. واذا ما احتويناه في مجمله، فلن نجد سوى انواع القصائد الكلاسيكية كما الهجاء والبكاء على الاطلال، والتي نظمت في شكل تقليدي خاص بكل نوع من تلك الانواع^{٢٣}.

وقد تمت المحافظة على التقاليد الشعرية على وجه الخصوص في سوريا والعراق. فالشعراء الذين ولدوا في الصحراء المجاورة للبصرة او لسوريا والذين تلقوا بطبيعة ولادتهم هناك تكويناً بدوياً خالصاً، سيجدون انفسهم عندما يذهبون الى هذين المركزين الكبيرين في اتصال كذلك بتلك العناصر البدوية التي مازالت تسود اطار الحياة هناك. وان يقرأ هؤلاء الشعراء شعرهم في المريد^{٢٤}، او امام سادة دمشق فسيجدون انفسهم امام جمهور يتأثر باشعارهم، وبتفكيرهم، وباسلوبهم^{٢٥}.

وقد ساهمت احداث النصف الثاني من القرن الاول الاموي الى ظهور ثلاثة من ابرز الشعراء المعروفين الذين اكدوا تواصل التقاليد الشعرية؛ وذلك لشخصيتهم الهامة، وتمائلهم للتكوين البدوي والدور الذي لعبوه في مسيرة تلك الاحداث. وهؤلاء الشعراء هم : " الاخطل " ، " جرير " ، و " الفرزدق "؛ وثلاثتهم اهم شعراء المرحلة.

وبرز كل منهم بموهبة شعرية باهرة، واحتلوا بذلك مكانة المثقف المبرز في قبيلته. وهكذا، نجد انفسنا امام نتاج شعراء يقدمون لنا صورة ماضٍ يتواصل وهو يعود للحياة في كثير من المظاهر.

٢٣ - انظر نالينو، ص ١٩٢ - ٢١٠ - ٢١٧.

٢٤ - انظر المريد، نالينو " Nallino " ، ص ٢٠.

٢٥ - انظر نالينو " Nallino " ، الحاجري، ص ٩٣ - ٤٠.

ولسوف نساهم في تقديم صورة للعصر ونحن ندرس حياة ونتاج
واحد من اهم ممثلي تلك المرحلة، ارتبطت حياته ارتباطاً وثيقاً بتلك
الاحداث ودارت حول حياته ونتاجه معارك شعرية اكثر مما دارت حول أي
من معاصريه واستمرت حتى وفاته.

الفصل الأول

اليمامة قبيل ولادة جرير

الفصل الاول

اليمامة قبل ولادة جرير

اليمامة، هل هي واحة ام منطقة؟ - حدودها - المحافظات وشرواتها - الجغرافية الطبيعية - السكان، حياتهم وعلاقاتهم - دور اليمامة في الاحداث التاريخية - علاقات اليمامة بالبصرة.

نرى لدى الكتاب العرب-المسلمين وحتى نهاية القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، اسماً يتردد، لم يعد له اليوم تقريباً مكان على خارطة شبه الجزيرة العربية. هذا الاسم هو اليمامة^١.

وفي فترة ما قبل مجيء الرسول محمد- صلى الله عليه وسلم- فهل كان ينطبق ذلك الاسم على منطقة ما بعينها ام على بلدة صغيرة او قرية تكون المنطقة قد اخذت منها الاسم؟ ليس من السهل معرفة ذلك. فالكثير من الشواهد تدل مع ذلك، على ان هذا الاسم يعني مجرد مدينة وضواحيها^٢. ويبدو مع ذلك ان الاسم قد اصبح يُطلق على المنطقة كلها. وهذه الواحة في الواقع توجد على كتلة المرتفعات الممتدة طويلاً من عريض و التي تشمل كذلك وادي العريض. هذا الى انه مع ذلك فقد ذكرت عدة مدن كما لو كانت جزءاً من اليمامة^٣.

١ - انظر الانسيكلوبيديا الاسلامية، ١٢١٨ ، اليمامة (مقالة بقلم ج موهمان)؛ انظر

كذلك حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرآن الكريم ص ٦٠ .

٢ - في احدى الاشارات التي ذكرها الطبري (الجزء الاول) كانت اليمامة تعتبر " قرية " او مقرأً ما لاستقرار القبائل. ويسمىها البكري (الجزء الاول) ص ٢٥٤ ، بالقصبة أي المركز الرئيسي. في حين يعتبرها الالوسي " مدينة " . انظر الالوسي (الجزء الاول- ص ١٨٧).

٣ - في المسالك، ص ١٥١ ، تم ذكر اربع عشرة مدينة.

من الصعب تقديم حدود مؤكدة لتلك المنطقة في وسط شبه الجزيرة العربية. في حين أن الحدود التي يقدمها معظم الجغرافيين العرب تظل غامضة غموض لفظة الإمامة ذاتها. والاشارات التي يقدمها " ابن رسته " كانت بدورها غامضة ولا تسمح بتصوير واضح. وتحدُ البحرين تلك المنطقة من جهة الشرق، ومن الغرب يحدها شرق الحجاز ومن الشمال تحدها سهوب البصرة واخيراً، تحدها جنوباً تلك الصحراء الممتدة الى اليمن. ويعود الفضل الى " ياقوت الحموي " في اعطاء صورة واضحة عن تلك الحدود.

وفي الواقع، تغطي الإمامة تلك المنطقة الواقعة في جنوب شرقي نجد، وفي الشمال حيث مناطق حَزْن، ومروط والوشم^٤. وتقع واحة العطيفية في الوشم. وفي الوسط منها توجد " حَجَر " مركز الإمامة الرئيسي. واخيراً فان منطقة الإمامة حقيقة جغرافية، كما انها تكون الجنوب، هي والمزارع المحيطة بها.

ومناخ الإمامة قاي خاصة في الشمال، في حين يكون اكثر رطوبة الى الجنوب، حيث توجد بعض الوديان الاكثر خصوبة. ومجمل المنطقة اراض صحراوية او سهوب مزروعة بواحات النخيل الشهيرة، كما ان اراضيها مناسبة جداً لزراعة مختلف انواع الحبوب^٥.

وتعتبر تلك المنطقة صلة وصل بين بلاد ما بين النهرين وبين اليمن، هذا الى انها في الواقع طريق يربط بين الاقليمين. وانطلاقاً من هذه الحقيقة كان على الإمامة ان تلعب دوراً كبيراً في تاريخ الاسلام في بداياته.

٤ - بالنسبة لتلك الاماكن المذكورة اعلاه، انظر ياقوت الحموي، الجزء الثاني ، (ص ٢٦١) والجزء الرابع(ص ٥٠٤ و ١٠٢٦).

٥ - ابن فقيه، الصفحات ٩ ، ٢٨ . وكذلك ياقوت الحموي انظر الصفحات(٩٣٠).

ومع نهايات القرن السادس الهجري اخذت مختلف القبائل تعيش في تلك المناطق. ويعود البعض الى " ربيعة " والآخرون الى " مضر " ^٦. وفي البداية استقرت بها قبائل " حنيفة " التي تنحدر من قبائل " ربيعة " وجزء منها بدو رحل والباقيون مستقرون ويقطنون جنوب اليمامة^٧، وتركزت اهتماماتهم بالثقافة وميادينها. اما القبائل التي كانت تقطن المناطق الشمالية فهي " تميم " ^٨ احد افخاذ " مضر " والتي انقسمت الى عدة قبائل متصارعة فيما بينها كما " يربوع "، و " دارم "، و " مجاشع " ^٩. وكانت حياة البداوة والثأر والغارات والنزاعات حول مصادر المياه، كانت بطبيعة الحال تميز علاقاتها بعداوة تقليدية بين الاتحادات الكبيرة للقبائل: " تميم " من جهة و " حنيفة " من جهة اخرى^{١٠}.

٦ - تتكون قبائل " ربيعة " و " مضر " من مجموعتين تعودان لجذ مشترك، الا وهو قبيلة " نزار ". ومع ذلك فقد كانت علاقات هذين التجمعين تميزها عداوة وحشية لدرجة دفعت " ربيعة " لان تكون حليفاً دائماً للقبائل ذات الاصل اليماني، والتي كانت بدورها العدو التقليدي لقبيلة " مضر " التي اخذت تبحث لنفسها عن تحالف مع قبائل قيس. وواصل الاخوة الاعداء عداواتهما المتبادلة في عصور ما قبل الاسلام، طيلة القرن الاول للهجرة. وكانت مواقف وتصرفات هذين التجمعين تؤثر على الاحداث وتوجهها وسوف نرى مختلف الشواهد على ذلك اثناء دراستنا هذه. انظر الانسيكلوبيديا الاسلامية حول هذين التجمعين. الصفحات ٩١ - ١٨٨ ، مقالة كندرمان .

٧ - حول قبائل حنيفة؛ انظر الانسيكلوبيديا الاسلامية، الجزء الثاني، ص ٢٦٧ ، مقالة شليفر.

٨ - حول تميم، انظر نفس المصدر، الجزء الرابع، ٦٧٧، ٦٧٨ ، مقالة ليفي ديلا فيدا.

٩ - المصدر السابق، ص ٢٢ .

١٠ - وهكذا مثلاً، رأينا مجاشع ابن مرة رئيس قبائل حنيفة يرحل على رأس جيوشه في العام الحادي عشر للهجرة (٦٣٢ م) لينتقم من " تميم " جيرانه الاعداء. انظر الطبري، الجزء الاول، ص ١٩٣٧.

ويتميز سكان تلك المنطقة بدواً كانوا ام حَضَراً بمزاجهم الحاد المتمرّد^{١١}. ومنذ البداية تأكد نفورهم من السلطة، أي تلك السلطة التي وطدها الاسلام وسيدنا محمد (صلى الله عليه و سلم) غربي جزيرة العرب.

هذا الى جانب ان حركات الانفصال والردة التي برزت اثر وفاة سيدنا محمد (ص) في عام (١١هـ-٦٣٢م)، قد وجدت مؤيدين لها في تلك الاوساط. وبعد ان قضى " خالد بن الوليد " على هذه الحركة في ظل خلافة ابي بكر الصديق، استعادت المنطقة الهدوء خاصة وان معظم هذه القبائل كانت قد ذهبت لتشارك في فتوحات العراق وفارس. وقد استقر كذلك قسم كبير من افراد تلك القبائل في الكوفة والبصرة.

وفي النصف الاول من القرن الهجري الاول (القرن السابع الميلادي)، نشأت روابط متينة بين البصرة واليامة منذ السنة الخامسة عشرة للهجرة (٦٣٥ م)، اذ لا يفصلها سوى ستة عشر يوماً سيراً على الاقدام^{١٢}. ففي العراق هناك نداء الحرب الهادر الى جانب جموع المزارعين. ولنحاول ان نتفهم اذن تلك الحركات التي برزت واتسعت لتشمل جميع السكان في العراق كما في اليامة. ومن المعروف ان هناك صلات عرقية متينة بين اوساط البدو في شبه الجزيرة العربية وبين البصرة؛ حيث تعود الاصول القبلية لسكان البصرة الى نفس

١١ - حول تلك الحركة في اليامة، انظر حوليات الاسلام، انظر كاتيانى. ميلانو (١٩٠٥ - ١٩٢٦)، الجزء الحادي عشر، الصفحات (٧٣٢ - ٧٦٢)، ودراسة الاصول والمنابع.

١٢- انظر المسالك ص ١٥١، وكذلك ابن رسته ص ١٨٤ وكذلك الالوسي- الجزء الاول ص ١٩٦ .

الاصول القبلية التي يعود اليها اليمامة^{١٣}. وقد لعب هذا النوع من التقارب دوراً ملموساً في النزاعات السياسية التي دارت رحاها في البصرة والتي احييت ما نسميه "بالعصبية"^{١٤} بين سكان المنطقتين. وادى ذلك في النهاية الى تمتين و تقوية الروابط بين هؤلاء السكان.

الى جانب كل ذلك هناك دوافع اقتصادية و ثقافية كانت تدفع بسكان اليمامة نحو البصرة. وفي الواقع اصبحت البصرة مع مريدها مركزاً ثقافياً وتجارياً هاماً آنذاك. وتوافد عليها البدو الراغبون في التبضع او المتاجرة الى جانب السماح لمثقفيهم بتلاوة نتاجاتهم في المربد^{١٥}. وسنرى كيف ستصبح البصرة قبلة لشعراء الصحراء وعلى وجه الخصوص لشعراء " تميم " .

وقد ساهمت مثل تلك العلاقات القائمة مع البصرة، مركز القلائل و الوسط التقليدي للاضطرابات نظراً لخصائص سكانها، الى جانب كونها سوقاً مزدهرة يؤمها البدو... كل ذلك ساهم وبقدر كبير في الابقاء على اليمامة جزءاً من اطار الحياة البدوية، تلك الحياة التي لم تعبأ بالتغييرات التي جاء بها الاسلام وحملها الى المجتمعات العربية الاخرى..



١٣ - حول سكان البصرة في القرن الاول للهجرة، انظر: بلّلا " Pellar " ، " الجاحظ " ص ٢١ - ٢٢ ، وكذلك صالح العلي: التنظيمات الاجتماعية و الاقتصادية في البصرة. بغداد (١٩٥٣)، الجزء الاول، ص ٢٨٧-٢٩٥ . كذلك انظر الزهيري: النقائص، ص ١٦٩ - ٢٠٠ .

١٤ - لمعرفة المزيد عن ذلك التعبير، انظر ابن خلدون، ص ١١٢ .

١٥ - انظر بلّلا " Pellar " " الجاحظ " - الجزء الثاني ، ص ٢٣٤-٢٩٣ .

الفصل الثاني

جريس

الفصل الثاني

جرير

قبيلة يربع - اهمية تلك القبيلة - اسرة جرير - موقعها الاجتماعي والثقافي - مولد جرير - طفولته - يفاعته وشبابه وتكوينه - اولى المحاولات الشعرية - المصاعب المادية - جرير في بلاط الخليفة يزيد الاول - العودة الى اليمامة.

كثيراً ما تذكر قبيلة " يربع " ^١، واحدة من بين قبائل " تميم الكبيرة. وقد اشتقت اسماً لها من اسم احد الاجداد القدامى، " حنظلة اليربوعي " ^٢. وقد استقر اليربوعيون في " حَزَن "، ومارسوا حياة البداوة بكل ما تعني هذه الكلمة من معان. وتُعرف تلك المنطقة الفقيرة والغارقة في القلاقل باسم " حَزَن " اليربوعيين ^٣.

واستقر قسم من قبيلة " يربع " في البصرة منذ بدايات القرن الاول الهجري في البصرة، وذلك خارج تلك المنطقة التي عرفت بموطنهم الاصلي. وهناك الكثير من الشواهد التي تشير الى مساهماتهم في بعض الاحداث التي دارت في تلك المدينة ^٤.

١ - يربع او يربوع.

٢ - حول هذه القبيلة، انظر ابن حزم ص ٢٦٣ ، وابن دريد ص ١٣٥ .

٣ - انظر بكرى، الجزء الاول، ص ١٨٤ ، ص ٢٣٠ ؛ وكذلك انظر ياقوت الحموي، الجزء الاول ص ١٨١ .

٤ - انظر ابو عبيدة، نقائض جرير والفرزدق، ص ١١٣-٧٢٣ . ويقال على لسان ابن حبيب ان آل " رياح " فرع قبيلة " يربع " كانوا اول من ناصر عبد الله بن الزبير في البصرة عام ٨٤ هـ / ٦٨٣ م. وهناك قصة في الاغاني (الجزء الثالث)

كما ويقدم لنا تاريخ تلك القبيلة ذلك الدور الهام الذي لعبته في الحياة القبلية السياسية والفكرية للعصر. وقد كانوا قوة لا يستهان بها قبل ظهور الاسلام. فلم يتوقفوا مطلقاً عن مهاجمة مملكة الحيرة^١. ولم يستطيع ملوك الحيرة ايقافهم عند حدهم الا بعد ان خلعوا لقب " الردف " على احد رؤساء القبائل، " عتاب الهومي " وهو لقب شرف^٢. ولكن " النعمان بن المنذر " ، احد ملوك الحيرة " جاء ليسحب ذلك اللقب ويمنحه الى " دارم " وهي سلالة اخرى من تميم، حيث اصبح بعد ذلك لقباً لاحد رؤساء قبيلة " مجاشع " ^٣.

وامام تلك الالهانة اعلن اليربوعيون الحرب على الملك وعلى حلفائه. وعرفت تلك المعركة بـ " يوم الطحفة " وكثيراً ما كان يرددها واحد من كبار شعراء يربوع. وفي عصور الاسلام ساهم اليربوعيون كذلك في احداث ذات اهمية قصوى. فلم يكونوا فقط راضين عن

ص ٢٥٧ تكشف بدورها وجود اليربوعيين في هذه المدينة. انظر كذلك بللا " Pellar " ، وكذلك الجاحظ ، اللوحة الثانية. ومن ثم ارجع الى " التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة " ، د. صالح العلي ، ص ٢٩١ .

١ - حول مملكة الحيرة، انظر الانسيكلوبيديا الاسلامية، الجزء الثاني ، ص ٣٣٤ ، مقالة بوهل " Buhul " .

٢ - " الردف " ، لقب شرف ويعني من يركب في معية الملك. أي يعني ذلك الشخص الذي يركب خلف الملك على فرسه. وفي عصور ما قبل الاسلام كان ذلك الشرف يقدم للممنوح له مكانة رفيعة في حاشية الملك. وحول قيمة ذلك التعبير انظر " ليزان Lizan " ، الجزء الثاني ص ١٣-٥١ حيث الحديث حول النزاع الذي دار حول هذا اللقب.

٣ - انظر ابن دريد ص ١٤٧ ؛ وكذلك ابن حزم ص ٢١٩ حول قبيلة " مجاشع " وهي احد افخاذ قبيلة " دارم "

كونهم اوائل الذين ينتفضون من بني تميم ضد الاسلام، بل انهم قادوا ذلك التمرد. ومن جهة اخرى، قام بعض اليربوعيين كما " المأخوذ " من قبيلة الحارث، قاموا بدور فاعل ونشيط في حركات الخوارج. واخيراً قامت " رياح " احد افخاذ اليربوعيين الهامة بتبني قضية "عبد الله بن الزبير" ^٢ ودافعت عنها.

هذا وقد انجبت تلك القبيلة قبل الاسلام وبعده شخصيات مرموقة كانت عنوان شرف لتميم كلها، وليس فقط لقبيلتهم الخاصة. ونذكر على سبيل المثال لا الحصر " عتيبة بن الحارث " من " غُدانة " وكان يعرف ببطل تميم ^٣ قبل ظهور الاسلام. وبعد الاسلام، كانت تميم كلها تفخر ببطل حقيقي هو " واقع بن حسان "، حاكم خراسان ^٤. وقد رافقت تلك النشاطات السياسية و القبليّة، نشاطات شعرية لا تقل عنها اهمية. ومن مشاهير الشعراء في تلك القبيلة: " مالك بن نويرة" ^٥ واخيه " متمم " ^٦، و " سحيم بن وطيل " ^٧، و " شبل بن

١ - انظر الطبري، الجزء الثاني ص ٥١٤ ، وكذلك ابن حزم ص ٢١٣ .

٢ - المصدر السابق، ص ٤٥ .

٣ - بخصوص تلك الشخصية، انظر ابن دريد ص ١٣٨ ، وابن حزم ص ٢١٣ .

٤ - حول حاكم خراسان، انظر " ابن دريد " ص ٨٩ .

٥ - كان مالك احد رؤساء اليربوعيين الذين ثاروا ضد الاسلام وقتله خالد بن الوليد عام (٥٢١ / ٦٣٣ م) . حول حياته انظر الانسيكلوبيديا الاسلامية، الجزء الثالث ص ٢٢٤، مقالة الاب لامانس.

٦ - عاش " متمم " الى ما بعد الخليفة عمر بن الخطاب (٥٢٣/٦٤٤م) حول حياته، انظر نفس المصدر السابق، مقالة الاب لامانس، الجزء الثالث ص ٨٣٤.

٧ - شاعر وسيد اليربوعيين، وعاش معاصراً حكم علي ابن طالب (رضي الله عنه) من (٣٥ - ٤٠ هـ / ٦٥٦ - ٦٦١ م). انظر كذلك تاريخ الادب العربي (بروكلمان) الجزء الاول ، ص ٤٢ .

ورقاء^١ وكلهم يربوعيون قد احتلوا مركزاً مرموقاً في حياة قبيلتهم الثقافية.

ونحن اذ نذكر تاريخ اليربوعيين، فانما لكي ندلل بوضوح على تلك الاهمية التي يمكن ان تتمتع بها قبيلة كهذه في ذلك العصر: وذلك لمكانتها الرفيعة التي تحتلها في اتحاد قبائل تميم، ولذلك التميز الرائع الذي تمتعت به في ميادين نشاطات القبائل العربية حينذاك على وجه الخصوص.

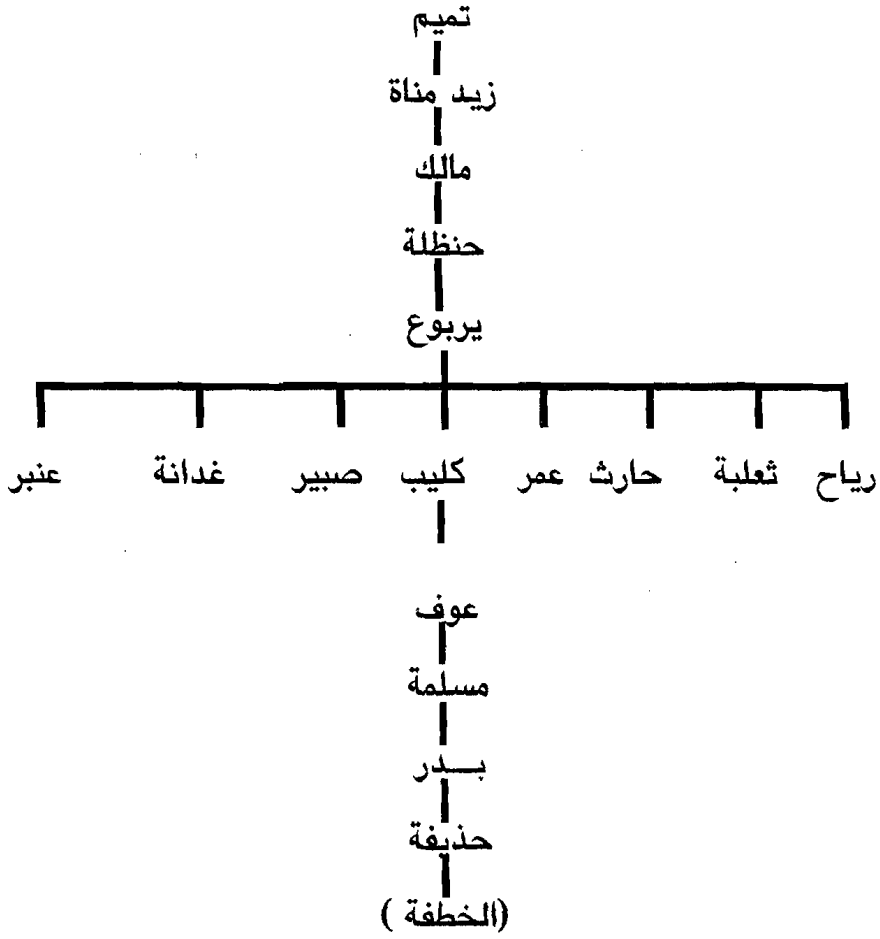
وكغيرها من القبائل، كان اليربوعيون ينقسمون الى عدة قبائل^٢، ولكن تلك الفروع كانت تصر على استقلاليتها وتؤكد له لدرجة انها تتحزب في تجمعات عدائية اذا ما نشب نزاع ما فيما بينها. ولكنها امام عدو غريب مشترك، تسودها روح التضامن كما تحتم التقاليد البدوية ذلك.

١ - شاعر جاهلي، توفي في بداية ظهور الاسلام. انظر حوله: ابن قتيبة، ص ٢٧٤

- ٢٧٥ ، وكذلك ابن دريد، ص ١٤٢ .

٢ - بلاشير، " Blachere " : تاريخ الادب العربي منذ بداياته وحتى القرن الخامس عشر الميلادي. الجزء الاول، ص ٦- ١٦ .

لوحة توضح مختلف فروع و افخاذ قبيلة " يربوع "



١ - اعتمدنا في هذه اللوحة على المعلومات التي ذكرها ابن حزم، ابن دريد ، و منشورات " وستنفلد Wustenfled " ، وكخالة.

وكما رأينا توجد فروع من بين فروع قبيلة يربوع تميزت بدورها الهام الذي لعبته قبل ظهور الاسلام وبعد ظهوره.

ومع ذلك فان قبيلة كليب، من المحتمل ان التضامن القبلي قد دفعها لتأييد القبائل الاخرى، ولكنها لم تأخذ بنصيبتها الواضح في مختلف الاحداث التي كانت تهم غيرها من الفروع. كما وان نشاطاتها الخاصة لاتكاد تذكر في أي مرجع كان؛ ويبدو انها تمثل قسماً متواضعاً من القبيلة، غامضاً ويعيش في الظل. وهناك قسم من هذه القبيلة يعيش في واحات العطيفية الصغيرة في الوشم باليمامة^٢.

وتعود اسرة " خطفة " لهذا النوع، والتي سترى مولد " جرير " شاعرنا الكبير. ويرجع اسم تلك الاسرة الى جد يدعى " حذيفة بن بدر " ولكنه كان يعرف على الاخص بلقب " الخَطْفَة " ^٣.

ولا يبدو ان " الخطفة " كان يحتل مركزاً مابين ذويه. فلم يكن فارساً ولا رئيساً لـ " كليب " ^٤. ومع ذلك يبدو ان الخطفة كان موسراً

١- حول هذا الفرع، انظر ابن دريد، ص ١٤١، وابن حزم، ص ٢١٤ وكحالة: (قبائل العرب - الجزء الثالث، ص ٩٩٤).

٢- انظر ياقوت الحموي، الجزء الاول، ص ١٢١ (معجم البلدان)

٣ - الخَطْفَة: لقب يعني السريع. انظر ليزان، الجزء العاشر، ص ٤٢٤. وقد استخدم في شعره كلمة " خطيفة " ولها نفس المعنى ولذلك اصبح لقب الخطفة معروفاً اكثر من اسمه. انظر ابن سلام، ص ٢٤٩ . والاغاني الجزء السادس، ص ٣ .

٤ - انها قصة تدفعنا دفعاً لتصديقها. فيروي لنا ابن سلام ص ٣٤٦ بان الحجاج كان قد طلب من جرير، عندما كان بالبصرة، ان يقدم نفسه مع الفرزدق وهما يرتديان ملابس الاجداد التي كانوا يرتدونها قبل الاسلام. وكان الحجاج الذي يعتز بقوته بسبب نسبه الى الرؤساء، جالساً تحت قبة ويرفل في الحرير. في

حيث كان يقدم يد العون لابنائهم المحتاجين. هذا الى جانب كونه يملك موهبة شعرية حيث وصلتنا نتف من نتاجه^٢. وكانت له معرفة واسعة بانساب القبائل، واذا ما اعتمدنا على " بكري "، فيمكن اعتباره مرجعاً دقيقاً " لايام العرب " ^٣.

وتزوج الخطفة من " النوار بنت يزيد "، امرأة من كليب ورزق منها ثلاثة ابناء هم عطية و عطا وحزام، كما نعلم. وليست لدينا معلومات وافية عن عطا وحزام ولا نعرف عنهما سوى ان عطا قد رزق بولد يدعى " ابو الزحف " والذي تميز في نظم ذلك النوع من الشعر الذي يدعى الرَجَز^٤.

حين ان جرير، الذي كان يعي تماماً المكانة المتواضعة لذويه، اضطر ان يأخذ النصيحة في الموضوع من اليربوعيين الحاضرين آنذاك، فانقذوه من الورطة.

١ - يقول ابن سلام وهو يتحدث عن ثروة الخطفة، بان الخطفة اوقف الهبة التي كان يرسلها الى جرير. ويذكر قصيدة بهذا الخصوص لجرير يعاتب فيها جده. (الديوان ص ٦٠١)

٢ - من تلك النخف يوجد مقطعان، احدهما من الرَجَز ومذكور في نقائض جرير والفرزدق. والمقطع الثاني مذكور في "الارشاد" الجزء الاول وحيث ذكر الخطفة على انه جد للفرزدق.

٣ - بكري، معجم ما استعجم، الجزء الاول ص ٢٩٣ .

٤ - ذكر اسم " نوار " في كتاب الاغاني، الجزء الثالث، الفصل الثامن وكذلك الجزء الرابع؛ وذكر اسم " عطية " في نقائض جرير والفرزدق، الجزء الرابع؛ كما جاء على ذكر " حزام " في احد التعليقات على قصيدة لجرير، الديوان ص ٦٠١ .

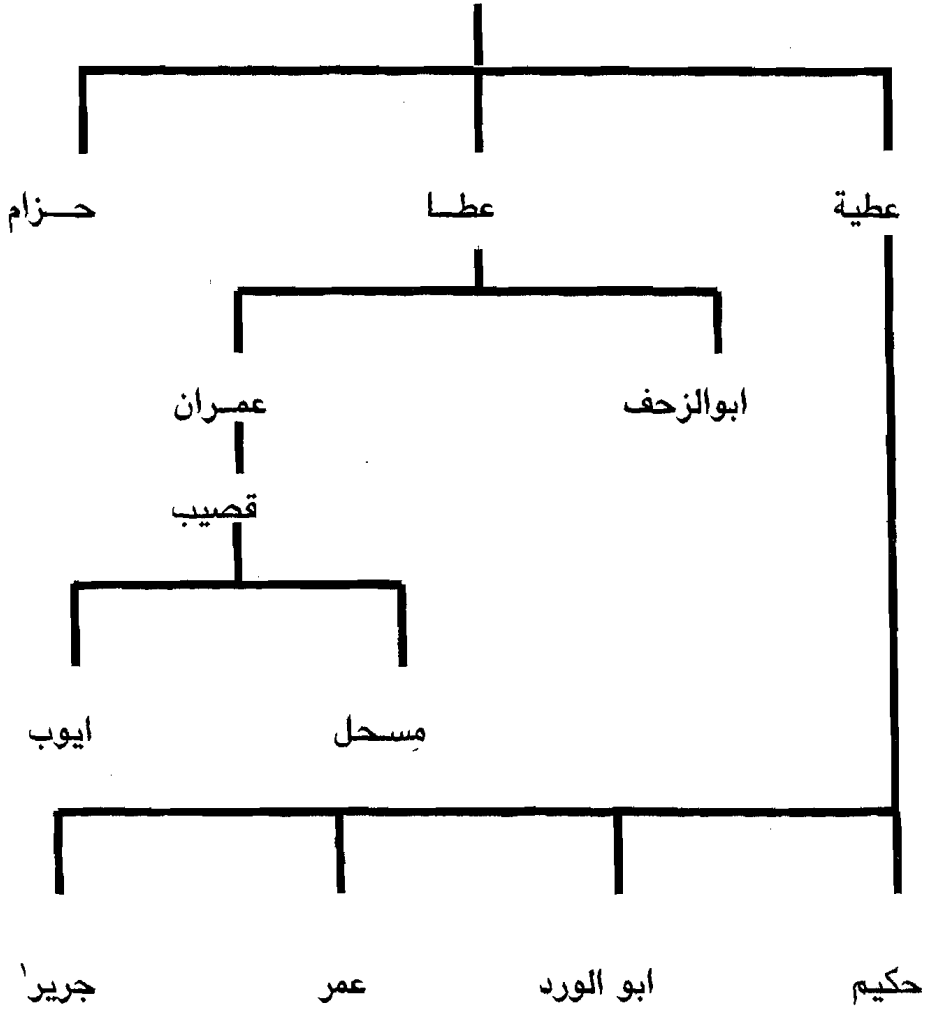
٥ - حول ذلك الشاعر، انظر ابن قتيبة وابن حزم، ص ٢١٤ .

في حين توجد بعض المعلومات حول عطية. وكان شاعراً^١
بدوره الا انه كان فقيراً، متواضعاً وبخيلاً جداً. هكذا تصوره لنا
المُعْطِيَات النادرة التي تأتي على ذكره. وتلك الايماءات حول المكانة
المتواضعة لعطية قد بررتها تلك الحقيقة القائلة بان احد ابنائه فيما
بعد كان يتفادى ذكر اخبار والده معترفاً بانه من الصعب عليه التفاخر
به^٢.

١ - مقطع من قصائده مذكور في نقائض جرير والفرزدق، الجزء الثاني.

٢ - يذكر الاصمعي رواية عن بلال ابن جرير، يتحدث فيها عن بؤس عطية وعن
بُخْلِهِ الشديد الذي تشير اليه ايضاً رواية اخرى اثناء شجار حدث بين جرير
وابيه. انظر الاغانى، الجزء الثالث، الفصل الثامن، ص ٤٩ - ٥١ .

لوحة توضح شجرة العائلة الخاصة بـ " جرير "
 حذيفة (الخطفة)



١ - حول أبناء واحفاد جرير، انظر المصدر السابق، ص ١٥٨ .

وكان عطية قد تزوج من امرأة من العشيرة تدعى " ام قيس بنت مؤيد"^١. ورزقا اربعة ابناء هم: عمرو، وحكيم، وابو الورد، وجريـر^٢. ونحن نجهل تاريخ ميلاد جريـر بالتحديد، ولكنه توفي عام (١١٤ هـ/ ٧٣٢ م)، عن عمر يناهز الثمانين عاماً او تزيد قليلاً.

وهكذا يمكننا ان نحدد تاريخ مولده بانه صادف عام (٣٣ هـ/ ٦٥٣ م) في ظل حكم " عثمان بن عفان" وربما كانت ولادته قبل موعده^٣. وقد كان ذلك الامر والجهل بيوم مولده، موضوع قصائد هجاء كثيرة نظمها فيه منافسوه.

ولا نمتلك كذلك وبنفس القدر معلومات عن مسقط رأس " جريـر ". ويبدو لنا منطقياً ان نقرر انه ولد في منطقة حَزَن. ولكن ايمكننا ان نذهب ابعد من ذلك لنقول انه ربما رأى النور في واحة

١ - يذكر الرواة اسم والدة جريـر بلقب ام قيس، وهم يذكرون اخوة جريـر. انظر ابن قتيبة ص ٢٨٢، الاغاني الجزء الثالث، ص ٥، ومن المحتمل ان يكون قيس ابناً اخر لهذا الزواج كما تدل عليه كنية الام. وعلى كل حال ففي الشذرات، الجزء الاول، ص ١٤٠ يخطئون اذ يذكرون بان (الخطقة) اسم والدته؛ اما السلطاني الجزء الاول والبستاني " الادباء " ص ٤٣٨ فيذكرون ان اسم والدته هو " حقة " في حين ان ذلك لقب مستعار. انظر النقائض ص ٢٠٥.

٢ - ونجد في الديوان اخبار " عمرو " و " حكيم " فقط؛ وكلاهما مجتمعين بكونان موضوعاً لقصيدة هجاء؛ او موضوعاً لمرثية؛ انظر الديوان ص ٣٧، ص ٢٢٢؛ ولايذكر اسم حكيم في أي مكان آخر سوى في الديوان. ونجد اسم " عمرو " مرتبطاً بـ "ابي الورد"؛ انظر ابن قتيبة ص ٢٨٣، والاغاني الجزء الثالث ص ٨ وابن حزم ص ٢١٤ .

٣ - ولد جريـر ابناً لسبعة اشهر، انظر ابن قتيبة ص ٢٨٣ والمعارف ص ٢٩٠، والاغاني، الجزء الثالث، الفصل الثامن ص ٥٠ .

العطيفية الصغيرة؟ ومع ذلك ماكنّا لنذهب الى هذا الحد الا لان ياقوت الحموي يروي لنا بان جميع احفاد جرير يوجدون في ذلك المكان^١.

ولا نمتلك بالمثل الكثير من المعلومات حول طفولة " جرير ". وتروي احدى الحكايات ان والدته كانت تهدده في طفولته وهي تغني له اشعاراً كثيرة^٢. ومهما شككنا في صدق الاشعار المذكورة في الرواية والظروف التي املتها؛ فلا يبقى امامنا الا ان نُقر بان تلك الرواية تقدم لنا صورة للجو الشعري الذي ترعرع فيه جرير والذي كان يلف حياة اسرة معظم افرادها شعراء كما رأينا.

اما عن طفولته فلا نعرف الا القليل. وكل مانعرفه انه كان يحرس قطعان الاغنام العائدة لاسرته^٣ عندما كان شاباً. وكان ذلك الامر بدوره موضوعاً استغله منافسوه للتقليل من قدره واهانته وهم يشيرون الى ذلك العمل الذي لايقوم به سوى البسطاء والفقراء.

ونتساءل .. كم كان عمره عندما نظم اول قصيدة؟ لانستطيع الجزم بذلك. ومع ذلك، فان الموهبة الشعرية التي تسود اسرته تسمح لنا بالقول بان " جريراً " ربما يكون قد نظم اول اشعاره وهو صغير جداً. ولانملك حول ذلك سوى اشارتين غير مؤكدتين وتاريخ مشكوك فيه كذلك. وهناك رواية تقول بان " جرير " بدأ ينظم الشعر في ظل خلافة معاوية اول خليفة اموي (٤٠ - ٦٠هـ / ٦٦٠ - ٦٧٩م)، وذلك

١ - ياقوت الحموي، الجزء الاول، ص ١٢١ .

٢ - الاغاني، الجزء الثالث (الفصل الثامن)ص ٤٩ . انظر كذلك البغدادي، الجزء

الاول ص ٧٨ - ٧٩ والذي يذكر ان تلك الابيات كانت من الرَجَز.

٣ - انظر النقائض، ص ٢ .

عندما وجه اول قصيدة عتاب الى جده^١. وتقول رواية اخرى بان نزاعاً نشب بين قبيلة " جرير " وبين قبيلة " جحيش " احد افخاذ " يربوع " . وتدعي الرواية ان ذلك قد حَفَزَ لدى الشاعر موهبته التي تفتحت آنذاك؛ حيث نظم اول قصيدة هجاء ضد غسان ابن ذُحَيْل من قبيلة " صَلِيط " وهي قبيلة يربوعية اخرى جاءت لِئَصْرَةِ قبيلة " جحيش " ^٢.

ومهما كان الامر، فان ذلك النزاع بين القبائل افخاذ " يربوع " ، والذي من الصعب تحديد تاريخ مؤكد لحدوثه، ربما كان في اساس ذلك الصراع الملحمي الذي خاضه " جرير " طيلة حياته.

ولنتوقف قليلا امام التكوين الثقافي لذلك الشاب الذي يتميز بين جماهير " الخطفة " . ولكننا نعود ونكرر مرة اخرى بان المعطيات التي لدينا نادرة كما ان ذلك الجانب من حياته ظل غامضاً نوعاً ما. ومع ذلك فنحن نعلم جيداً انه ترعرع في احضان اسرة اغلب افرادها شعراء. وبذلك وجد جرير من بين ذويه اساتذة تعلم على ايديهم اول عناصر الفن الشعري. وقد استقى من جده على وجه الخصوص، تلك الاسس التي تستند عليها الثقافة البدوية كما الامثال ومعانيها، و " ايام

١ - انظر ابن سلام ص ٣٢١؛ وكذلك الاغاني، الجزء الثالث (الفصل الثامن) ص ٥٠ ، وكذلك الديوان ص ٦٠١ .

٢ - استناداً الى ابي عبيدة، في نقائض جرير، الجزء الثاني، فان جريراً قد نظم اول قصيدة له وهو ما يزال شاباً، جزاء ذلك النزاع الذي كان قد دار كما يقال، ايام " عبد الله بن الزبير " . ونحن لايمكننا ان نتقبل مثل تلك الاطروحة وذلك انطلاقاً من الحقيقة القائلة بان جريراً كان شاعراً معروفاً جداً قبل تلك الاحداث، ولكونه شاعراً مرموقاً فقد زار الخليفة " يزيد الاول. انظر المصدر السابق ص ٣٥ .

العرب "١"، والقصائد التي تغنت بها.. وباختصار معرفة كل ما يلزم الشاعر البدوي من معارف.

وخارج حدود أسرته فلا توجد في الواقع اية معطيات او معلومات يمكنها ان تدل على ما اذا كان "جرير" قد رافق شعراء آخرين؛ او كان راوية لاحد الشعراء الكبار^٢. ومع ذلك فنحن نظن انه بالنسبة له كما لغيره من شعراء تميم^٣، فان الكمال التقليدي في الشعر يمثل كبار الشعراء السابقين كما "النابغة"، "علقمة"، "امرؤ القيس"، "الزبير" وولده "كعب".

ونتساءل.. هل كان لشاعرنا معرفة ما بالقرآن وعلومه؟ ليست لدينا معطيات على ذلك. ولكننا نعرف ان واحات اليمامة تمتلك عدداً لا بأس به من قراء القرآن الكريم، مما يقدم لنا التبرير الكافي للظن بان ذلك التقليد قد تواصل حتى بدايات طفولة "جرير" مما يساعده على ان يتعلم بهذا القدر او ذاك اجزاء من الكتاب المقدس. ونحن نجد في نتاجه كما سنرى، جملاً وتعابير قرآنية تدفعنا لان نعتقد ذلك.

١ - "ايام العرب"، اصطلاح يشمل الغزوات والحروب في التاريخ المحلي لحياة العرب، انظر بلاشير "Blachere"، تاريخ الادب العربي من بداياته حتى القرن الخامس عشر، الجزء الاول، ص ٢٠.

٢ - تعبير "الراوي" يعني مفهوم السرد العربي لقصة ما او قصيدة ما. وحول اهمية ذلك المصطلح، انظر بلاشير "Blachere"، تاريخ الادب العربي، الجزء الاول ص ١٢ - ٩٣.

٣ - حول تلك النقطة ليست لدينا معلومات حول علاقة جرير بذلك. وعلى العكس، فان فرزدق التميمي (النقائض ص ٢٠٠ - ٢٠١) يُعد عشرين شاعراً، من بينهم كان الخمسة الذين ذكرناهم اعلاه يمثلون مثاله الشعري.

٤ - حول دور قراء القرآن، انظر بلاشير "Blachere" "في كتابه بعنوان "القرآن"، الجزء الاول ص ١٠٣.

تلك اذن اولى منابع تكوينه.. ومع نهايات عصر معاوية، اصبح " جرير " شاعراً مرموقاً بين قبائل "يربوع " .. ويبدو ان " جريراً " قد قضى طفولته بين ظهرائي قبيلته الاصلية في اليمامة. اذن متى ترك ياترى تلك المنطقة اول مرة؟ هناك اشارة يتيمة وغير مؤكدة، تروى في عبارات كما الحكاية بان شاعرنا قد ذهب الى بلاط يزيد في دمشق^١. اما الى أي حد تفيدنا تلك الرواية فهو ان ذلك وقع حوالي (٦٠ هـ / ٦٧٩ م)، وعندما كان الشاعر في السابعة والعشرين من العمر. واخيراً، نعيد ما قلناه باننا لانملك قصائد المديح التي انشدها على شرف يزيد في تلك المناسبة، ان كان ذلك حقيقة واقعة.

وعلى أي حال، يبدو ان تلك الزيارة هي العلاقة الوحيدة بين ذلك الشاعر وبين أي مسئؤل اموي بشكل عام في تلك الفترة. وفي الواقع، فاننا لانجد أي اثر لزيارة قام بها جرير الى حكام يزيد في العراق، او في الحجاز او في أي مكان آخر؛ لا من نتاجه ولا من أي مرجع كان.

ودون شك وخلال تلك السنوات التي سبقت تلك الفترة، فان جريراً قد اشترك في المعارك الشعرية التي آثارها في قصائد الهجاء مثلاً التي نظمها ضد قبيلة " صليط " من افخاذ يربوع وضد شعراء تلك القبيلة وخاصة ضد " غسان ابن ذحيل " . وسوف نرى آثار ذلك الصراع وتلك المعارك الشعرية طيلة حياة شاعرنا كلها وفي نتاجه كذلك^٢.

١ - حول قصة تلك الزيارة، انظر الاغاني، الجزء الثالث ص ٣٦.

٢ - الديوان ص ٣٣٢ ، ٤٦٥ ، ٥٢٥ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩.

٣ - المصدر السابق، الفصل الخامس.

الفصل الثالث

جريس وثورة الزبير

الفصل الثالث

" جرير " وثورة " الزبير "

المعارضة ضد الامويين - عودة الصراعات القبلية - " جرير " في اليمامة - زيارة البصرة - العودة الى موطنه - حياد الشاعر تجاه الاحداث السياسية.

كان على " بني امية " ، ومنذ تسلمهم الخلافة، ان يواجهوا معارضة قوية كادت ان تضع حداً لسلطاتهم..

وكان الخوارج^١ يقودون المعارضة من جهة؛ والاسر الكبيرة من جهة اخرى. وكانت تلك الاسر تعتقد ان لها الحق في تسلم السلطة بنفس القدر كما بني امية. وقد ناضل الخوارج اول الامر ضد معاوية الى جانب علي (رضي الله عنه) في معركة صفين؛ ثم تحولوا ضد علي (رضي الله عنه) حيث انتقدوه على قبوله التحكيم حلاً للخلاف القائم ضد منافسه. ومن ثم اصبحوا اعدى اعداء بني امية طيلة فترة خلافتهم. ويعتقد الخوارج ان مبدأ السلطة يسمح لكل مسلم يستحق ذلك بالوصول الى مركز الخلافة دون أي اعتبار لطبقة اجتماعية او لجنس.

ولايمكن ان يتناسب مبدأ كهذا وعقلية العرب في ذلك العصر؛ حيث يتمسك العرب كثيراً بعنصريتهم وباولوية حق الاسر الكبيرة في

١ - انظر الانسيكلوبيديا الاسلامية، الجزء الثاني، الصفحات (٩٥٧ - ٩٦١) ،
مقالة ليفي ديللا فيدا (levi della Vida) حول الخوارج في البصرة خلال
القرون الاولى من الهجرة. كذلك انظر بللا (Pellar) ، الجاحظ، ص ٢٠٦ -
٢١٦ .

٢ - انظر نالينو " Nalino " ص ٢١٦ ؛ وصائب: الشعر السياسي، ص ١٦٧ .

الحكم، لذلك لم يجد مبدأ كهذا صدى لدى الجماهير القبلية، على الرغم من مشاعرهما المتطرفة؛ بل ظل حبيساً لدى حركات منعزلة و محدودة لم تكن في أي حال من الاحوال خطراً اساسياً على النظام الاموي في مجمله.

في حين كان عنصر المعارضة الآخر والاقوى يتمثل في تطلعات الاسر الكبيرة القادرة على اثارة الجماهير القبلية. وذلك هو الخطر الحقيقي الذي يهدد حكومة دمشق؛ حيث كانت الجماهير القبلية عامل النجاح او الفشل لجميع النظريات السياسية في العصر الاموي. وكان العلويون والزبيريون يقودون تلك المعارضة الى جانب آخرين مثل بني الاشعث والمهلبيين والذين سنأتي على ذكرهم لاحقاً.

فالعلاويون المعروفون بالشيعة^١، كانوا يعتبرون الخلافة حكرأ على سيدنا علي (رضي الله عنه) وعلى احفاده. ومع نهايات حكم معاوية اصطف الزبيريون الى جانب المعارضة عندما عين معاوية ابنه يزيداً ولياً للعهد.

وقد انسحب عبد الله بن الزبير^٢ الى الحجاز محاطاً بانصاره الكثيرين ومعلنأ بذلك معارضة لمثل ذلك الاجراء الذي لا يتوافق ومبادئ الاسلام الاولى.

اما معاوية^٣ بن ابي سفيان، الذي اسس الاسرة الاموية الحاكمة، فقد تفهم وفي الحال ضرورة عدم التصادم مع العقلية العربية. وكان

١ - انظر الانسيكلوبيديا الاسلامية، مقالة ستروثمان "Strothmann" حول الشيعة، ص ٣٦٢ - ٣٧٠، وكذلك انظر بللا "Pellar" الجاحظ، الصفحات ١٩٤ -

١٩٩ حيث يتحدث عن الشيعة في البصرة في القرنين الاول والثاني للهجرة.

٢ - انظر نالينو "Nalino"، الانسيكلوبيديا الاسلامية، الجزء الاول، ص ٥٦ - ٥٧ (مقالة جب Gibb).

٣ - انظر الاب لامانس في مقالته في الانسيكلوبيديا الاسلامية، الجزء الثالث حول ذلك الخليفة وسياسته القبلية، وكذلك كتاب الاب لامانس "Lammens"، معاوية، ص ٣١١.

عليه اذن ان يعتمد على القوى القبلية وان يستند سياسياً عليها. لذلك نراه وقد اجتذب اول الامر القبائل المتمركزة في سوريا، وهي قبيلة " كلب " ذات الاصل اليماني^١، وحليفاتها قبيلة " تغلب " ^٢، فرع " ربيعة". وبهذا دفع الى صفوف المعارضة " القيسيين" ^٣، اعداء ذلك الحلف التقليديين.

ومع ذلك، فقد استطاع ان يهدىء رؤساء القبائل، والقبائل المعادية طيلة فترة حكمه بفضل مواهبه الدبلوماسية والاموال الطائلة التي بذلها في سبيل ذلك.

وبعد وفاته، والتي صادفت عام ٦٠ للهجرة، أي عام (٦٧٩) ميلادية، أصبح ابنه " يزيد الاول " ^٤ خليفة له بفضل مبدأ الوراثة الذي اقتبسه والده معاوية عن الامبراطوريات الاجنبية؛ وهو مبدأ لايتلائم والافكار العربية للعصر. ومن جهة اخرى، يبدو ان مزاج يزيد الشخصي وتصرفاته جعلت منه شخصاً لا يستحق كرسي الخلافة. وقد بلورت تلك الاسباب مجتمعة، تحركات المعارضة الى جانب انها دفعت الطامعين في الخلافة الى التخلي عن موقفهم السلبي الذي كانوا قد اتخذوه في ظل معاوية. فقد قام الحسين^٥ بن علي (رضي الله عنه)

١ - حول تلك القبيلة، انظر الانسيكلوبيديا الاسلامية، الجزء الثاني، ص ٧٢٩ - ٧٣٠ ، مقالة الاب لامانس.

٢ - انظر الانسيكلوبيديا الاسلامية، الجزء الخامس، الصفحات ٢٨٣ - ٢٤٢ ، مقالة " كندرمان Kindermann " حول قبيلة " تغلب ".

٣ - الانسيكلوبيديا الاسلامية، الجزء الثاني، ص ٦٩٢ - ٦٩٨ ، مقالة " فيشر Fischer " حول " القيسيين ". واسم " قيس " لا يمثل قبيلة ولا حتى اتحادا للقبائل، وانما مجموع تجمعات تشترك في اصل واحد لتقف في مواجهة مجموع آخر يدعي جزئياً انه من اصل يمني.

٤ - حول يزيد، انظر الانسيكلوبيديا الاسلامية، الجزء الرابع، الصفحات ١٢٢٦ - ١٢٢٧ ، مقالة الاب لامانس " Lamens " .

٥ - حول الحسين وثورته، الانسيكلوبيديا الاسلامية، الجزء الثاني، ص ٣٦ - ٣٦١ ، مقالة الاب لامانس.

يطالب بالخلافة باسم الشيعة. وذهب الى الكوفة استجابة لطلب مناصريه والذين كانوا يطالبونه بالثورة ضد يزيد. وقد تم سحق تلك الثورة وبسرعة وقسوة على يد عبيد الله بن زياد^١، الحاكم الأموي على العراق.

وقد غذت هزيمة الحسين الآمال التي كانت تدور سرّاً في نفس عبد الله بن الزبير والذي فرح بالتخلص من أحد المنافسين وقد خرج من المعركة. واخذ " عبد الله بن الزبير " يستعد لملاقاة الأمويين في الحجاز حيث وجدت حركته صدى مؤتياً بين الأسر الأرستقراطية العربية والتي لم تعد راضية عن السياسة الجديدة التي دشنها واتبعها نظام دمشق خارج الحجاز. وقد عمل ذلك على التقليل من مكانة تلك البلاد وعلى خلخلة الدور الذي كانت تأمل ان تلعبه في الحياة السياسية.

وهكذا اندلعت الثورة في المدينة عام (٦٣ هـ / ٦٨٢ م) واخذت جانب عبد الله بن الزبير. وقد عرفت تلك الثورة باسم " الحرة ". وقد تم سحقها وبسرعة؛ ومن ثم توجهت قوات الخليفة " يزيد " نحو مكة حيث التجأ إليها ابن الزبير^٢. وتوفي " يزيد " عام (٦٤ هـ / ٦٨٣ م) بعد فترة حكم قصيرة^٣، وخلفه ابنه " معاوية الثاني ". وقد وضع ذلك الخليفة العرش على كفة القدر، مما زاد في

١- حول ذلك الوالي على العراق، انظر الانسيكلوبيديا الاسلامية، الجزء الرابع، ١٠٣٧- ١٠٣٨ ، مقالة " زترستين Zettersteen " .

٢ - حول ثورة المدينة، انظر الطبري، الجزء الثاني، ص ٤٠٥ ؛ وابن الاثير، الجزء الرابع، ص ٩٣ ؛ والذهبي، الجزء الثاني، ص ٣٥٠ . وكذلك العقد الفريد، الجزء الرابع، ص ٣٨٧ . انظر كذلك الانسيكلوبيديا الاسلامية، الجزء الثاني، ص ٢٨٦ حول تعبير " الحرة " .

٣ - انظر دراسة الاب لامانس حول تلك الشخصية، ص ١٦٣- ٢١٠ .

تعميم الاضطرابات. وتواجهت جميع التحزبات المتحاربة. والمتنافسة والتي تجمعت كل منها حول هذا المطالب بالخلافة او ذاك فمن جهة كانت هناك قبيلة كلب وحلفاؤها من تغلب الذين ناصروا مروان ابن الحكم^١ ومن جهة اخرى القيسيون من انصار " عبد الله بن الزبير" ومع ان ذلك الصراع كان سياسياً، الا ان العداوات القبلية قامت بتغذيته واذكائه؛ والتي كانت والتي كانت تقليدياً تضع اليمانيين في مواجهة القيسيين؛ وحيث دارت تلك المعركة الدموية في "مرج راهط"^٢ بالقرب من دمشق. وانتصر اليمانيون المناصرون لبني امية واستطاعوا ان يفرضوا " مروان بن الحكم" على سدة الحكم والاعتراف به خليفة للمسلمين.

وحين كانت تدور تلك المعركة الدموية في " مرج راهط "، تواجه الجانبان كذلك في اضطرابات خطيرة اندلعت في البصرة. وكان التميميون في التحالف القيسي يمثلون المعارضة في البصرة، ويحاربون الازد^٣ الذين تحالفوا مع " بكر ابن وائل " من ربيعة ممثلين للتحالف اليماني. وما ان علم التميميون بوفاة "يزيد"، سحبوا اعترافهم بسلطة الحاكم الاموي على العراق، " عبيد الله ابن زياد"، والذي لجأ الى " مسعود ابن عمرو " رئيس الازد وقد اجاره. ولكن

١ - حول مروان بن الحكم، انظر الانسيكلوبيديا الاسلامية، الجزء الثالث، ص ٣٥٤- ٣٥٥، مقالة الاب لامانس.

٢ - انظر الانسيكلوبيديا الاسلامية، حول تلك المعركة، ص ٢٩٣ - ٢٩٤ من الجزء الثالث، مقالة الاب لامانس.

٣ - نفس المصدر، مقالة " رشندورف Rechendorf"، الجزء الاول، ص ٥٩٨ - ٥٩٩.

٤ - مقالة " شيفر Scheifer"، نفس المصدر، الجزء الاول، ص ٦١٧ - ٦١٩.

مقتل رئيس الازد وهروب الحاكم الاموي وضع حداً للاضطرابات والقلاقل، حيث كان النصر حليف انصار " عبد الله بن الزبير " والذي بُويع آنذاك خليفة على العراق^١.

ولم يتحدد تأثير نجاح او فشل هذه التحزبات القبلية او تلك في الميدان السياسي فقط؛ بل كان لذلك اثره الواضح على الحياة القبلية بشكل عام وكما سنرى ذلك بوضوح نتيجة نجاح السلطة الاموية في الابقاء على مكانتها، وانتصار " عبد الله بن الزبير " في العراق. وقد وجدت القبائل وهي تتمسك بمبادئها وتقاليدها، وجدت في ذلك الصراع السياسي حجة رائعة للتعبير عن عداواتها المتبادلة؛ ومن جهة اخرى فانها باتخاذها تلك المواقع، كانت تأمل في احتلال مكان الصدارة حال وصول من تناصره الى سدة السلطة. ومن جانبهم، كان الطامعون في الخلافة يؤيدون تلك العقلية القبلية من اجل اثارة الروح القتالية لدى انصارهم، وبهذا يبقى الصراع مستمراً بقدر ما يظل مستمراً ولعشر سنوات حتى وفاة " عبد الله بن الزبير " عام (٧٣ هـ/ ٣٩٦ م)^٢ ورجوع العراق مرة اخرى خاضعاً للسيادة الاموية.

وبالطبع، فقد فجر ذلك الوضع بدوره مواهب الشعراء وبذلوا جهودهم للدفاع عن سيادة قبائلهم وعن مختلف النظريات السياسية

١ - حول اضطرابات البصرة؛ انظر الطبري، الجزء الثاني، ص ٤٣٨ وكذلك ابن الاثير، الجزء الرابع، ص ١١٠؛ والبلاذري: الانساب، الجزء الرابع، ثم " بلا Pellar"، الجاحظ، ص ٢٦٨.

٢ - لقد دار ذلك الاحتراب بين القبائل في تلك المرحلة في اعالي الفرات؛ وعلى وجه الخصوص بين التحالفات القيسية والتحالفات التي ارتبطت بتغلب. انظر ابن الاثير، الجزء الرابع، ص ٢٥٦ - ٢٦١، والاغاني، الجزء الثالث، ص ١٩٨ - ٢٠٨، وكذلك دراسات الاب لامانس، ص ٢٥٦.

التي تعتنقها. و " جرير " ماذا كان يفعل؟ وما هي ردة فعله تجاه جميع تلك الاحداث التي دارت في عصر يزيد الاول واعقبت وفاته؟ ويبدو ان " جريراً " الذي كان حينذاك في الثلاثين من عمره قد فضل البقاء في موطنه الاصلي حتى وفاة يزيد. في نفس الوقت الذي اتخذ فيه موقف الحياد تجاه الاحداث السياسية التي دارت في عصر ذلك الخليفة؛ حيث اننا لانجد في واقع الامر اية اشارة الى ثورة الحسين بن علي (رضي الله عنه) في نتاجه، والتي دارت أحداثها في مدينة الكوفة. ولم يكن شاعرنا شيعياً، وماكان بدوره معادياً للشيعية. كما ان ديوانه لم يضم في يوم من الايام موضوعاً لهجاء او لمديح أي فرد من افراد الاسرة العلوية ولا اية حركة من حركات الشيعة. هذا الى جانب ان " جريراً " لم يكن يشعر بأي اهتمام قبلي او ميل شخصي يمكن ان يدفعه الى مهاجمة او الدفاع عن تلك الاسرة التي فقدت الكثير من نفوذها السياسي وقدرتها بعد اخماد ثورة الحسين القصيرة الامد.

وقد اتخذ الشاعر نفس الموقف في ظل يزيد الاول تجاه الخوارج؛ ولم يغير موقفه في ظل الزبيريين. ورغم انه فرد من قبيلة " يربوع "، ورغم ان الخوارج يعودون بنسبهم الى تلك القبيلة، لم يتخذ الشاعر مع ذلك موقف المناصرة لذلك التحزب ذي الاتجاه الديني والذي لم تكن تثيره العقلية القبلية. وكان الخوارج اعداء للامويين وللزبيريين على السواء. ولذلك فضل " جرير " الذي لم يكن قد اتخذ موقفاً واضحاً صريحاً تجاه كل من الجانبين؛ فضل ان يبقى بعيداً عن حركة لم تكن اهدافها الابقاء على مصالحه الخاصة او مصالح قبيلته. ولكن " جريراً "، عندما استأنف فيما بعد ملاقاته مع الامويين والتزم بالدفاع عن سياستهم، اندفع لمهاجمة الخوارج علانية، وكما سنرى ذلك.

وبعد موت " يزيد الاول " خضع العراق لسلطة عبد الله بن الزبير. وانهم التميميون كما رأينا ذلك، هم الذين عملوا على ان ينتصر العراق لقضية الزبيريين، وذلك بتحريض اليربوعيين في البصرة دون شك، فقد كانوا اولى قبائل تميم التي نادت " بعبد الله بن الزبير " خليفة على العراق، مما دفع الفروع الاخرى على تقليدها^١.

اكان موقف تلك القبيلة هو الذي شجع " جريراً " لاتخاذ موقف لصالح سيد العراق الجديد، ولمحاولة اقامة علاقات مع الزبيريين.

من المحتمل ان يكون الشاعر قد زار البصرة قبل سنة (٦٤هـ/ ٦٨٣ م)، حيث اصبحت البصرة مزاراً وملتقى لسكان المناطق المحيطة. ومهما كان الامر، وبفضل بعض الاشارات في اشعاره، يمكننا ان نؤرخ اول زيارة قام بها للبصرة فيما بين السنوات (٦٥ - ٦٧ هـ/ ٦٨٥ - ٦٨٧ م)^٢، في ظل حكم " الحارث بن عبد الله " والي البصرة الزبيري.

وفي البصرة، فان " جريراً " لم يدخل في صراع مع الشعراء المنافسين فقط وكما سنرى، بل كان عليه كذلك ان يحتمل عداوة والي البصرة الزبيري والذي كان همه ان يسود السلام والامن في مدينته، ولم يكن ليتذوق القذف والهزاء الذي يتبادلّه الشعراء في مناظراتهم في تبجح ومباهاة. ويبدو ان الوالي لم يعره اهتماما كبيراً ان لم يكن

١- لقد كان سلمة بن ذؤيب اليربوعي هو الذي اطلق في بداية الاضطرابات اسم عبد الله بن الزبير، وجامعاً حوله اليربوعيين ثم التميميين. انظر الطبري، الجزء الثاني، ص ٤٣٨، وكذلك النقائض، ص ١١٣.

٢ - حول اخبار ذلك الحاكم، القريشي، من قبيلة مخزوم، انظر " بلا Pellar"، الجاحظ، ص ٢٧٨، وهو يعتمد على الطبري وابن الاثير.

قد اظهر له العداء. وقد اظهر " جرير " استيائه من ذلك الموقف
ولاكثر من مرة، وعاتبه في احدى قصائد الهجاء التي نظمها في احد
الشعراء المنافسين^١، وخاطب الوالي بكنيته عندما قال:

ابا خالد ! ابليتَ حَزْماً وسُوددا

وكل امرئٍ مَثْنى عليه بما يُبلي

ابا خالد ! لا تشمتنْ اعدائاً

يودون لو زلتَ بمهلكةٍ نعلي

ولكن يبدو ان الوالي الزبيري قد ازداد شدة على " جرير "
وعلى اثر هجاء تبادله " جرير " مع احد منافسيه اصدر الوالي امرا
بتهديم منزليهما عقاباً لهما. وقد اثار ذلك غضب شاعرنا الذي عاتب
الوالي على مبالغته في استغلال السلطة^٢:

فما في كتابِ اللهِ تهديمُ دارنا

بتهديمِ ماخُورٍ حيثُ مداخلُهُ

وتلك الاشارات التي ذكرها جرير تظهر علاقاته مع والي البصرة
الزبيري والتي كانت ابعد ما تكون عن الصفاء. واكثر ما يؤكد ذلك،

١ - الديوان، ص ٤٦٥ . هذان البيتان جزء من قصيدة هجاء نظمها في الفرزدق.
٢ - انظر الديوان، ص ٤٨٥ . يتحدث جرير عن ذلك العقاب في قصيدة هجاء
نظمها ضد الفرزدق الذي ناله نفس العقاب. كذلك انظر البلاذري، الانساب،
ص ٢٧٨ .

(ملحوظة: لقد ذكرت البيت كله رغم ان الكاتب لم يذكر الا الشطر الاول)
المترجمة

تلك الحقيقة القائلة باننا لا نجد في الديوان اية قصيدة مدح على شرفه.

فكم من الوقت اذن اقام في البصرة؟ من الصعب تحديد ذلك. وعلى أي حال فان موقف الوالي الزبيري لا يشجع بطبيعته اطالة امد بقاء الشاعر في تلك المدينة. وهكذا يبدو ان " جريراً " قد غادرها قبيل مجيء "الحجاج " عام (٧٥ هـ / ٦٩٥ م).

وان عاد " جرير " الى بلاده، لم يحاول كما يبدو الدخول في علاقات مع الزبيريين لا في الحجاز ولا في العراق. كما ان ديوان " جرير " لا يحوي بيتاً واحداً في مدح " عبد الله بن الزبير ". كما تبني نفس الموقف الصامت تجاه " مصعب " شقيق " عبد الله بن الزبير "، الذي كان والياً على العراق حتى وفاته عام (٧٢ هـ / ٦٩٢ م)^١. ومن الجدير بالذكر ان " جريراً " عندما لم يأت مطلقاً على ذكر ابن الزبير بخير، فانه كذلك لم يهاجمه ابداً خلال فترة ولايته.

وفي الوقت الذي كانت فيه قبيلته تساند الزبيريين بكل قواها، فمما يثير الدهشة، رؤية " جرير " ملتزماً الصمت. ومن المحتمل ان شاعرنا، امام ذلك الانقسام الذي يمزق السلطة المركزية، قد آثر الصمت وانتظار نهاية الصراع ليصطف بعد ذلك الى جانب الاقوى.

وعلى أي حال، لم ينفك " جرير " عن تمجيد مساهمة قبيلته في الاحداث التي دارت في نهاية الامر الى انتصار الزبيريين، وعلى وجه الخصوص مساهمتها في احداث البصرة وقد فاخر بذلك عندما قال^٢:

١ - حول اخبار مصعب بن الزبير، انظر الانسيكلوبيديا الاسلامية، الجزء الثالث،

الصفحات ٧٩٣ - ٧٩٤ (مقالة لامانس)

٢ - انظر الديوان، ص ٥٤٨ .

ويوم عبید الله خضنا برایة
وزافرة تمت الينا تميمها

وعبر عن تلك الايام المجيدة في مكان آخر بقوله^١:

سائل ذو يمن وسائلهم بنا

في الازد ان ندبوا لنا مسعودا^٢

ومن المفيد هنا ان نذكر ان الشاعر وهو يتحدث عن تلك الاحداث التي دارت في البصرة، فانه لم يتعرض باي حال من الاحوال الى مظهرها السلطوي. وهو لا يرى فيها هزيمة للامويين ولا انتصاراً للزبيريين. انما يعزو كل شيء الى الصراع الكبير بين القيسيين واليمانيين، ويمجد فقط الدور القيادي الذي لعبته قبيلته والنصر الذي احرزته ضد اليمانيين، العدو التقليدي. وقد تفادى " جرير " وبغناية ان يعطي لشعره صفة سياسية، ومُدلاً بذلك على طبيعة تتسم بالحرر تجاه اولئك الذين يتناحرون حول الخلافة^٣.

١ - الديوان، ص ١٧٢ .

٢ - يقصد مسعودا الغتقي، رئيس " الازد "، والذي اغتالته " تميم " اثناء اضطرابات البصرة. انظر الطبري، الجزء الثاني، ص ٤٣٨ ، وابن الاثير، الجزء الرابع، ص ١١٠ ، (حول احداث البصرة)

٣ - نحن لا نتفق وما تفضل به محمد حسين في كتابه " الحجة "، الجزء الثاني، ص ١٤٨ ، حيث يؤكد ان جريرا " كان في اعماق نفسه " يؤيد الزبيريين، في الوقت الذي يشير فيه الى انه لم يجد في ديوان جرير ما يؤيد ذلك.

وان كان قد اثار ذكرى مقتل الزبير، والد اسياذ العراق الجدد،
فيجب الا تدفعنا تلك الحقيقة الى الاعتقاد بان الشاعر اراد ان يعبر عن
تعلقه بتلك الاسرة. وقد اراد وهو يدخل في صراع مع شاعرين يعودان
لقبيلة مجاشع والتي يعود اليها قاتل الزبير^١.

١ - في نهاية معركة الجمل، اغتيل عبد الله بن الزبير وقاتله كان عمرو ابن قُرمز.
انظر الطبري، الجزء الاول، ص ٣١٧١؛ وابن حزم، ص ٢١٠؛ وبسبب ذلك
الحدث الذي اقترفه احد افراد القبيلة التي ينتمي اليها الشاعران: الفرزدق
والبُعَيْث، واللذين اغرقهما جرير بالعار والاحتقار.

الفصل الرابع

جريس والأمويين

الفصل الرابع

" جرير " والامويين

عودة السلطة الاموية على العراق - نهاية الزبيريين - " جرير " و " بشر بن مروان " - " جرير " مداح " الحجاج " - اول زيارة له لدى الخليفة " عبد الملك بن مروان " - " جرير " مداح للامويين وحتى وفاته في ظل " هشام بن عبد الملك " - مدافع عنهم وداعية لهم ولكن ليس مقرباً ومفضلاً لديهم - قصيدة تعبر عن مدائحه.

لقد عمل الصراع بين الامويين والزبيريين آنذاك على تمزيق العالم العربي وزيادة اوار الحروب الاهلية. ولكن الصراع الحاسم لم يأخذ مكانه الا بعد سنوات، فقد كان يجب على كل جانب من المتنافسين ان يواجهه في عقر داره المعارضة، وكذلك الاضطرابات التي اثارها القبائل التي ساهمت بدورها في الاحداث السياسية الجارية آنذاك. ففي العراق، ظهرت حركة التوابين^١ (عام ٦٥ هـ / ٦٨٥ م)؛ وانتفاضة " المختار ابن عبيد الثقفي "^٢ والتي ابيدت عام (٦٧ هـ / ٦٨٧ م). وفي اساس الحركتين، افكار الشيعة والانتقام لمقتل " الحسين بن علي " (رض) واستعادة السلطة للأسرة العلوية.

-
- ١ - لقد كان سليمان ابن سُرّاد الهزاعي يقود تلك الحركة؛ انظر الانسيكلوبيديا الاسلامية، الجزء الرابع، الصفحات (٥٥٩ - ٥٦٠) مقالة " زترستين Zettersteen ". انظر كذلك " بيللا Pellar "، الجاحظ، ص ١٩٦ .
- ٢ - حوله انظر الانسيكلوبيديا الاسلامية، الجزء الثالث، مقالة " ليفي ديللا فيدا Levi della vida "؛ كذلك انظر " بيللا Pellar "، الجاحظ، ص ١٩٦ .

وقد عمل حكام دمشق من جانبهم على السيطرة على الاضطرابات القبلية التي كانت قد ظهرت بعد معركة " مرج راهط ". وكان القيسيون، اتباع الزبير، يغذون تلك الاضطرابات حيث كانوا في صراع ضد قبائل تغلب في الجزيرة (اعالي الفرات) وكانوا يريدون الانتقام من هزيمتهم في " مرج راهط " .

ولكن حين وضع " مصعب " الوالي الزبيري على العراق، وضع حداً لثورة " المختار "؛ وفي الوقت الذي استطاع فيه الخليفة الاموي " عبد الملك " السيطرة على انتفاضة القبائل؛ كان الامويون والزبيريون يستعدون للمعركة الحاسمة. وتوجه " عبد الملك " عام (٧١ هـ / ٦٩١ م) على رأس قواته الى العراق، وارسل " خالد ابن عبد الله " في نفس الوقت الى البصرة لكي يعمل على اخضاع سكان تلك المدينة وانتصارهم لقضيته. ولكنه فشل في محاولته على الرغم من مساعدة " بكر ابن وائل " وحلفائه من الازد، مما اضطره الى الهرب والعودة الى دمشق^٢.

١ - استمر حكم الخليفة عبد الملك بن مروان من العام (٦٥ هـ - ٨٥ هـ / ٦٨٥ م - ٧٠٤ م). انظر الانسيكلوبيديا الاسلامية، الجزء الاول، ص ٤٩ - ٥١ ، مقالة " زترستين Zettersteen " .

٢ - في نقائض جريز والفرزدق، توجد معلومات تفصيلية عن وصول خالد ابن عبد الله الى البصرة؛ وكذلك عن الاضطرابات التي اثارها، ص ١٠٨٩ . انظر كذلك ابن الاثير، الجزء الرابع، ص ٢٥٢ ؛ والمسعودي، الجزء الثاني، ص ٩٣ .

ومع ذلك فقد كان جيش الخليفة يتوجه نحو الكوفة. والتقى بجيش " مصعب "، حيث كانت المعركة حاسمة. وقتل " مصعب " شقيق " عبد الله بن الزبير " عام (٧٢ هـ / ٦٩٢ م)^١.

وقد ارسل الخليفة " عبد الملك بن مروان " في نفس الوقت جيشاً الى مكة بقيادة " الحجاج بن يوسف الثقفي " لمحاربة " عبد الله ابن الزبير " وجاء مقتل " عبد الله ابن الزبير " عام (٧٣ هـ / ٦٩٣ م) ليضع حداً نهائياً للمنافسة الزبيرية^٢.

واصبح " بشر ابن مروان " شقيق الخليفة والياً على الكوفة^٣. كما اصبح " خالد ابن عبد الله " والياً على البصرة^٤. ومن ثم اصبح " بشر ابن مروان " والياً على العراق كله، قبل وفاته ببضعة شهور عام (٧٤ هـ / ٦٩٤ م).

لايوجد شيء في التاريخ، ولا في اشعار " جرير " يمكنه ان يدلل على ان يكون الشاعر قد عقد اواصر علاقات مع " خالد ابن عبد الله " الذي ظل والياً على البصرة مدة عامين، (٧٢ هـ - ٧٤ هـ / ٦٩٢ م - ٦٩٤ م) ولانلتقي في ديوانه على أي حال بأية قصيدة مدح مباشرة موجهة الى " بشر ". فقط توجد بضعة ابيات كانت قد خصصت له

١ - حول نهاية الزبيريين في العراق، انظر الطبري، الجزء الثاني، ص ٨٠٥ ، وابن الاثير، الجزء الرابع ، ص ٢٦٣ ، و "بيريه Perier "، الحجاج ص ٣٢ - ٣٥ .

٢ - حول نهاية ابن الزبير، انظر ابن الاثير، الجزء الرابع، ص ٢٨٣ ، وابن عساكر، الجزء الرابع، ص ٤٨ . وبيريه Perier " الحجاج، ص ١٣٦ - ١٥١ .

٣ - حول ذلك الوالي، انظر الانسيكلوبيديا الاسلامية، الجزء الاول، ص ٧٤٩ - ٧٥٠ (مقالة الاب لامانس Lammens)

٤ - وحول خالد ابن عبد الله، انظر " بيللا Pellar " ، الجاحظ، ص ٢٧٨ .

في احدى قصائد الهجاء التي نظمها " جرير " ضد احد منافسيه، كان قد حرّض ذلك الوالي على مهاجمته^١. وتتردد بعض الحكايا التي تشير الى لقاء كان قد تم بين " جرير " و " بشر ابن مروان^٢.

وبقدر ما يمكن استخدام الروايات، يمكننا الظن بان " جريراً"، وبعد ان علم بنهاية الزبيريين التامة ومجيء " بشر " الى البصرة، قد وجد في ذلك؛ الوقت الملائم للذهاب الى تلك المدينة، ليلتقي ذلك الامير الاموي المعروف جداً بكرمه وباكram وفادة الشعراء. ويمكن ان يكون قد شد الرحال الى هناك عام (٧٤ هـ / ٦٩٤ م)، وقد اصبحت البصرة في نطاق سلطة " بشر ". وتتردد حكاية اخرى تقول بان " جريراً " قد ذهب الى البصرة، مقدمة اسباباً اخرى لتلك الزيارة التي جاءت قبل وصول " الحجاج " خليفة " بشر " على ولاية العراق. وكان شاعرنا حينذاك يقترب من الاربعين.

ومع ذلك، فان عدم وجود قصائد منظومة على شرف الامير، لا يسمح لنا بالتعرف على وجهة نظر " جرير " حول الحدث السياسي الذي اعقب سقوط الزبيريين. وعلى أي حال، تشير حقيقة ارتباطه

١ - الديوان ص ٣٠٠، وهي قصيدة هجاء نظمت في الشاعر سراقه.

٢ - تتحدث حكاية عن لقاء تم بين جرير والفرزدق قي حاشية بشر. انظر الاغاني، الجزء الثامن ص ٣٧. وتتحدث رواية اخرى في نفس المصدر الجزء الثامن

ص ٣١٥ ، ذاكرة لقاء آخر تم في حضرة نفس الوالي ومعهما الاخل.

٣ - واستناداً الى عمارة، فان جريراً قد ذهب الى البصرة آتياً من مروط بناء على طلب اليربوعيين الذين عاتبوه على غيابه في حين كان الفرزدق يكيل له الهجاء. واستجابة لذلك النداء ذهب جرير الى البصرة وبقي فيها حتى مجيء الحجاج والياً على العراق. انظر القالي، ذيل الامالي، ص ٤٢ .

بعلاقات مع "بشر" الى رغبة شاعرنا في وضع خبرته لخدمة الاسرة الحاكمة. وسوف تتأكد تلك الرغبة بشكل اوضح ايضاً، وبعد وقت قصير، عند ما يتوصل "جرير" الى الوصول الى بلاط الوالي الجديد على العراق "الحجاج ابن يوسف الثقفي" فيما بين السنوات (٧٥هـ - ٩٥هـ / ٦٩٥ - ٧١٤ م) ^١.

ولايمكننا تحديد تاريخ لقاء "جرير" الاول بـ "الحجاج". ويبدو ان الشاعر كان قد تردد بعض الوقت قبل ان يقرر تحقيق مثل ذلك اللقاء. وتحدث كثير من الروايات، عن حقيقة ذلك الخوف الذي كان يملأ صدر "جرير" من جانب ذلك الوالي المعروف بقسوته. وربما كانت عداوة ذلك الوالي تجاه "جرير"، كانت في اساس ذلك الموقف الغامض الذي اتخذه "جرير" تجاه حركة الزبيريين؛ وربما يعود بقاؤه سالماً الى تدخل بعض افراد القبيلة بمساهماتهم المادية. ويورد الشاعر اشارة الى ذلك الخوف في احدى قصائد المديح التي نظمها في "الحجاج" ^٢:

٧ (وما نَظْتُ طَعَمَ النُّومِ الا مُفَزَعَا

وما ساع لي بين الحيازم ريق

١ - استناداً الى عمارة، يبدو ان الحجاج قد اثار رعباً حقيقياً في نفس شاعرنا. انظر القالي، ذيل الامالي، ص ٤٢. انظر كذلك المسعودي، الجزء الثاني، ص ١١٧، والذي يشير الى المساهمات المادية لصالح جرير. ويمكن بذلك ان يتوضح اذن الاهتمام الذي قوبل عفو الحجاج عن جرير. وقد كتب ابن الكلبي مقالة بهذا الشأن بعنوان "دخول جرير على الحجاج" الا انها مفقودة اليوم. انظر الفهرست، ص ٩٧.

٢ - الديوان، ص ٣٩٨ - ٣٩٩، وهي قصيدة مدح في اثنين وعشرين بيتاً.

٣) وَخَفِيتُكَ حَتَّى اسْتَنْزَلْتَنِي مَخَافَتِي

وقد حال دوني من عماية نيق

واخيراً استطاع " جرير ان يجد الوسيط الذي سيقدمه الى " الحجاج " في شخص " الحكم ابن ايوب "، صهر " الحجاج " وممثله في البصرة للسنوات (٧٥ هـ - ٨١ هـ / ٦٩٥ - ٧٠١ م)^١.

وقد نظم جرير قصيدة مدح فيها الحجاج كذلك^٢، وقد اظهرت تلك القصيدة له امكانيات الشاعر، وربما كان الوالي قد امر صهره بارساله اليه^٣.

ومهما كان الامر، فسرعان ما اصبح " جرير " شاعر " الحجاج " المفضل. ويبدو ان هناك عوامل كثيرة قد لعبت دورها في تقريب هاتين الشخصيتين. اولاً، ما كان على " الحجاج " ان يخرج عن

١ - حول الحكم، انظر " بيللا Pellar " الجاحظ، ص ٢٧٩، والذي يستند في روايته على الطبري وابن الاثير، واليعقوبي.

٢ - الديوان، ص ٥٢٠ من نوع الرجز، وهي قصيدة المدح الوحيدة المنظومة لذلك الوالي، وهي في خمسة ابيات.

٣ - هناك رواية طويلة في الجزء الثالث من الاغاني، الفصل الثامن، ص ١٣؛ تكشف لنا عن الظروف التي تم فيها اللقاء بين الرجلين. ومنذ تلك المقابلة كان الحجاج قد طلب من الشاعر ان يحدثه عن اسباب عداوته مع معارضيه. وهكذا تضم تلك الرواية اسماء منافسيه مجتمعة. وعلى أي حال، تذكر الرواية بعض الحقائق المعينة التي عاشوها مؤخراً. يتحدث جرير مثلاً عن عداوة اندلعت في ظل حكم الوليد، في حين ان اول لقاء له مع الحجاج قد تم في ظل حكم عبد الملك. ويدفعنا ذلك الى الاعتقاد بان جزء من تلك الرواية قد اضيف الى ما قيل قبلاً عن تلك الزيارة، من اجل حصر جميع اعداء جرير.

مألف سابقه من ولاية العراق في تقريبهم للشعراء. وللضرورة السياسية، كان ولاية " بني أمية " في العراق، كما هو حال اسيادهم في دمشق، كانوا في حاجة الى دُعاة يتغنون بنظامهم ويساندون سياستهم ولاسباب شخصية، فان " الحجاج " لم يستطع ان يبقى لا أبالياً تجاه ضرورة وجود داعية خاصاً له تشبهاً بـ " عبد الملك " خليفة دمشق، الذي كان له داعيته الخاص في شخص الشاعر " الاخل " .

ويمكننا الظن اذن بان " الحجاج " الذي يعود نسبه الى التحالف القيسي، قد اراد ان يعلن معارضته للخليفة وشاعره التغلبي، فتمسك بـ " جرير " واغرقه بعطفه وكرمه وهو الشاعر من نفس التحالف القبلي، الى جانب ان الشاعر في نهاية الامر كان في صراع مع الشاعر التغلبي.

وبالنسبة لـ " جرير " ، فقد كان من السهل عليه مع ذلك ان يتقرب من " الحجاج " افضل من الذهاب مباشرة الى دمشق حيث مازالت ذكريات موقف تميم تجاه نظامه حية، الى جانب وجود منافس خطير هو الشاعر " الاخل " القوي، والذي يستمد قوته من مساندة قبيلته للامويين والمكانة التي يحتلها بالقرب من " عبد الملك " .

و " جرير " ، وقد اصبح شاعر " الحجاج " المفضل، وضع موهبته الشعرية في خدمة " الحجاج " طيلة سني ولايته العشرين.

١ - حول موقف ولاية بني أمية على العراق، " انظر بيللا Pellar " ، الجاحظ ، ص ١٦٥ ؛ " وييرييه Perier " ، الحجاج ، وحيث كرس الفصل الرابع لعلاقات الحجاج مع الشعراء وعلى وجه الخصوص علاقاته بجرير والفرزدق.

وكان يصف اوضاع العراق غير المستقرة في تلك الفترة؛ ويدلل على قدرة وامكانية الوالي في تلك الظروف، وحزمه في الضرب على ايدي المسؤولين عن الاضطرابات وقد ذكر ذلك بقوله^١ :

(١٢) عفاريت العراق شَفِيَتْ منهم

فَأَمَسُوا خاضعينَ لك الرُّقَابَا

وقال في مكان اخر^٢:

وَأَطْفَأَتْ نيرانَ العراق وقد علا

لهنُ دخانُ ساطعٍ وحريقُ

وفي قصيدة ثالثة يقول^٣:

(١٣) وحافوك حتى القومُ تنزوا قُلُوبَهُمُ

نُزَاءَ القُطَا التَفَّتْ عَلَيْهِ

الحبائِلُ

٥) قَدِمَتْ على اهل العراق ومنهمُ

مُخَالَفُ دينِ المسلمين وخاذِلُ

وشاعرنا الذي التزم الصمت التام في ظل الزبيريين تجاه الخوارج، قد اتخذ موقفاً مغايراً في ظل ولاية " الحجاج " حيث اثنى على موقف " الحجاج " الحازم والقوي تجاههم. وهكذا هاجم شبيب

١ - الديوان، ص ١٧ ، قصيدة مدح في سبعة وعشرين بيتاً.

٢ - الديوان، ص ٣٩٩ ، قصيدة مدح في اثنين وعشرين بيتاً

٣ - الديوان، ص ٤٤٠ - ٤٤١ ، قصيدة مدح في اثنين واربعين بيتاً.

ابن يزيد الشيباني الخرجي الذي اغتيل عام (٧٧ هـ / ٦٩٧ م)^١.
واشار في شعره كذلك الى مصير " القطري ابن الفجاءة " ، رئيس
الخوارج والذي اغتيل عام (٧٨ هـ / ٦٩٨ م)^٢. ويشير الشاعر كذلك
الى المعارك المظفرة التي قادها " الحجاج " ضد " عبد الرحمن
الاشعث " في الزاوية ثم في المسكن عام (٨٢ هـ / ٧٠١ م)^٣.

وقد تغنى الشاعر بانتصارات الوالي، ودون أن ينسب جزء منها
الى الخليفة " عبد الملك ". وقد جاء الشاعر على ذكر الخليفة في
قصيدتين من القصائد الخمس في مدح " الحجاج " ، لكي يذكره
بالخدمات الجلّى التي قدمها " الحجاج " للأسرة الحاكمة ولكي يدلّل
على ان " الحجاج " هو عامل الاستقرار الاساسي للسلطة الاموية في
العراق. وقد اثار ذلك غضب الخليفة حيث اظهر ضيقه للشاعر في اول
مقابلة له وكما سنرى.

١ - حول ذلك الخارجي، انظر الانسيكلوبيديا الاسلامية، الجزء الرابع، ص ٢٥٣
(مقالة زترستين Zettersteen)

٢ - حوله، انظر الانسيكلوبيديا الاسلامية، الجزء الثاني، ص ٨٦٦ - ٧ مقالة
(ليفي ديلا فيدا) ؛ انظر الديوان ايضا ص ٤٤٢ حيث يذكر الشاعر اسم
القطري واسم شبيب.

٣ - لقد حارب الحجاج ذلك الثائر في الزاوية، في دير الجماجم، ثم المعركة
النهائية في المسكن. انظر الانسيكلوبيديا الاسلامية، الجزء الاول، ص ٥٧ -
٥٨ ؛ والديوان ص ١٢١ ، البيت الاول حيث ذكرت تلك المعارك.

ونشير مع ذلك الى ان القصائد التي نظمها الشاعر في والي العراق ليست بالعديدة نسبياً بالنظر الى علاقاتهما التي امتدت لفترة طويلة^١.

وتلك الحقيقة مثيرة لدرجة اننا يمكننا ان نورد بعض الفرضيات التي تسمح بتقديم سبب لذلك. وبدءً، يمكننا الظن بان ذلك يعود للشاعر نفسه؛ وفيما بعد، وكما سنرى، ففي واقع الامر ان حكام دمشق قد عاتبوه لانه اشاد كثيراً بوالي العراق القوي. ولكن تلك النظرية حتى وان كانت ذات قيمة فانها لا تقنعنا تماماً ونرى انفسنا نتساءل اذا ما كان قد فُقدَ جزء كبير من تلك القصائد. ومن الممكن ايضا ان يكون الشاعر قد قلل من عدد مدائحه الى رب نعمته عندما استطاع الوصول الى بلاط دمشق.

ومن جهة اخرى، فليست لدينا معلومات كافية حول محل اقامة " جريز " في ظل ولاية " الحجاج ". أكان قد ذهب للاقامة في البصرة لفترة ما وحيث حصل على رضى البشري الذي ارتبط اسمه احياناً به^٢؟ ودونما شك، هل كان شاعرنا مضطراً لمضاعفة زيارته للبصرة في عصر ولاية " الحجاج " واطالة امد اقامته على وجه الخصوص في تلك المدينة؟ مهما كان الامر، يبدو ان اليمامة ظلت

١ - هناك خمس قصائد فقط في مدح الحجاج، الديوان: ص ١٦ ، وص ٨٩ ، و ص ١٢٠ ، وص ٣٩٧ ، وص ٤٣٩ .

٢ - انظر الاغاني، الجزء الثاني، الفصل التاسع عشر، ص ٤٦ والذهبي، الجزء الرابع، ص ٩٥ ، وكذلك المقالة المنشورة في الجريدة الاسيوية بباريس العدد الرابع عشر، والخامس، ص ٣٧ ، وكذلك انظر " بيريه Perier " ، الحجاج، ص ٢٨٨ .

مكان الإقامة الدائم، وكما يظهر ذلك في اشارة ذكرها الشاعر في قصيدة وجهها الى شخصية العصر الاموية " عبد العزيز بن مروان " .
واذا كان " جرير " قد اصبح داعية " للحجاج " ، بفضل توصيات " الحكم بن ايوب " بهذا الشكل او ذاك، فان الوالي سيلعب نفس الدور لصالح " جرير " عندما قدمه الى بلاط الخليفة الاموي " عبد الملك ابن مروان "

ومع ذلك فان المعلومات التي لدينا لم تقدم لنا وللأسف معلومات كافية عن الموعد الذي قام فيه "الحجاج " بتلك الخطوة. ونحن نعلم جيداً ان " جريراً " كان قد تردد في بداية الامر قبل ان يتقدم " للحجاج " ومن جهة اخرى، فحقيقة انه لم يستطع مقابلة الخليفة الا بواسطته تدفعنا للاعتقاد بان " جريراً " قد قضى فترة من الزمن في خدمة " الحجاج " ، ودون ان يستطيع القيام بزيارة لـ " عبد الملك " . ويمكننا اذن ان نحدد تاريخاً لذلك اللقاء في العام (٨٠ هـ / ٩٩٦ م) ، أي ان " جريراً " حينذاك لم يكن قد شارف بعد الخمسين من العمر.

وعندما وصل " جرير " الى البلاط الاموي، واجهته صعوبات جمة كثيرة وقفت امام استقبال " عبد الملك " له. وتحدث الروايات

١ - في قصيدة وجهها الشاعر الى عبد العزيز ابن مروان، يقول جرير انه سوف يتوجه لزيارة الامير وهو قادم من ذي بهدي، وهي احدى واحات اليمامة. انظر الديوان، ص ١٠٢ (البيت الثالث والثاني):

ومن آل ذي بهدي طلبناك رغبةً ليمتاح بحرا من بحورك مايحُ

عن تلك الزيارة ذاكرين أن تلك الصعوبات قد تعود الى عدم رضى الخليفة عن الشعراء المضربين ذوي المشاعر الزبيرية^١.

ويمكننا ان نشير هنا، على أي حال، الى ان تلك الروايات لا تتحدث ابدا عن أي عتاب وجهه الخليفة الى الشاعر بذلك المعنى. الم يكن من السهل جدا على الخليفة ان يعلن عدم رضاه اذا ما كان مستاء لذلك؟ على العكس، فقد وجه الخليفة تأنيبه المر الى " جرير " لانه كان قد كرس مديحه " للحجاج " وحتى ذلك الوقت، ومعبراً بذلك عن مشاعر الغيرة والكرامة الجريحة.

وفقط، ونتيجة للرجاء الحار الذي عبر عنه " محمد ابن الحجاج " للخليفة، والذي قام بتقديم " جرير " اليه، وافق الخليفة " عبد الملك ابن مروان " على التفضل بالاستماع الى اول قصيدة مدح نظمها " جرير " على شرفه^٢. وعلى أي حال، فقد كان الخليفة راضياً كل الرضا، وعبر عن ذلك بالعطايا الثمينة التي وهبه اياها. ويبدو ان " جريراً " كان قد توجس ان الخليفة لن يغفر له تأخيريه في الذهاب لزيارته. وقد أكد ذلك في قصيدته حين قال^٣:

١ - استنادا الى عمارة، (الاغانى، الجزء الثالث، ص ٦٦ - ٦٨)، فان محمدا ابن الحجاج هو الذي قدم جريرا الى عبد الملك بناء على طلب من ابيه. واستناداً الى رواية اخرى اوردها " ابن سلام " ص ٣٥٧، فان الحجاج نفسه هو الذي قدم جريرا الى الخليفة، ولم يذكر في تلك الرواية أي تأنيب وجهه الخليفة الى الشاعر. انظر كذلك، الجاحظ، التاج ص ١٣٢ - ١٣٣، وكذلك ابن قتيبة، ص ٢٨٦.

٢ - الديوان، ص ٩٦، قصيدة في اثنين وعشرين بيتاً.

٣ - نفس المصدر، ص ٩٨.

فإني قد رأيتُ عليّ حقاً

زيارتي الخليفة وامتداحي

وفي اول قصيدة مدّح في " عبد الملك بن مروان " ، تهجم " جرير " على ذكرى " عبد الله ابن الزبير " . ولأول مرة يعلن صراحة موقفه ضد اعدائه والذين اجهز عليهم النظام الاموي . وكان " جرير " حتى ذلك الوقت يحرق البخور فقط " للحجاج " من غير ان يذكر الزبيريين ، حيث كان يكيل المديح فقط لسياسة الوالي المحلية ويهاجم المتمردين الذين يظهرون في العراق .

ويبدو ان " جريراً " قد عاد الى العراق^٢ ، بعد تلك الزيارة التي قام بها الشاعر الى بلاط " عبد الملك ابن مروان " . ومع ذلك ، فمن الصعب متابعة الشاعر في تنقلاته . فاذا ما كان حتى ذلك الحين ، يقسم وقته بين العراق واليمامة ، فان دمشق اصبحت مزاراً يحج اليه ، وحيث نقرأ له قصيدة مديح اخرى على شرف " عبد الملك ابن مروان " قبيل وفاته عام (٨٥ هـ / ٧٠٤ م)^٣ .

وبعد " عبد الملك " ، وجه " جرير " مدائحه كذلك الى شقيقه " عبد العزيز " والذي كان على ولاية مصر ما بين الاعوام (٦٥

١ - نفس المصدر ، ص ٩٩ ، البيت الثالث .

٢ - ونستنتج من الروايات التي تتحدث عن تلك الزيارة ، بان جريراً قد عاد الى العراق مع الوفد الذي يرأسه محمد ابن الحجاج .

٣ - هناك ثلاث قصائد مدح نظمت على شرف ذلك الخليفة ، الديوان ، الاولى ص

٩٦ (٢٢ بيتاً) والثانية ص ٣٥٤ (تسعة وعشرون بيتاً) والثالثة ص ٤٧٢

(سبعون بيتاً)

- ٨٥ هـ / ٦٨٤ - ٧٠٤ م) ^١. ولانملك اية معلومات يمكنها ان تقدم لنا تاريخاً محددا لاول اتصال بين والي مصر و " جرير ". ويمكننا الظن بان ذلك قد حدث بعد استقباله في البلاط الاموي. كما ولا توجد اية رواية تتحدث عن زيارة " جرير " لمصر. والشاعر فقط اشار الى تلك الزيارة في قصيدة مدح على شرف ذلك الامير ^٢.

ومهما كان الامر، فان المدائح الموجهة لهاتين الشخصيتين من الاسرة الحاكمة، أي الخليفة وشقيقه، تسمح لنا بتخليص المباديء السياسية التي سوف يعتنقها " جرير " والتي سوف يدافع عنها دونما كلل في قصائده على شرف الامويين. وهكذا، فان الشاعر قد تمسك باديء ذي بدء، بالتأكيد على حق الامويين في الخلافة. واستنادا اليه، يتمتع ذلك الحق بصفة مقدسة، كما انه تعبير عن العناية الالهية التي ترعى الامويين، الذين اختارهم الله. كما انه اندفع في مدح سياسة الخليفة الجالس على سدة الحكم دون ان يشغل نفسه كثيرا فيما اذا كانت تستجيب ام لا لمصالح الدولة العليا. و " جرير "، قد انجز تماماً واجبه كداعية للحكام، يقوم بتحمل مسؤولية الدفاع عن قبيلته امام اولئك الحكام، ومعبرا بذلك عن وفائه لقضيتهم، ومذكراً بروابط صلة الدم التي تربط تميماً بقيس، قبيلة الاسرة الحاكمة.

وهو ان يدافع عن السياسة الاموية، ومبدأ حق الخلافة الالهية، اصبح " جرير " حامل لواء الدعاية التي يعمل عليها نظام دمشق. ذلك

١ - حوله، انظر الانسيكلوبيديا الاسلامية، الجزء الاول، ص ٣٧، مقالة " زترستين Zettersteen".

٢ - الديوان، ص ٢٢٣ (قصيدة في ستة وعشرين بيتاً؛ البيت الخامس) انظر كذلك قصيدة اخرى من ثلاثة وثلاثين بيتاً، مكرسة لذلك الامير.

النظام الذي كان يتمسك بضرورة وجود سند قوي للسلطة، ومتعارضاً بذلك مع شعارات المعارضة. ففي الواقع وكما يقول " نالينو " تماماً ((فان قضية لمن يعود حق الخلافة، مشكلة تدور حولها جميع الصراعات المحلية في العصر الاموي، " خارج نطاق عداوات القبائل " انها مشكلة سياسية بقدر ما هي دينية))^١.

وهكذا، فان شاعرنا قد اعاد الى الازمان، المظهر المقدس للخلافة والحق الالهي للامويين في مدائحه لـ " عبد الملك " بقوله^٢:

يا آل مروان ان الله فضلكم

فضلاً عظيماً على من دينه البِدْعُ

وكما قال ايضاً^٣:

الله طوقك الخلافة والهدى

والله ليس لما قضى تبديل

ومع ذلك فقد كانت السياسة القبلية في العصر الاموي مليئة بالوقائع والتغييرات المفاجئة. وسترى كيف ستكون آثار تلك السياسة على شاعرنا.

ولكي يدافع عن قبيلته امام الامويين، الشغل الشاغل الآخر لـ " جرير "؛ فقد حاول ان يكسب رضى وعطف الامويين بتأكيدده على

١ - نالينو " Nallino "، ص ١٧٧ .

٢ - الديوان، ص ٣٥٦ (الاستاذ باسط)

٣ - الديوان، ص ٤٧٤ (الاستاذ كميل).

الخصوع التام لقبيلته، ومحاولاً بذلك محو آثار الموقف المعادي الذي اتخذته تميم تجاههم منذ الانشقاق الزبيري. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، لكي لا يتمتع اتحاد القبائل المعادي والمكون من ربيعة واليمانيين؛ لا يتمتعون وحدهم بالحظوة لدى الأسرة الحاكمة. وفي هذا الاتجاه، وفي معرض مدحه للامير " عبد العزيز ابن مروان " ، قال له^١:

(٧) فإن تميماً فاعلمن أخوكم

ومن خير من ابليت عافية شكرها

(٨) اذا شئتم هجتم تميماً فهجتم

ليوث الوغى يهصرن اعداءكم هصرا

ففي العام (٨٥ هـ / ٧٠٤ م)، خلف " الوليد " اباة " عبد الملك "، الذي وافته المنية في ذلك العام^٢. وكانت فترة حكمه، فترة ازدهار. وقد تم الانتصار على انتفاضات الخوارج كما خمد اتون الحروب الاهلية. و"الحجاج "، الوالي الحازم والمخلص لـ " عبد الملك "؛ سوف يبقى والياً ومحتفظاً بمنصبه خلال سنوات حكم " الوليد " العشرة: ونحن نجهل اين كان " جرير " عندما اعتلى " الوليد " العرش. ومع ذلك، فان قصيدة نظمها الشاعر على شرف "

١ - الديوان ، ص ٢٢٤ (الاستاذ الطويل).

٢ - حوله، انظر الانسيكلوبيديا الاسلامية، الصفحات (١١٧٠ - ١١٧١) مقالة الاب

" لامانس Lammens " .

عبد العزيز ابن الوليد "، يقول فيها الشاعر انه سوف يذهب اليه
قادماً من اليمامة^١:

دعوتك واليمامة دون اهلي

ولولا البعدُ أسمعك المنادي

ومهم كان الامر، فليست لدينا المعلومات الكافية حول تاريخ
اول زيارة قام بها " جرير " للخليفة الجديد. واذا ما كانت لدينا
الكثير من الروايات التي تتحدث عن اللقاءات بين الرجلين^٢، فلا يوجد
لدينا شيء بالمقابل يذكر بالتحديد تاريخ ذلك اللقاء. ومع ذلك،
يمكننا الاعتقاد بان شاعرنا لم يضيع وقتاً في الوصول الى باب الخليفة
بمناسبة تسلمه سدة الحكم؛ في الوقت الذي كان فيه معتاداً على
ارتياح البلاط الاموي.

ولكننا لا نجد سوى قصائد قصائد ثلاثة نُظمت على شرف
"الوليد"^٣. وفي احدى تلك القصائد يمجّد " جرير " الامر الذي
اعطاه " الوليد " بهدم كنيسة " سان جان بابتست " وبتوسيع جامع

١ - الديوان، ص ١١٧ (البيت السادس)

ملحوظة: (ذكرت ذلك البيت رغم عدم وجوده في النص لاثبات ما ذكر في الحاشية)
المترجمة.

٢ - انظر الاغاني، الجزء الثالث، الفصل الثامن، والثاني، الصفحات ٦٤ ، ٧٩ .

٣ - الديوان ص ٨ (قصيدة من خمسة عشر بيتاً)؛ وص ٣٨٢ (قصيدة من
ثلاثة وثلاثين بيتاً)؛ وص ٤٩١ (قصيدة من اربعة وثلاثين بيتاً).

دمشق الكبير، عام (٨٧ هـ / ٧٠٦ م)^١. وفي قصيدة اخرى^٢ يؤيد " جرير " مشروع الخليفة عندما اراد ان يجعل ابنه " عبد العزيز " ^٣ خليفة له على العرش بدلا من شقيقه " سليمان " الاحق بالعرش، وكان " الوليد " قد اقترح ذلك المشروع في آخر سنة من سني خلافته، كما ان " الحجاج " قد ايدَ وناصر ذلك المشروع، وكذلك " قتيبة ابن مسلم " حاكم خراسان^٤. ويعود " الحجاج " و " قتيبة " الى التحالف القيسي الذي يدافع عنه " جرير ". وعليه، فاذا ما كان " جرير " قد اصبح صدى لرغبة " الوليد "، فذلك لانه لم يكن يريد فقط ادخال السرور على قلب الخليفة وهو يندفع لتأييد سياسته من غير الاهتمام بالعواقب؛ وانما لكي يتابع كذلك مصالح قبيلته، وتأمين المستقبل وضمان رعاية وعطف الخليفة المحتمل. الانراه ان يؤيد ذلك المشروع باصرار^٥:

(٥) رأوا عبد العزيز ولي عهد

وما ظلموا بذاك ولا أساءوا

-
- ١ - حول قصة تلك الكنيسة، انظر دراسة الاب لامنس ص ٢٦٩ . انظر كذلك الديوان ص ٤٩٣ ، (البيت الثالث) .
 - ٢ - الديوان ص ٨ .
 - ٣ - حول ذلك الامير، انظر الانسيكلوبيديا الاسلامية، الجزء الاول، الصفحات (٣٧ - ٣٨) (مقالة زترستين Zettersteen) .
 - ٤ - الطبري، الجزء الثاني، الصفحات ١٢٧٤ - ١٢٧٥ ، وكذلك ابن الاثير، الجزء الخامس، ص ٥ ، وكذلك النقائض، ص ٣٥١ .
 - ٥ - حوله انظر الانسيكلوبيديا الاسلامية، الجزء الثاني، ص ١٢٣٢ ، مقالة " زترستين Zettersteen " .
 - ٦ - الديوان، ص ٩ ؛ انظر الديوان كذلك ص ٣٥٧ حيث يوجد بيت بذلك المعنى.

(٦) فَرَحَلِفَهَا بِأَزْمَلِهَا إِلَيْهِ،

امير المؤمنين، اذا تشاء

(٧) فَإِنْ النَّاسُ قَدْ مَدَّوْا إِلَيْهِ

الفُهْمُ، وَقَدْ بَرَحَ الْخَفَاءُ

وعلى أي حال، فانتنا نلاحظ ان القصائد المنظومة على شرف الخليفة، " الوليد "، معدودة اذا ما قيسست بالنسبة لسني حكم " الوليد " العشرة. ويبدو ان " الوليد " الذي كان يفضل شاعراً آخر لم يكن قد رحب باستقبال " جرير ". وتَنَقَّلُ احدى الروايات ان " الوليد " قد اراد حتى ان يقتص منه وذلك لان " جريرا " كان قد تهجَّم على شاعره المفضل^١.

وفي المقابل، يبدو ان العلاقات بين شاعرنا والامير " عبد العزيز " قد تميزت بطابع كرم الامير لان " جريرا " كان قد نظم على شرفه ست قصائد من بينها " مرثية " لدى وفاته^٢.

وفيما بين السنوات (٨٧ هـ - ٩٣ هـ / ٧٠٦م - ٧١٢ م)، نجد شاعرنا في المدينة يتغنى بواليتها " عمر ابن عبد العزيز " ^٣. وظل هناك

١ - انظر الاغاني، الجزء الثالث، الفصل الثامن، ص ٨٠ . يقصد علي بن الرقاع، الشاعر المفضل لدى الوليد.

٢ - الديوان، ص ٩ و ص ١١٦ و ص ١٢١ و ص ٢٢٥ و ص ٣٦٦ و ص ٤٣٤ .

٣ - عمر بن عبد العزيز، والي المدينة ثم الخليفة مابين (٩٩-١٠١ هـ/ ٧١٨-٧٢٠م)، وحوله انظر الانسيكلوبيديا الاسلامية، الجزء الثالث، ص ١٠٤٤ - ١٠٤٦ (مقالة زترستين Zettersteen)؛ الديوان كذلك ص ١٣٤ وهي قصيدة على

فترة لا يمكن تحديد تاريخ لها. وخلال بقائه هناك، عاقب الوالي " عمر ابن عبد العزيز " الشاعر وأحد منافسيه بسبب تبادلهما السباب^١.

اما بخصوص علاقات " جرير " و " الحجاج " في ظل حكم " الوليد "، فليست لدينا مع الاسف معلومات تسمح لنا برصد تطورها. ولايوجد ما يشير من جهة اخرى الى أي تغيير في مسارها. فالرجلان في الواقع يؤيدان نفس السياسة، ويخدمان نفس الخليفة كما انهما يقفان نفس الموقف بالنسبة للمصالح الخاصة بكل منهما. ولسوف نرى مع ذلك، كيف ان ذلك الموقف الثابت سيكون له تأثيره على علاقات " جرير " مع خليفة " الوليد " وممثليه في العراق.

وعلى أي حال، فقد توفي " الوليد " قبل ان يستطيع تأمين الخلافة لابنه. ومن ثم أصبح " سليمان ابن عبد الملك " هو الخليفة عن حق، وتسلم السلطة عام (٩٦ - ٩٩ هـ / ٧١٥ - ٧١٨ م)^٢. وقبل ذلك بوقت قصير، توفي " الحجاج " والذي اعتبره الخليفة الجديد عدوه المباشر، بسبب تأييده لخلافة " عبد العزيز ابن الوليد ". وقد ظهر عدو آخر لـ " سليمان " ولنفس الاسباب خلال اولى سنوات حكمه هو " قتيبة ابن مسلم " حاكم خراسان؛ والذي قام باغتياله اليربوعي " وقيع ابن حسان " خلال الحرب الاهلية التي اندلعت في خراسان

شرف عمر ابن عبد العزيز عندما كان في المدينة وكما يشير البيت الاول
ص ١٣٦ .

١ - انظر الاغاني، الجزء الثالث، الفصل الثامن، ص ٨٢ . واستنادا الى الرواية التي تتحدث عن ذلك العقاب، فان الشاعر " عمر ابن لجأ " هو الذي عوقب كما عوقب " جرير ".

٢ - انظر حوله، الانسيكلوبيديا الاسلامية، الجزء الرابع، ص ٥٥٦ (مقالة زترستين Zettersteen).

غداة وصول " سليمان " الى سدة الحكم^١. وبفقدان هاتين الشخصيتين اللامعتين، فقد التحالف القيسي رمز قوته امام السلطة المركزية. ومن جهة اخرى، وجد ذلك التحالف نفسه امام عداوة خليفة سببها موقف هاتين الشخصيتين اللذين كانا يستهدفان حقه في السلطة. وقد تسبب مقتل " قتيبة " على يد يربوعي، في حدوث انقسام خطير في صفوف ذلك التحالف القبلي. وفي المقابل، بدأ نجم التحالف المعادي والمتكون من اليمانيين وربيعه؛ بدأ يسطع^٢.

وكان الخليفة " سليمان " قد اصدر امرا بتوليته " يزيد ابن المهلب " واليا على العراق عام (٩٦ هـ / ٧١٥ م)، وبعد ذلك بعام واحد اصدر امرا بالحاق ولاية خراسان بسلطة والي العراق^٣.

ومع ذلك، فمن الصعب تحديد الظروف التي دفعت شاعرنا لزيارة الخليفة الجديد، وهي زيارة ذكرتها احدى الروايات؛ وحيث كان " جرير " آنذاك على مشارف الستين من العمر، غداة تسلم " سليمان " السلطة^٤. ويمكننا ان نفترض ان مشاعر الشاعر القيسية والحماس

١ - حول وقيع ابن الحسن والاضطرابات التي ادت الى اغتيال قتيبة، انظر الطبري، الجزء الثاني، ص ١٢٨٤، وابن الاثير، الجزء الخامس، ص ٧؛ وكذلك النقائض ص ٣٥١، انظر كذلك (بيريه Perier)، الحجاج، ص ٣٣٧.

٢ - حول موقف ذلك التحالف القبلي في ظل حكم سليمان، انظر الزهيري، وكذلك النقائض، الصفحات ١٧٩ - ١٨٠.

٣ - حوله، انظر الانسيكلوبيديا الاسلامية، الجزء الرابع، ص ١٢٢٧ (مقالة زترستين Zettersteen).

٤ - انظر ابن سلام، الصفحات ٣٤٠ - ٣٤١. وبغير تحديد المكان، فانه يتحدث عن لقاء بين جرير والفرزدق في بلاط الخليفة سليمان في حين نرى في

الذي اظهره في مدحه " للحجاج "، والتأييد الذي اعلنه لمشروع خلافة " ابن الوليد "؛ كل ذلك اثار سخط " سليمان " . ولذلك تردد " جرير " بعض الوقت قبل القيام بتلك الزيارة. وربما نرى ان ما قام به " الوقيع " ، احد افراد قبيلته الذي اغتال " قتيبة ابن مسلم "، كان عاملاً مشجعاً لشاعرنا، فقد كان " سليمان " راضياً تماماً لسماعه ذلك النبأ^١. ومع ذلك، فسوف نرى شاعرنا قد استغل ذلك الحدث حجة دامغة امام منافسيه.

ومهما كان الامر، لا نجد سوى قصيدة مدح واحدة لـ "سليمان"^٢. ونستطيع ان نستشف من تلك القصيدة كيف حاول " جرير " ان يهدىء من روع الخليفة، مع خوفه من امكانية مناقضة ارائه التي كان قد اعرب عنها قبل ذلك بقليل. وهكذا خاطب الخليفة بتلك القصيدة ليؤكد على الاجماع المعقود حول شخصه^٣:

صفت لك ببيعة بثبات عهد

فوزن العدل اصبح لايميل

النقائض، وعلى ذكر ذلك اللقاء، يكون قد تم في المدينة اثناء تأدية الخليفة فريضة الحج، ص ٣٨٣ - ٣٨٤ .

١ - انظر النقائض، ص ٣٦٦ . وعندما كان سليمان يؤدي فريضة الحج في مكة، اعرب عن استيائه عندما علم بالاضطرابات التي اثارها تميم وبتوجيه من " الوقيع "، وبعد ذلك اعرب عن رضاه وارتياحه عندما علم ان " الوقيع " قد قدم له خدمة جليلة باغتياله " قتيبة " .

٢ - الديوان، ص ٤٣١ ، (قصيدة في سبعة وعشرين بيتاً) .

٣ - الديوان، ص ٤٣٢ .

ودائماً، لكي يخفف من استياء " سليمان "، فان " جريرا " قد اندفع في نفس القصيدة، حتى الى التناول على ذكرى " الحجاج "، ولي نعمته السابق والذي كال له المديح في حماس واندفاع، " الحجاج " الذي قدم له خدمة كبيرة بتقديمه الى البلاط الاموي^١. وهناك قصيدة اخرى نظمها " جرير " على شرف " ايوب ابن سليمان " والذي قرر الخليفة " سليمان " في عام (٩٨ هـ / ٧١٧ م) ان يعلنه وريثاً لعرش الخلافة^٢.

و " جرير " المستعد دوماً لتأييد سياسة الخليفة الذي في السلطة، فقد ساند ذلك القرار كما كان فعل مع " عبد العزيز ابن الوليد "؛ وهكذا يتغنى " جرير " بالخليفة المنتظر^٣:

ان الامام الذي ترجى نوافله

بعد الامام ولي العهد ايوب

وكان الامير " ايوب " قد وافته المنية قبيل ابيه أي عام (٩٩ هـ / ٧١٨ م)، ولهذا لم يصل لعرش الخلافة.

ولم يقم " جرير " في شعره على شرف هاتين الشخصيتين الا بترديد موضوعة الدعاية لصالح الامويين؛ والتي كان يرددها في

١ - وهكذا يصف الشاعر استغلال والي السابق لسلطته، وعذابات سجنائه في سجن الدماس المشهور. الديوان ص ٤٣٣ (الابيات من ١ - ٦) وحول ذلك السجن انظر: ابن حزم ، ص ٢٧٩ ، وكذلك ياقوت الحموي، الجزء الثاني، ص ٧١٤ .

٢ - انظر الطبري، الجزء الثاني ص ١٣١٧ ؛ وابن عساكر، الجزء الثالث، ص ٢٠٦ .

٣ - الديوان، ص ٣٤ ، قصيدة مديح في اثنين واربعين بيتاً.

مدائحهم لاسلافهما حول حق الامويين المقدس في الخلافة.. وبان الله قد أثر خلفاءهم^١.

ونلاحظ من جانب آخر، ان " جريرا " لم ينظم اية قصيدة مديح على شرف " يزيد ابن المهلب " والي العراق الازدي في ظل خلافة " سليمان ". كما ولا تذكر اية رواية خبراً عن اية زيارة قام بها " جرير " لذلك الوالي. هذا، ولم يكن الموقف العنيف المسبق الذي اتخذه ذلك الوالي تجاه اليمانيين ليشجع الشاعر، كما يبدو، على الذهاب اليه ليمدحه في ذلك الوقت الذي اجبت فيه سياسة الوالي العصيات القبلية والتي اشتدت في العراق على وجه الخصوص.

وفي عام (٩٩ هـ / ٧١٨ م)، جلس الخليفة " عمر ابن عبد العزيز " على سدة السلطة بعد موت " سليمان " في نفس العام. وقد امر الخليفة الجديد بعزل والي العراق وايداعه السجن^٢. وامر بتعيين " عدي ابن ارطاة " والياً على البصرة بدلا منه، وهو من قبيلة قيس فزارة. وسوف يظل في منصبه طوال فترة خلافة " عمر ابن عبد العزيز " (٩٩ - ١٠١ هـ / ٧١٨ - ٧٢٠ م)^٣.

ومن جهة اخرى فقد طلب الخليفة " عمر ابن عبد العزيز " من واليه القاء القبض على جميع اولاد " المهلب " ، وهي الاسرة التي تمثل في العراق قوة التحالف بين اليمانيين وربيعة.

١ - الديوان، ص ٣٥ (الابيات من ٢ - ٥).

٢ - انظر " بيللا Pellar " ، الجاحظ ص ٢٧ .

٣ - حول ذلك الوالي؛ انظر المصدر السابق، بيللا والذي يستند الى الطبري والبلاذري والفتوح، وابن الاثير.

واذا ما نظرنا الى تلك السياسة على الصعيد القبلي، هل تتضمن تلك السياسة في الواقع ثاراً لصالح التحالف القيسي؟ لسوف نرى كيف ان "جريرا" سوف يستغل ذلك التغيير الذي حدث لصالح قبيلته عندما يوطد علاقاته مع الخليفة الجديد.

وكان " جرير " يقترب من السبعين عندما قام بزيارة الخليفة " عمر ابن عبد العزيز " حال توليه الخلافة. وكان قادماً من اليمامة استناداً الى ما تدعيه احدى الروايات التي تتحدث عن ذلك اللقاء وظروفه^١. وكان عمر في البداية قد رفض استقبال " جرير "، وذلك علماً بعدم تعاطف الخليفة التقي الورع مع الشعراء. ولكن " جريرا " قد نجح في دفعه الى استقبله، فقد كان قد مدّحه في المدينة عندما كان والياً عليها، وسوف يمدحه في مناسبات عدة خلال سني خلافته كما تشهد بذلك القصائد الثلاث التي نظمها على شرفه^٢. وفي مدائحه للخليفة " عمر " لم يتوقف "جرير " عن التأكيد من جديد ودونما كلل على حق الامويين في الخلافة^٣. ومن جهة اخرى، فقد قدّم التحالف القيسي القوي في ظل خلافة " عمر " قدّم لـ " جرير "

١ - تقول رواية في الاغاني، الجزء الثالث، ص ٤٧ - ٤٩ ، بان جريرا وامام رفض الخليفة استقبله، كان قد طلب من " عون ابن عبد الله " احد قراء القرآن (الجزء التاسع ، ص ١٣٩ - ١٤٠)، طلب منه التدخل لدى الخليفة . وتقول رواية اخرى في " المستطرف " الجزء الاول، ص ٧٢ - ٧٤ بان عدي ابن ارطأة هو الذي كان الوسيط.

٢ - الديوان، (ص ٢٧٤ ، قصيدة من ٢٩ بيتاً، ص ٤١٥ خمسة ابيات، وص ٥٠٩ من ثلاثون بيتاً، وقصيدة مدح، ص ٣٠٤ من ثلاثة ابيات).

٣ - نفس المصدر، الديوان، ص ٢٧٥ ، (الابيات السادس والتاسع)، وص ٥١١ (البيت الثامن).

الفرصة المواتية لمضاعفة جهوده للتقريب بين تحزبه والاسرة الحاكمة. ولم يتوقف " جرير " مطلقاً عن تذكير " عمر " بروابط الدم القائمة بين اسرته وبين القيسيين وعلى وجه الخصوص مع تميم^١ ومن جهة اخرى، لم نجد أي اثر لزيارة قام بها " جرير " الى عدي في البصرة. ومن المحتمل على أي حال، ان يكون الانقسام الذي حدث في صفوف التحالف القيسي غداة اغتيال " قتيبة " على يد " وقيع " اليربوعي، قد القى بجراحات عميقة في ظل ذلك الوالي كذلك. وهكذا، امتنع " جرير " عن الاتصال بالوالي وعن مدحه، لان " عدي " الوالي يعود الى قبيلة " فزارة " القريبة من قبيلة " قتيبة ".

ومهما كان الامر، ستصبح العراق غداة وفاة " عمر بن عبد العزيز " مسرحاً لاحداث جديدة و خطيرة تضع قضية النظام الاموي في الميزان.

في الوقت الذي تولى فيه " يزيد ابن عبد الملك " ^٣ الخلافة بعد وفاة " عمر " عام (١٠١هـ / ٧٢٠ م)، وصل " يزيد ابن المهلب " الذي هرب من سجن الخليفة السابق؛ الى البصرة. وهناك اعلن ثورة ضد الامويين جامعاً حوله الازد، قبيلته الاصلية وربيعه حلفائهم

١ - الديوان، ص ٢٧٥ (البيت الاخير)، وص ٥١١ (البيت الخامس).

٢ - " فزارة " و " باهلة " التي يتحدر منها " قتيبة "، فرعان لقبيلة سعد القيسية. انظر " بيللا Pellar "، الجاحظ، اللوحة الخامسة.

٣ - انظر حوله، الانسيكلوبيديا الاسلامية، الجزء الرابع، ص ١٢٢٦ (مقالة الاب لامانس Lammens).

الدائمين^١. ووجد التحالف القيسي الذي تمثله تميم بشكل رئيسي في تلك المدينة؛ وجد نفسه امام تمرد ازدي ضد " عدي " الوالي " الفزاري " في البصرة، فالتفوا حوله. ومع ذلك قُتل " عدي " واصبح " المهلب " سيد البصرة. ولوضع حد لذلك، ارسل الامويون عام (١٠٢ هـ / ٧٢١ م) جيشاً بقيادة " مسلمة "، شقيق الخليفة الجديد. وقد ساعدت تميم الجيش الاموي، واستطاع " مسلمة " في نفس العام ان يلحق بالمتنرد " يزيد " هزيمة دامية وساحقة بالقرب من الكوفة. كما تمت مطاردة جميع افراد اسرته الآخرين وحتى مدينة " كرمان ".

وقد خرج الخليفة الاموي منتصرا من تلك التجربة، ولكن وجهة النظر القبلية بالمقابل، جعلت من التحالف القيسي، النصر المعنوي في ذلك التصادم.

وهو انتصار معنوي على وجه الخصوص، لتميم ولرئيسها " هلال ابن احوز " ^٢ و " هريم ابن ابي طحمة " ^٣ والليذان تميزا بخدماتهما الجلى للامويين منذ احداث ذلك المتنرد.

١ - حول متنرد " يزيد ابن المهلب " ونهايته، انظر " بيللا Pellar " ، الجاحظ، ص ٢٧٢ ، والذي يستند الى الطبري والمسعودي وابي حديد.

٢ - لقد تم تعيين " مسلمة " والياً على العراق، بعد هزيمة " يزيد ابن المهلب "، وظل في الولاية حتى عام (١٠٣ هـ / ٧٢١ م). حوله انظر الانسيكلوبيديا الاسلامية، الجزء الثالث، ص ٤٤٧ - ٤٤٨ (مقالة الاب لامانس Lammens).

٣ - ينتسب ذلك الرئيس الى قبيلة تميم، من فرعها "مازن". وهو الذي طارد المهلبيين حتى "كرمان". انظر حوله الطبري، الجزء الثاني، ص ١٤٢١ ، وابن حزم، ص ٢٠١ وابن الاثير، ص ٦٥ ، الجزء الخامس.

٤ - ينتسب " هريم " الى قبيلة مجاشع، وقد قتل المهلبيين الى جانب هلال. انظر حوله ابن دريد، ص ١٤٨ ؛ والبيان للجاحظ، الجزء الاول، ص ٣٩٠ .

فأين شاعرنا اذن من تلك الاحداث؟ نحن لا نعلم شيئاً عن ذلك، بنفس القدر الذي لا نملك فيه سوى معلومات ضئيلة حول زيارته للخليفة الجديد؛ وحيث نجد اشارات لتلك الزيارات في اربعة قصائد وصلت الينا^١. وتقول تلك الاشارات ان الشاعر كان يقوم بالزيارات وهو قادم من اليمامة^٢.

ومن جهة اخرى، نحن نجهل اذا ما كان " جرير " قد ارتبط بعلاقات مع ولاية العراق في ظل سلطة "يزيد ابن عبد الملك ". وفي مقطع وحيد ذكر اسم " مسلمة " و " عمر ابن حبيرة " الذي جاء من بعده فيما بين (١٠٣ - ١٠٥ هـ / ٧٢١ - ٧٢٣ م)^٣، والذي لم يكن مطلقاً موضوعاً لاية قصيدة مديح، ولكنه كان يتضرع بواسطة " جرير " عندما القي القبض عليه فيما بعد وكما سنرى.

ومن المحتمل ان يكون شاعرنا، وقد شارف على السبعين، قد قلل من تنقلاته وحدد زيارته للخليفة فقط وحاشيته.

ومن بين تلك الحاشية، تغنى " جرير " بالامير العباسي^٤ " ابن الوليد " والذي ساهم مع عمه في القضاء على " ابن المهلب ".

١ - الديوان، ص ٢١٦ (قصيدة من ٣٩ بيتاً) وص ٢٥٢ (قصيدة من ستة واربعين بيتاً) وص ٣٥٢ (قصيدة من ثلاثين بيتاً) وص ٣٨٥ (قصيدة من ثمانين وخمسين بيتاً).

٢ - المصدر السابق، ص ٢١٦ (انظر البيت الثالث) و ص ٢٥٥ (انظر البيت السادس).

٣ - الديوان، ص ١٠٤ .

٤ - حول ذلك الامير الاموي، انظر الانسيكلوبيديا الاسلامية، الجزء الاول، ص ١٢ (مقالة زترستين Zettersteen).

وهكذا، وفي واحدة من القصائد الثلاث على شرف ذلك الامير^١ يتغنى " جرير " بمآثره ضد التمرد المهلبي، ذاكراً بعض اسماء ضحايا المهلبي والذين ينتسبون اما الى " فزارة " او الى " تميم " والذي انتقم لهم الامير بجدارة^٢.

وفي الواقع، استغل شاعرنا للنهاية فشل المعسكر المعادي، ولم يتوقف ابدا عن مهاجمة المهلبيين، بروحية النصير الاكيد في قصائده على شرف " اليزيد ابن عبد الملك " ^٣. وكان بذلك يرغب في ابقاء الخليفة على موقف العداء تجاه انصار المعسكر المعادي: الازد وربيعة. وهو اذ يفاخر بالمساهمة التي قدمتها تميم لانجاز ذلك النصر، فانه يستغل الموقف ليؤكد ايضا على اهمية تلك القبيلة من جهة، وعلى اخلاصها للمسؤولين من جهة اخرى. وذلك، من غير ان ينسى التأكيد مرة اخرى على روابط الدم بين تميم وقريش.

١ - الديوان، ص ١٨ (قصيدة من ستة عشر بيتا) وص ١٥٨ (قصيدة من تسعة عشر بيتا) وص ٢١٩ (قصيدة من ستة وعشرين بيتا).

٢ - في الديوان، ص ٢٢١ (البيت العاشر)، يذكر الشاعر اولئك الضحايا: "عبد الملك ابن نسمة" وشقيقه "عامر" (انظر الطبري ، الجزء الثاني ، ص ١٤٠٩ ، وابن حزم ص ٣٠١) وكذلك " عدي ابن اربطة " والي البصرة من فزارة (انظر المصدر السابق ص ٧٨)، و " الحيار ابن صبرا " والي عمان من قبيلة مجاشع بين ٩٩ - ١٠١ / ٥ - ٧١٨ - ٧٢٠ م). (انظر ابن دريد، ص ١٤٧ ؛ وكذلك النقائض، ص ٩٧٤ وص ٩٩٣)

٣ - الديوان، ص ٢١٩ (البيت الخامس وما يليه)، وص ٢٥٦ (الابيات الثالث والخامس)، وص ٣٩٠ (الابيات الخامس عشر وما يليه).

وهكذا، وفي قصيدة من (تسعة وخمسين بيتاً)، على شرف " هلال ابن احوز " ، الرئيس التميمي الذي شارك في القضاء على المهلبين، نراه يقول^١:

(١٥) فلولا ان اخوتنا قريشُ

وانا لا نُحِلُّ لهم حراما

(١) وانهم ولاة الامر فينا

وخير الناس عفواً وانتقاما

(٢) لكانَ لنا على الاقوام خرجُ

وسُمننا الناس كلهم ظلاما

وعلى أي حال، فإن التحالف القيسي في عصر " يزيد ابن عبد الملك"، قد حقق قفزة على الصعيد السياسي كما القبلي. وفي المقابل، فإنه يسجل تراجعاً في عصر خلفه " هشام"، لصالح التحالف المعادي لتقليديا له، والذي يتكون كما سنرى من اليمانيين وربيعة.

و " جرير " بدوره، والذي ارتبطت حياته كشاعر بحياة عصره السياسية، قد عانى كذلك من آثار ذلك التغيير الحاصل في ظل الخليفة الجديد.

وبعد وفاة " يزيد ابن عبد الملك " ، خلفه شقيقه " هشام ابن عبد الملك " على سدة الحكم ما بين (١٠٥ - ١٢٥ هـ / ٧٢٥ - ٧٤٣ م)^٢.

١ - الديوان، ص ٥٤٠ و ص ٥٤١ .

٢ - انظر حوله الانسيكلوبيديا الاسلامية، الجزء الرابع، الصفحات (٣٣٧-٣٣٨)؛
مقالة " زترستين Zettersteen ".

وقد عين الخليفة الجديد والياً على العراق من اصل يمانى، هو " خالد ابن عبد الله القسري" (١٠٥-١٢٠ هـ / ٧٢٥- ٧٣٨ م). وكان ذلك الوالى متعصباً جداً لميوله القبلية، واتخذ موقفاً مسبقاً واضحاً من التحالف القيسي. وحال وصوله العراق؛ اتبع سياسة حازمة تجاه شخصيات ذلك التحالف؛ بادئاً بالقاء القبض على سلفه " عمر ابن هبيرة الفزاري" ٢.

و " جرير " الذي جاوز السبعين من العمر، سيواصل كذلك جهوده في سنوات عمره الباقية؛ الدفاع عن قبيلته امام الحكام الجدد. ومع ذلك، فعلاقاته مع " هشام ابن عبد الملك " ليست واضحة تماماً. فاذا ما كانت هناك اشارتنا تتحدثان عن حضوره لدى الخليفة " هشام" ٣، ففي المقابل لدينا اربع قصائد مكرسة له ٤.

١ - حوله، انظر، الانسيكلوبيديا الاسلامية، الجزء الثاني، ص ٩٢٩ ، (مقالة زترستين Zettersteen)

٢ - انظر ابن سلام ، ص ٢٩١ . وتلقى الفرزدق نفس المصير. انظر المصدر السابق، ص ٢٩٤ ؛ وكذلك الاغانى، الجزء الثاني، الفصل التاسع عشر، ص ٢٤، وقد امر " خالد " بقتل التميمي " عمر ابن يزيد الاسيدي" رئيس الشرطة في عهد الحجاج؛ وانظر كذلك ابن سلام (ص ٢٩٨ - ٢٩٩) والاغانى ، الجزء الثالث، الفصل الثاني، ص ٤٢٣، وابن الاثير، الجزء الخامس، ص ١٠٧ .

٣ - انظر النقائض، ص ٩٨٤ ، وكذلك معجم الشعراء، المرزباني، ص ٣٦٤ .

٤ - الديوان: اربع قصائد: ص ٣ (قصيدة في ثلاثة وثلاثين بيتا)، وص ١٤٦ (قصيدة في ثمانية واربعين بيتا)، وص ٥٠٢ (قصيدة في خمسة وخمسين بيتا)، وص ٥٠٦ (قصيدة في اربعة وعشرين بيتا) .

وكان " جرير " في قصائده يستعيد موضوعاً أصبحت " ماركة مسجلة " في مدائحه للامويين؛ كما حق تلك الاسرة في السلطة، واستحقاق الخلافة، التي هي اختيار من الله جلّ وعلاً...الخ. ولانشك في ان شاعرنا لا ينسى واجبه القبلي وخاصة في تلك اللحظة التي أصبح فيها التحالف القبلي ملاحقاً في العراق. ولذلك كان يناشد في لهجة ضارعة مرارا وتكراراً عطف الخليفة وعفوه عن تميم^١.

وهنا، نجد انفسنا ابعد ما نكون عن رؤية " جرير " ذي الكبرياء والفخار عندما كان يتحدث عن قبيلته امام المسؤولين في ظل حكم " يزيد ابن عبد الملك ". ففي ذلك العصر، كانت تميم تحتل موقعا قوياً يعود الى مساعدتهم الامويين غداة التمرد المهلبي. والآن، وقد اقتص اليمانيون لانفسهم واخذوا المبادرة، وذلك بفضل احد اقربائهم " خالد القسري "، فان " جريرا " كان يتصرف بروحية من يريد الدفاع عن قبيلته وعلى روابطها مع المسؤولين.

ومع ذلك، فقد وقع حادث في العام (١٠٧ هـ / ٧٢٧ م)، قدم لـ " جرير " الفرصة لمهاجمة اليمانيين. ففي ذلك العام قاد " عباد الرعيني " تمرداً في اليمن^٢. ولكن تمت السيطرة على الموقف وسُحق التمرد. وفي قصيدة وجهها " جرير " على شرف " معاوية ابن هشام "،^٣ عبر عن فرحه وحبوره لهزيمة " اليمانيين ". ونراه، وهو المنتمي وله اهدافه، قد انتهز الفرصة ليعيد الى الانهال انتفاضات " ابن

١ - الديوان: ص ٥ (البيت الثاني)، ص ٥٠٨ (البيت السادس).

٢ - انظر، حول ذلك التمرد وصاحبه، انظر الطبري، الجزء الثاني، ص ١٤٨٧ ؛

وكذلك ابن الاثير، الجزء الخامس، ص ١٠٤

٣ - الديوان، ص ١٥٢ (قصيدة من خمسين بيتاً).

الاشعث " و " يزيد ابن المهلب " وكلاهما من اصل يمانى؛ ومحاولاً بذلك اشارة غضب الخليفة وسخط الامويين على معسكر القبائل المعادي.

ومن جهة اخرى، نعثر على قصيدة مديح يتغنى فيها بـ " خالد القسري "؛ وذلك بالطبع واقع متناقض! فقد كان ذلك الوالى، وكما رأينا، الاكثر عداً للتحالف القبلي الذي ينتمي اليه " جرير ". ونلاحظ على أي حال، ان شاعرنا على غير عادته، لم يجعل من قصيدة المديح تلك عرضاً لمواهبه او اشارة منه الى اية احتياجات مادية. كما انه، لا يشير فيها الى أي اتصال كان مع " خالد "، وليكن مُسبقاً. ومع ذلك، لا نجد أي اثر يدل على وجود مثل تلك العلاقة. ويتدخل " جرير " في قصيدته تلك لدى الوالى لصالح ذلك التميمي، أحد المنافسين، والقابع في سجون ذلك الوالى؛ راجياً الافراج عنه^١. ولا نستطيع ان نستبعد ان " جريرا " كان قد نظم تلك القصيدة بهدف الافراج عن السجين، ومستجيباً بذلك التصرف الى روح التضامن الذي اعرب التحالف القيسي^٢ عنه بهذا الخصوص.

وهناك شخصية اخرى في ذلك العصر تغنى بها " جرير " وهو " المهاجر ابن عبد الله الكلابي "،^٣ والى اليمامة في ظل حكم " هشام

١ - الديوان، ص ١٧٤ (قصيدة في ثمانى وستين بيتاً)

٢ - يقصد هنا الفرزدق، الديوان، ص ١٧٨ (البيت السادس وما يليه).

٣ - يذكر ابن سلام، ص ٢٩٥ ، ان القيسيين في الواقع قد اعربوا عن استيائهم من موقف " خالد "، وقدموا شكواهم الى " هشام " طالبيين منه التدخل لصالح الفرزدق.

٤ - انظر حوله، ابن حزم، ص ٢٦٥ ؛ وكذلك النقائض، الصفحات ٥٣٩ ، ٩٣٤ .

ابن عبد الملك " (١٠٥ هـ - ؟ / ٧٢٤ م - ؟) . ولدينا قصيدتي مديح على شرفه^١ . وانه كما يبدو، المسؤول الوحيد في اليمامة الذي ارتبط الشاعر بعلاقة معه. وتفسير ذلك، تقدمه حقيقة ان تلك المرحلة لم تكن مواتية تماماً لـ " جرير "؛ ولذلك فقد تمسك الشاعر بالتقرب من ذلك الوالي، والذي كان في نهاية الامر قيسياً بدوره.

ومهما كان الامر، فقد اضطر " جرير " وكما يبدو، الى تعليق زيارته للخليفة " هشام ابن عبد الملك " لبضع سنوات قبل رحيله. وهكذا نراه يتحدث عن تقدمه في السن وعن صعوبة تلك السنوات التي ينوء بحملها، ويقدم اعتذاراته للخليفة عن عدم امكانية قيامه شخصياً بزيارته^٢ لتلك الاسباب المذكورة.

وعلى أي حال، واستنادا الى فقرة ذكرها " المرزباني " فان " جريرا " في احدى زيارته للخليفة " هشام ابن عبد الملك " كان قد استمع الى شاعر يدعى " سهل ابن كثير "، قدموه للخليفة على انه الشاعر المفضل لديه، واستمع اليه يتلو قصيدة اعتبرها لاتليق. وقد غادر " جرير " البلاط بعدها ولم يعد ابدا الى زيارة الخليفة يائساً من امكانية تقدير مواهبه في بلاط لم يعد له مكان فيه^٣.

ومهما كان رأينا حول تلك الرواية، يمكننا ان نستشف الاحباط الذي شعر به شاعرنا وازافة الى غيره من الاحباطات الكثيرة الاخرى والتي رأينا مختلف مراحلها عبر علاقاته مع اسلاف " هشام ".

١ - الديوان: ص ٣٩ (قصيدة من تسعة عشر بيتا) وص ١٢٥ (قصيدة من عشرة ابيات) .

٢ - الديوان: ص ٥٠٤ (الابيات العاشر الى الثالث عشر) .

٣ - المرزباني، معجم الشعراء، ص ٣٦٤ .

لقد كرس " جرير "، طوال اربعين عاما، معظم مواهبه الشعرية لخدمة الامويين؛ خلفاء كانوا، ام امراء ، ام ولاة . فماذا كان موقف هؤلاء اذن من تلك الخدمات؟

لقد اكرموا وفادته بالتأكيد كما فعلوا مع غيره من الشعراء، وقدموا له العطايا وبنفس الطريقة. وعلى أي حال، لم يستطع الشاعر ابداً ان يحمل لقب الداعية لاحد من خلفاء دمشق. على العكس، لم يتردد البعض منهم، كما " عبد الملك " وشقيقه " الوليد " مثلاً، في اذلاله في مختلف الظروف، حيث اتخذوا موقفاً مسبقاً منه لصالح شعرائهم المفضلين^١. وزيادة على ذلك، استقبله سليمان في برود؛ وعندما كان " عمر ابن عبد العزيز " والياً على المدينة انزل به العقاب؛ وعندما اصبح خليفة، لم يسمح له بالاقتراب منه الا بعد الحاح احد افراد حاشيته كما رأينا.

اما لا ابالية الامويين تجاه " جرير "، فيشرحها على ما نظن، مكره وافتقاره للصراحة. وكانت عواطف الشاعر في الواقع تتبدل حسب الظروف. لقد حاول ان يمدح " عبد الملك " في الوقت الذي يتهم على الزبير، ولكن بعد هزيمة ابن الزبير النهائية وليس قبل ذلك . ولم يتردد في تأييد مشروع ترشيح " عبد العزيز " للخلافة في ظل والده " الوليد "؛ ومن ثم قام بزيارة الخليفة " سليمان " بل ومديحه

١ - ولكن يظهر " عبد الملك " احتقاره للشاعر، وانه يفضل الاخلط عليه، طلب من الاخلط ان يركب على ظهر " جرير "، (الجاحظ، التاج، ص ١٣٣؛ والقالي، وذيل الامالي، ص ٤٣). وقد اراد " الوليد " ان ينزل نفس العقاب بالشاعر الذي هاجم "عدي ابن أرطأة"؛ انظر ابن سلام، ص ٣٢٤، والاغاني، الجزء الثالث، الفصل الثامن، ص ٧٩ .

وهو يعلم تماماً ان مثل ذلك المشروع تهديد واضح لمصالح " سليمان".

ان مواقف كتلك يمكنها ان تهديء من غرور الحكام، الا انها لاتشعرهم بالثقة. واطافة الى ذلك، فان انتساب الشاعر للتحالف القيسي الذي لم يتوضح جدا بالوفاء للامويين، لم يكن مؤاتياً بطبيعته لتحسين موقف " جرير " امامهم.

وعلى أي حال، لم يكن الامويون ليهتموا كثيراً باعتقادات " جرير " الخاصة. فقد ارادوا ان يجذبوا الى جانبهم متحدثاً آخر بأسمهم. ولذلك، فقد استقبلوه ومنحوه من العطايا ما منحوا تماماً لغيره من مداحين الاسرة.

وان الموقف المتغير لـ " جرير "، قد فرضه مع ذلك مصالح اخرى غير تلك التي يرتضيها قلبه؛ انها مصالح القبيلة. لقد حاول دائماً ان يخفف من توتر علاقات قبيلته بالسلطة المركزية، وحيث كانت تلك العلاقات تتوتر على وجه الخصوص في ظل حكم بعض سادة دمشق الذين يعتمدون على " ربيعة " و " اليمانيين ". ولكي يحافظ على مصالح قبيلته الى جانب مصالحه الخاصة، كان مضطراً الى الابقاء على علاقاته مع الاسرة الحاكمة، منبع العطاء الذي كان في حاجة اليه ليقيم أوده. أما كان مجبراً اذن على التأقلم مع متطلبات اللحظة؟ لقد كان يذكر في كل مناسبة، الحكام في السلطة، بوفاء واخلاص قبيلته للاسرة الحاكمة. ولكن الظروف كثيراً ما كانت تقدم تكذيباً لذلك الادعاء عندما تأتي لتؤكد عدم خضوع تحزبه القبلي الذي يدافع عنه.

ولم يكن موقفاً كهذا ليعقد واجبه القبلي فقط امام الحكام، بل
يُعقده كذلك امام الشعراء المنافسين له، والذين يقومون بدورهم
بالدفاع عن قبائلهم وعن مصالحها الخاصة.

ولم نجد من الضروري في هذا الفصل الاكثار من ذكر مقاطع
من شعر " جرير " سواء تلك القصائد الموجهة " للحجاج "، ام تلك
الموجهة لخلفاء بني امية. ولكننا وقد وصلنا الى هذه النقطة من
بحثنا، فاننا نعتقد انه لامفر من اعطاء النجمة الكاملة لقصيدة تدل
على ماهية شعره الموجه الى من يمسك بزمام امور السلطة الاموية^١.

سئمت من المواصلة العتابا

وأمسى الشيب قد ورث الشبابا

غدت هوج الرياح مبشرات

الى بين نزلت به السحابا

لقد أقررت غيبتنا لواش

وكنّا لا نُقر لك اعتيابا

أناة لا النوم لها خدين

ولا تهدي لجارتها السبابا

تطيب الارض إن نزلت بأرض

وتسقي حين تنزلها الربابا

كأن المسك خالط طعم فيها

بماء المزن يطرد الحبابا

١ - الديوان، ص ١٦ (قصيدة كانت قد قيلت في مدح الحجاج ابن يوسف الثقفي -
الترجمة).

الا تجزينني وهموم نفسي
 بذكرك قد أطيل لها إكتئابا
 سقيت الغيث حيث نأيت عنا
 فما نهوى لغيركم سقايا
 أهذا البخل زادك نأي دار
 فليت الحُب زادكم اقترابا
 لقد نام الخلي وطال ليلى
 بحُبك ما ابیت له انتحابا
 أرى الهجران يحدث كل يوم
 لقلبي حين أهجركم عتابا
 وكائن بالاباطح من صديق
 يراني لو أصبت هو المصابا
 ومسرور بأوبتنا اليه
 وآخرلا يحب لنا إيابا
 دعا الحجاج مثل دعاء نوح
 فأسمع ذا المعارج فاستجابا
 صبرت النفس يابن أبي عقيل
 محافضة فكيف ترى الثوابا
 ولو لم يرض ربك لم ينزل
 مع النصر الملائكة الغضابا

إِذَا سَعَرَ الْخَلِيفَةُ نَارَ حَرْبٍ
 رَأَى الْحِجَاجَ أَثْقَبَهَا شَهَابًا
 تَرَى نَصْرَ الْإِمَامِ عَلَيْكَ حَقًّا
 إِذَا لَبَسُوا بِدِينِهِمْ أَرْتِيَابًا
 تَشَدُّ فَلَا تَكْذِبُ يَوْمَ زَحْفٍ
 إِذَا الْغُمَرَاتُ زَعَزَعَتِ الْعُقَابًا
 عَفَارِيتُ الْعِرَاقِ شَفِيتَ مِنْهُمْ
 فَأَمْسُوا خَاضِعِينَ لَكَ الرِّقَابًا
 وَقَالُوا لَنْ يُجَامِعَنَا أَمِيرٌ
 أَقَامَ الْحَدَّ وَاتَّبَعَ الْكِتَابًا
 إِذَا اخَذُوا كَيْدَهُمْ ضَعِيفُ
 بَبَابٍ يَمْكُرُونَ فَتَحْتَ بَابًا
 وَأَشْمَطُ قَدْ تَرَدَّدَ فِي عِمَاءِهِ
 جَعَلْتَ لِشَيْبٍ لِحِيَّتِهِ خُضَابًا
 إِذَا عَلَقْتَ حَبَالَكَ حَبْلَ عَاصٍ
 رَأَى الْعَاصِي مِنْ الْإِجْلِ إِقْتِرَابًا
 بِأَنَّ السِّيفَ لَيْسَ لَهُ مُرَدُّ
 إِذَا أَفْرَى عَنِ الرَّئَةِ الْحِجَابًا
 كَأَنَّكَ قَدْ رَأَيْتَ مُقَدِّمَاتِ
 بِصِينَ أَسْتَانَ قَدْ رَفَعُوا الْقَبَابَا
 جَعَلْتَ لِكُلِّ مُحْتَرَسٍ مَخُوفٍ
 صَفُوفًا دَارِعِينَ بِهِ وَغَابَا

الفصل الخامس

جریر ومنافسوه

الفصل الخامس

"جرير ومنافسوه"

دور الشاعر وأهميته في قبيلته- "جرير" واوائل منافسيه في
اليمامة عداوته للفرزدق، اسبابها وتطورها - "جرير والاخلطل -
عداوات الشاعر الاخرى - "جرير" وحيدا في غمرة الصراع.

لقد لعب الشاعر دورا هاما في قبيلة قبل الاسلام، كما لعبه خلال
القرن الاول للهجرة كذلك؛ وكان يمثل في ذلك عنصرها المثقف . و يقع
عليه واجب التغني بمفاخرها ، والدفاع عن سمعتها ، ومهاجمة
اعدائها. ويجب الا يتخطى قبل ذلك النشاط مجال الحياة القبلية^١.

وبعد الاسلام ، وعندما فرض على المجتمع نظام جديد، اضيفت
واجبات جديدة على الشاعر : فكان يجب عليه ان يدافع عن مصالح.

قبيلة لدى الحكام، وان يمجّد وجهات نضرها السياسية، وكذلك التصدي
للإجابة على معارضيها. ومن جهة أخرى، فنحن نعرف كيف ان النظام
المركزي والمعارضة على السواء قد استغلوا القوى القبلية والعقلية
القبلية لتحقيق المآرب السياسية. وكان من نتائج ذلك، الإبقاء على
الانقسامات القبلية والاحتراب القديم تحت غطاء سياسة تخدم المصالح
الجديدة الأوسع افقا. ومنذ ذلك الحين، أصبح الشاعر يعي ان هناك
مسؤولية مزدوجة تقع على عاتقه؛ مسؤولية سياسة مفروضة من قبل
النظام الجديد، ومسؤولية تجاه قبيلته تماثل في خطوطها العرضية ما
كانت عليه قبل الاسلام.

١ حول أهمية الشاعر ودوره قبل الاسلام، انظر الاب "لامانس Lammens" مهد
الاسلام، ص ٢٢٩-٢٣٣ .

وقد رأينا كما سبق، كيف أنجز "جرير" واجبه السياسي تجاه الحكام. ولنبدأ الآن في دراسة مراحل دوره القبلي، وعلى وجه الخصوص في صراعه مع الشعراء الذين وقفوا ضده؛ وتسجيل مختلف العوامل التي أثارت وساهمت في الابقاء على ذلك الصراع محاولين مواكبتها منذ البدايات.

ان جميع الدراسات التي تناولت حياته، ترجع بدايات تلك المعركة الشعرية الى فترة الصبا، وحيث اضطر "جرير" الى التصدي للشاعر "غسان ابن زهل"، وهو شاعر لانعرف الكثير عنه وينتسب الى قبيلة السليط احد افخاذ يربوع^١. واذا ما تقبلنا ما تنقله الروايات فأنا ذلك الحدث يعود الى النصف الاول من القرن الاول الهجري وحيث كان "جرير" قد بلغ آنذاك الخامسة عشر من العمر^٢.

فقد نظم "غسان" قصائد هجاء ضد الحطفة التي كانت في نزاع مع قبيلة يربوعية اخرى حول نبع الماء؛ وناصرت قبيلة "الجحيش" تلك القبيلة اليربوعية. ودائما ما كانت تنشب مثل تلك النزاعات، كما نرى ذلك بسهولة بين سكان الصحارى. فلا نستبعد الظن اذن، ان ذلك كان السبب المباشر الذي دفع قبائل يربوع الواحدة ضد الاخرى ومن خلفها شعرائها. واكثر من ذلك، يشير "جرير" بنفسه الى سبب ذلك النزاع ولا يذكر غيره^٣.

ومهما كان الامر، ولقلة المعلومات؛ فمن المستحيل معرفة متى حدث ذلك. ويذكر الديوان قصيدتين حول ذلك النزاع مع الشاعر

١ جاء ذكر ذلك الشاعر من معرض نزاعه مع جرير، النقائض ص ٢٢٥؛ وكذلك الاغانى الجزء الثالث، الفصل الثامن، ص ١٥؛ وابن سلام ص ٣٢٦ .

٢ ابو عبيدة، النقائض، يذكر اثنان ذلك الحدث ويرجعون تاريخه الى عصر ابن الزبير. انظر تعليقنا على تلك الرواية فيما سبق اعلاه.

٣ الديوان ص ٢٩٥ ، (البيت الحادي عشر).

المجهول، احدهما في اثنتي عشر بيتا، والثانية في ستة وثلاثين بيتا؛ هذا الى جانب ثلاثة عشر مقطعا^١. وعلى أي حال، فالى جانب النتائج التي تبقى كثيرا في الذاكرة بعد أي نزاع قبلي، يمكننا ان نستنتج ان ذلك النزاع بين جرير وغسان قد استمر بضعة سنوات، خبا بعدها، وليحل محله نزاع اخطر في مواجهة شاعر آخر.

وتتركز اهم نقطة في قصائد الهجاء التي نظمها "جرير" ضد "غسان"، في تلك الحقيقة القائلة بان شاعرنا، وصيبا كان، قد جاهد كما يبدو تحت ثقل ذلك النزاع المسلح بين القبيلتين؛ جاهد في تجسيد قوة قبائله في مواجهة ضعف وعدم قابلية المعسكر المعادي^٢. ويشرح ذلك بقوله:

تلقى السليطي والابطال قد كلموا

وسط الرجال بطينا وهو مغلول

لم يركبوا الخيل الا بعد ما هرموا

فهم ثقال على اكتافها ميل

وخلال تلك الفترة، وحين اخذ جرير يعي اهمية شاعرا يدافع عن قبيلته ظهر شعراء آخرون جاؤوا يناصرون غسانا عليه. ومن بين هؤلاء الشعراء حكيم ابن المؤيد، "منقع" و"عقبة ابن مليس"، وثلاثتهم

١ الديوان، انظر الفهرست حيث ذكرت المقاطع تحت اسمي "غسان"، "وبنو سليط"؛ انظر النقائض الجزء الرابع ص ٤٠٠،٥ وهناك مقطعان لا يذكران في الديوان.

٢ الديوان ص ٤٦٥ (مقطع من بيتين).

ينتسبون الى قبائل "تميم"، وربيعة، والجوع^١. ويوجد كذلك شاعر آخر هو "نعيم ابن شريق" والمعروف بالاعور النبهاني، وقد هجا جريرا بايعاز من سليط. وينتسب ذلك الشاعر الى قبيلة نيهان^٢ من اصول يمانية.

ويمكننا الاعتقاد بان قبيلة سليط وهي تدفع الشاعر اليماني مثيرة اياه ضد جرير، انما كانت تريد بذلك توجيه جميع شعراء القبائل اليمانية^٣ ضده ولاشغاله بمعركة اوسع تفاديا لتهجمات.

و على أي حال، فان هؤلاء الاعداء الجدد لم يستطيعوا مطلقا ابعاد شاعرنا عن القيام بواجبه، حيث واصل الهجوم اللاذع على غسان وقبيلته. وكان فقط ما يستحق ان يثير اهتمامه هو دخول شاعر يوازيه في قامته الى ساحة المعركة وقد اخذت المعركة الشعرية آنذاك مسارا شاقا قاطعا بتأثير العوامل السياسية التي جاءت لتضاف الى العوامل القبلية التقليدية، وكما ستري.

١ هؤلاء الشعراء الثلاثة غير معروفين تماما لنا. وتذكرهم النقائض من الصفحات (١٤-٩-٦-٥) حيث ينسبونهم الى تلك القبيلة ومواقفهم المناصر لغسان. وقد ذكر جرير الشاعرين "منقع وعقبة" من قصيدة هجاء ضد غسان (الديوان ص ٢٩٧)، البيت السابع. وكانت قبيلتهما كذلك موضاء لخمس قصائد هجاء (الديوان: انظر الفهرست تحت اسم بنو ربيعة، والجوع). انظر كذلك الاغاني (الجزء الثالث الفصل الثامن ص ٢٣). وحيث جاء ذكر حكيم متضامنا مع غسان.

٢ تمثل قبيلة "نيهان" فرعا لقبيلة طي اليمانية (انظر ابن حزم ص ٣٧٩) وحول الشاعر انظر الأمدي (المؤتلف والمختلف ص ٤٠-٣٩). وقد ذكرته الاغاني كذلك، الجزء الثالث الفصل الثامن، ص ٢٧، وكذلك النقائض ص ٣١.

٣ استنادا الى الأمدي ص ٤٠، فان شاعر نيهان قد تهجم على جرير الذي لم يكن لديه مفر سوى الرد عليه ولمرة واحدة فقط، ان لم يجرؤ ذلك الشاعر على التعرض لجرير والرد عليه. ولا نجد سوى قصيدة هجاء واحدة نظمها جرير ضده. انظر الديوان، ص ٢١٤.

وفي الواقع، فإن معركة جرير و غسان كانت تدور حتى ذلك الوقت في نطاق محلي. فقد وضعت شاعرين احدهما في مواجهة الآخر رغم انتسابهما لقبيلتين تربطهما روابط الدم. كليب من جهة، وسليط من الاخرى؛ وكلا الشاعرين من اصول يربوعية. وجرير من جانبه، كما نستشف من قصائده ضد غسان^١ كان حتى ذلك الوقت يعتبر نفسه فقط مدافعا عن قبيلة كليب. ولكن عندما يأتي شاعر آخر، ليس يربوعيا، ويتدخل في ذلك النزاع، فلن يظل جرير المدافع عن قبيلته وحدها، بل سيصبح المدافع عن قبيلة يربوع في مجموعها، كما ان نشاطاته لن تتحدد في نطاق اليمامة فقط.

وكان المنافس الجديد حداس ابن بشر المعروف بـ (البعيث)^٢ وينتسب الى قبيلة مجاشع التميمية التي تقيم جزء منها في البصرة منذ النصف الاول من قرن الهجرة^٣ وهو احد افرادها في تلك المدينة^٤. فاذا ما صدقنا احدى الروايات التي تتحدث عن نزاعه مع "جرير" فانه يكون قد بدأ بعد ان قضى عدة ايام لدى السلاطين الذين ينتمي اليهم ببعض من صلة القربى ودفعوه الى ان يتخذ موقفا مناصرا لغسان ضد جرير^٥.

١ الديوان، ص ٢٩٤ (البيت التاسع).

٢ حوله، انظر ابن قتيبة ص ٣١٢-٣١٣، ابن سلام ص ٣٩٦-٣٢٩، وياقوت الحموي ارشاد الاريب الى معرفة الاديب، الجزء الرابع، الصفحات (١٧٣-١٧٤).

٣ انظر بيللا "Pellar"، الجاحظ، اللوحة الثانية.

٤ ياقوت الحموي، ارشاد الاريب الى معرفة الاديب، الجزء الرابع ص ١٧٣.

٥ انظر النقائض بين جرير والفرزدق، ص ٣٧، وكذلك ابن سلام؛ والاغاني الجزء الثالث، الفصل الثامن ص ١٦.

ودون ان نهمل دور تلك الصلات العاطفية والعزيزة جدا على قلوب البدو والتي تكون قد دفعت بالبعيث للوقوف جانب غسان فيمكننا الظن بان العلاقات الدامية بين مجاشع ويربوع قبل الاسلام والتي استمرت بعد وفاة الرسول (ص) كما راينا ربما الهبت كذلك مشاعر ذلك الشاعر المجاشعي ودفعت له ليتخذ موقفا مساندا ضد احد اليربوعيين .

ولا يمكننا ان نعرف تماما مع ذلك متى بدأت تلك العداوات الجديدة . ويبدو ان تلك البدايات تعود الى السنوات التي سبقت انتصار الزبيريين في العراق عام (٦٤هـ/٦٨٣م). وهكذا اذن دخل جرير في نزاعه مع البعيث في ظل حكم الوالي الزبيري الحارث ابن عبد الله (٦٥-٦٧هـ/٥٨٥-٦٨٧م) وربما قبل ذلك لسنوات خلت^١. وفي ظل حكم ذلك الوالي كان شاعرنا قد جاوز الثلاثين من العمر آنذاك.

ومرة اخرى ايضا تعوزنا المعلومات لمعرفة مدى استمرارية ذلك

النزاع.

وربما استمر الامر عدة سنوات. ولكنه بعد ان اندفع في عدوات اخرى مجاشعية اهمل جرير البعيث لكي يركز هجاءه على ذلك المنافس الجديد^٢. ويتحدث الديوان مع ذلك عن هذا النزاع الجديد في اربع قصائد وثلاث مقاطع. وهناك خمس قصائد هجاء اخرى^٣. تجمع البعيث مع منافس آخر.

١ الديوان، ص ٤٦٠. قصيدة هجاء ضد البعيث والفرزدق في ظل حكم ذلك الوالي والذي يذكر جرير اسمه في تلك القصيدة، ص ٤٦٥ (البيتان الخامس والسادس).

٢ ابن سلام، ص ٣٢٩، يروي انه بعد دخول الفرزدق في النزاع الذي يتواجه فيه جرير والبعيث؛ فقد اهمل جرير البعيث تماما.

٣ كل القصائد جمعت في الديوان تحت اسم البعيث، انظر الفهرست.

ومهما كان الامر، فان دخول البعيث المجاشعي في ذلك النزاع يمثل مرحلة هامه في صفات شاعرنا. والواقع انه منذ ان واجه ذلك الشاعر المجاشعي، فقد تناس مؤقتا نزاعه مع نظيره "غسان"، وبدأ يعتبر نفسه المدافع عن يربوع، كما يعبر عن ذلك وهو يهجو "البعيث"^١.

أنا الزائد الحامي اذا ما تخمطت

عرانين يربوع وصالت قرومها

ومن جانب آخر فان الاحداث التي دارت عام(٦٤هـ/٦٨٣م) والدور القيادي الذي لعبته يربوع فيها كما راينا ذلك سابقا، قد قدمت جميعها فرصة هامه استطاع فيها "جرير" ان يؤكد نفسه المتحدث باسم يربوع وكما تغنى بذلك امام البعيث، وبذلك اليوم المجيد الذي تم فيه طرد الوالي الاموي عبيد الله ابن زياد من البصرة^٢ بفضل اليربوعيين.

ولكن التهجومات التي اطلقها "جرير" ضد "البعيث"، لم تتحدد بشخص منافسه فقط، بل تعدته وشملت قبيلته كذلك التي اساء الى سمعتها واصاب شرفها في مقتل. وتمادى جرير لدرجة انه اتهم قبيلة مجاشع باغتيال الزبير، والا اسياذ العراق الجدد^٣. ولا يخلو اتهام كهذا كما يبدو من خلفية سياسية. وهكذا فلربما اراد جرير بذلك ان يثير الزبيرين ضد القبيلة في الوقت الذي يؤكد فيه على موقف قبيلته الذي ساعد في انجاز ذلك الانتصار.

١ الديوان، ص ٥٤٨.

٢ البيت الذي يشير فيه جرير الى تلك الواقعة تمت ترجمته اعلاه.

٣ انظر اعلاه فيما سبق.

ثم ان ترديد تلك التهجومات ضد المجاشعين المهتمين بمقتل الزبير، وتلك الاتهامات التي تسيء الى سمعة القبيلة، وعلى وجه الخصوص، امام ذلك الشاعر المعروف والاكثرهم شهرة الا وهو الفرزدق^١ وكان الفرزدق في البصرة آنذاك واثناء تبادل قصائد الهجاء بين نضيره وبين "جرير" وقد بقى بعيدا في البداية عن ذلك الخصام لبعض الوقت وكما تشير الروايات التي تنقل تدخله فيه^٢ فقد دفعه اقاربه الذين استنكروا عليه صمته بل وكال له البعيث اللوم في ذات الوقت ولنفس الاسباب. وقد رد الفرزدق على البعيث متوعدا جرير في ذات الوقت بالويل والثبور. وقد رد "جرير" بدوره على "الفرزدق" ومفتتحا ذلك الاحتراب الذي سوف يشغل الشعارين الكبيرين التميميين طيلة حياتهما. "

ومهما كان الراى حول ماهية تاخر "الفرزدق" في التدخل في ذلك النزاع، وللاسباب التي تقدمها المعلومات، فان الفرزدق لم يستطع ان يبقى لااباليا ولا ان يرى بعين الرضى شاعرا يربوعيا، قد اخذ يلعب دوره الهام بين قبائل تميم.

وعلى أي حال، فان المعلومات التي تحدد تاريخ بداية تلك العداوة، فتوجد في قصيدة هجاء ضد الفرزدق، يذكر فيها جرير اسم الحارث ابن عبد الله الوالي الزبيري من البصرة ما بين ٧٥ - ٧٧ هـ / ٧٨٥ - ٦٨٧^٣.

١ حول الفرزدق، الانسيكلوبيديا الاسلامية، ص٦٤-٦٥ (مقالة شادي Schaad e)

٢ انظر النقائص (جرير والفرزدق)، ص ١٢٤-١٢٧، وكذلك ابن سلام ص٣٢٦-

٣٢٧، ثم الاغاني، الجزء الثالث الفصل الثامن، ص ١٧

٣ الديوان ص٤٨٥، ٤٧٧ (البيت الاول)

وفي اول قصيدة هجاء ضد الفرزدق^١، اطلق جرير العنان
لطموحه في ان يلعب دور الشاعر المتحدث باسم قبائل تميم حيث
قال^٢:

تمنى رجال من تميم لي الردى

وما زاد عن احسابهم نائد مثلي

وان اهمية قبائل تميم والدور الذي لعبته في الحياة السياسية
في القرن الاول الهجري، يكسب داعية مكاسب معنوية ومادية وذلك ما
يفسر ادعاء الشعارين الكبيرين بالتحدث باسمها وما يفسر حدة
معركتها الشعرية.

وكان "جرير" وهو تقريبا في الثلاثين من العمر حين اندلاع
ذلك الخلاف مع الفرزدق، قد عاد الى قروط في اليمامة كما يبدو وانه
قد بقى هناك وحتى انتهاء العهد الزبيري في العراق. وواصل الشاعران
في تلك الاثناء على اية حال في تبادل قصائد الهجاء^٣. فيما بينهما. كما
ان عودة الامويين الى العراق، قد ساعد من جانب آخر في الابقاء على
عدواتهما. وكما كان الواقع، تركزت سياسة الامويين على مفهوم "فرق
تسد" والاهم كما يبدو، هو تفرقة صفوف تميم، العنصر الاهم والاكثر
تاثيرا من عناصر المعارضة^٤. وكانوا يحاولون وهم يدفعون بالشعراء
احدهم ضد الآخر، هو انكاء الصراع وخلق جو من الاحقاد

١ النقائض (جرير والفرزدق). ص ١٢٤

٢ الديوان ص ٤٦٢ .

٣ انظر أعلاه، فيما سبق

٤ انظر "بيللا bellar"، الجاحض ص ١٥٦-١٥٧، حول السياسة الاموية في
العراق.

و المشاكل بين قبائلهم والتي غالبا ما كانوا يلجأون للاحتراب في
مناصرة شاعر هذه القبيلة او تلك ^١.

وهكذا، فغالبا ما كان "بشر ابن مروان" وراء تاجيح تلك
العداوة بين جرير والفرزدق. ومن بعده، جاء الحجاج ^٢. بدوره
ليواصل الدور. واطافة الى ذلك، وحقيقة ان الحجاج قد غالى في
السخاء على جرير، وعلى تنصيبه شاعره المفضل، لم تمر بالطبع دون
ان تثير غيرة حادة في نفس الفرزدق؛ عندما يرى الشاعر اليربوعي
القادم من اليمامة ينافسه على مكانة يدعي انه يستحقها على نطاق
قبيلته كما في الميدان السياسي.

ودون شك، لن نستطيع ان نمنع انفسنا من التساؤل؛ الم تكن
توجد هناك ومنذ تلك اللحظة تاثيرات معينة تتوضح في خلفية اسباب
اشعال نيران تلك المعركة الشعرية؟ ولن ننسى ان شبح القيسيين
يتجسد خلف اصرار جرير. ومن الطبيعي كذلك ان شبح اليمانيين
يتجسد بالمثل وراء مواقف الفرزدق. واذا كان من الصعب البرهنة على
ذلك في تلك اللحظة الراهنة، فان الفرزدق سيتوجه ولبعض الوقت الى
التقرب من بعض التجمعات الموالية لليمانيين.

١ تقول رواية في الاغاني، الجزء الثالث، الفصل الثالث ص ٢٥٧، يرويها ابو عبيدة
حول ذلك الموضوع متحدثا عن احتراب بين "مجاشع" و "يربوع"، نتيجة لتبادل
قصائد الهجاء بين جرير والفرزدق.

٢ وهكذا، فان "بشرا" قد طالبهما بتبادل بعض ابيات الهجاء من اجل استعادة
حيوية تلك الموهبة لديهما. انظر الاغاني، الجزء الثالث، الفصل الثامن ص ٣٧.
وبالمثل طالب الحجاج الشاعرين بالحضور اليه، مرتدين نفس الملابس التي كان
يرتديها اجدادهما قبل الاسلام؛ وهو يعلم بالطبع انهما ينتميان الى قبيلتين
مختلفتين. وقد اراد الحجاج بذلك ان يستثير مشكلة بينهما. انظر نفس
المصدر (الاغاني) ص ٧٦-٧٧.

ومن جانب آخر، يبدو ان هناك عاملا فنيا جاء بدوره ليعمل على انكاء سعار تلك العداوة. ونحن نرى في الواقع ان كلا من المتنافسين يطلق العنان لعبقريته الشعرية فاضحا ومتحديا غريمه الذي لن يستطيع كما يظن على تحمل المقارنة مع موهبته الخاصة، او على مواصلة الصراع .

و"الفرزدق" قد عبر في غرور، انه يمثل عبقرية عدة شعراء سابقين، ويتعامل مع جرير على انه شاعر منتحل^١ .
ان استراقك يا جرير قصائدي

مثل ادعاء سوى ابيك تنقل

"وجرير" بدوره، يتوجه نحو غريمه و يصفه في رده عليه بنفس الصفات^٢:

ولقوا عواصي قد عييت بنقضها
ولقد نقضت فما بك استمرار
قد كان قومك يحسبونك شاعرا
حتى غرقت وضحك التيارات

ومع ذلك فقد كان سبب الصراع الرئيسي بينهما، هو رغبة كل منهما ان يحتل مكانة المتحدث باسم تميم وان يستفيد من ذلك امام الحكام. وهكذا فبعد ان قام "وكيع" اليربوعي باغتيال قتيبة حاكم خراسان في بداية حكم "سليمان" (انظر اعلاه فيما سبق)، نظم "الفرزدق" قصيد طويلة في مدح الخليفة، وكتيمي اصيل كان يفاخر

١ النقائض، ص ٢٠٢

٢ الديوان، ص ٢٠٧ (قصيدة من مائة وخمسة عشر بيتا)

بالانجاز العظيم الذي قدمه "وقيع" خدمة للعرس^١. وتبرز هنا تلك العقلية التي افترضنا وجودها. وقد كان سليمان في واقع الامر مفضلا لدى اليمانيين ومعاديا للقيسيين. ويبدو ان الفرزدق وهو يمدحه، كان يحبذ سياسة ذلك الحاكم ومقويا بذلك مركزه على حساب جرير الذي ظهر بطلا قيسيا.

وجرير من جانبه وقد كان يمتلك الحجة الاقوى من واقع كون وكيع يربوعيا قبل ان يكون تميميا ولذلك كان يعتقد انه وحده يمتلك حق التفاخر بذلك الحدث وانه يستفيد منه لدى الخليفة. وهكذا كان رده على غريمه^٢.

فغيرك ادى للخليفة عهده

وغيرك حلى عن وجوه الاهاتم^٣

فان وكيعا حين خارت مجاشع

كفى شعب صدع الفتنة المتفاقم

لقد كنت فيها يا فرزدق تابعا

وريش الذنابي تابع للقوادم

وعلى أي حال، نلاحظ انه رغم تلك العدووة الحادة التي كانت تأثير احدهما ضد الآخر، فقد تبنى كل منهما موقفا متشابها في بعض الحالات، ومبرهنيين بذلك على اولوية الروح القبلية. انه اذن ذلك التضامن القبلي الذي عاد للظهور رغم كل شئ لصالح التحالف القيسي في مواجهة العدو التقليدي المتمثل باليمانيين "وربيعة"

١ النقائض ، ص ٣٤٢ ، (قصيدة في مائة وخمسة وخمسين بيتا).

٢ الديوان ص ٥٦١ ، (قصيدة من اربعة وثمانين بيتا)؛ النقائض ص ٣٩٤ .

٣ الاهاتم، فرع من تميم، كان قتيبة قد اغتال بعض رؤسائه.

وبهذا الخصوص مثلاً فقد سمح فشل التمرد الذي قام به:يزيد ابن المهلب للشاعرين التميميين بالتعبير عن الفرح والحبور لفشل المتمرد واقترانه مع حلفائه.واظهر كلاهما روحية الحرب معتقدين بانه نهاية المهلبين الدامية جاءت انتقاما للضحايا من صفوف تميم.ورغم انهما قد هاجما القبائل غير التميمية من التجمع القيسي حتى ذلك الحين، فاما الفرزدق لم يتردد في الالتحاق "جرير" ليتغنيا معا بامجاد ذلك التجمع القبلي كله،مع الاخذ بنظر الاعتبار بان ذلك الحماس كانت تؤججه الرغبة في كسب رضا الخليفة "الوليد ابن عبد الملك" والذي كان معاديا لليمانين ولحلفائهم^١ و"جرير" من جانبه وقد نسي تهجماتة وسبابه وقذفه ضد قبيلة "مجاشع" لم يمتنع عن مدح "هريم ابن طحمة"،وهو قرين لهم قد ساهم مع تميمي اخر هو "هلال ابن احوز"في القضاء على المهلبين^٢.

وكان ذلك التضامن يظهر كذلك في بعض الاحيان ابان فترة العدو.فعندما امر الوالي اليماني على العراق "خالد القسري" بالقاء القبض على الفرزدق وزجه في السجن لن يتردد "جرير" ابدا في نظم قصيدة مدح في "خالد" مطالبا اياه بالافراج عن الفرزدق^٣.

ومهما كان الامر، فاذا ما كانت المعركة بين الشاعرين التميميين الكبيرين كانت لها الاسباب السياسية القبلية فان تلك المعركة سرعان ما اتخذت مظهرا شخصيا لا يلتقي بالمصالح العليا للمهمة التي يدعى كل منهما الدفاع عنها.

١ الفرزدق، الديوان ص٥٧٥، قصيدة هجاء ضد المهلبين

٢ الديوان، ص٥٣٧، قصيدة(٥٩بيتا) موجهة لهاتين الشخصيتين وقد تغنى بهما

الفرزدق كذلك. الديوان ص٦٠ ، ص١٣٢.

٣ الديوان ص١٧٤ (٦٨بيتا).

وفي واقع الامر، فقد عمل الغريمان على توسيع ميدان ذلك الجدل والاحتراب بالتحدث عن قضايا خاصة. وهكذا، فعندما اراد غريمه الزواج، قام "جرير" بقذف وسب اسرة الفتاة ومعلنا عن شعوره بالعار جراء ذلك الزواج^١. و"الفرزدق" من جانبه، فعندما رأى "جرير" يبكي احد نساؤه، نظم قصيدة هجاء للنيل منه^٢.

وهكذا لم يتوقف الشعارين، وخلال خمسين عاما من تجريح احدهما الآخر في محاولة للابقاء على ذلك الاحتراب. واستمر ذلك الوضع حتى وفاتهما في ظل حكم "هشام ابن عبد الملك" عام ١١٤هـ/ ٧٣٢م. وحتى بعد الموت، لم يمتنع "جرير عن الطعن في ذكرى وفاة "الفرزدق" الذي توفى قبله بفترة من الزمن^٣.

كما وان مواصلة تلك المعركة الشعرية في مثل ذلك الحماس، قد خلفت لنا نتاجا في غاية الاهمية من قصائد الهجاء اللاذع بفضل هذين الشعارين الكبيرين، والذي اصبح يعرف تحت عنوان "النقائض" والتي سوف نتحدث عنها.

١ الاغان، الجزء الثالث، الفصل الثامن، ص ٨٥-٨٦؛ الديوان ص ٤٢، وص ٣٩٤، وحيث نرى ان رئيس اسرة الفتاة كان موضوعا لقصيدتي هجاء.

٢ النقائض، ص ٨٦٦

٣ كان "جرير" آنذاك لدى "المهاجر الكلابي"، والي اليمامة عندما علم بوفاة "الفرزدق". وفي الحال نظم بيتا من الهجاء (الديوان ص ٤٣١). ولكنه امام تقرير الوالي، اعترف بخطئه، واخذ ينعي غياب غريمه (النقائض ص ١٠٤٦)؛ كذلك انظر ابن سلام الذي يذكر وجود مقطعين من المديح في ذكرى "الفرزدق" (الديوان ص ٨٨٠، ٥٣٥). وذلك الى جانب قصيدة من (اربعة عشر بيتا) (المصدر نفسه ص ٤٠٧). ويبدو لنا ان تلك القصيدة مشكوك في امر اهدائها، لان جميع مدائح "جرير" في مقاطع، ومن جانب آخر، فان ثلاثة ابيات منها مهداة الى من يدعى "ابو ليلي المجاشعي" كان قد نعى "الفرزدق".

وبهذا الخصوص هنا يحوي ديوان "جرير" ثمانى وخمسين
قصيدة وعشرين مقطعا. ولتقديم صورة توضح ذلك النتاج، ندرج ادناه
احدى تلك القصائد:

سمت لي نظرة فرايت برقاً
تهاميا فراجني ادكـاري
يقول الناظرون الى سنه
ترى بلقا شمس على مهار
لقد كذبت عدائك ام بشر
وقد طالت اناتي وانتظاري
عجلت الى ملامتنا وتسري
مطايانا وليك غير ساري
فهان عليك ما لقيت ركابي
وسيري في الملمعة القفار
وايام اتين على المطايا
كان سموهن اخيج نار
كان على مغابنهن هجرا
كحيل الليت او نبعان قار
لقد امسى البعيث بدار نل
وما امسى الفرزدق بالخيار
جلجل كرج وسبال قرد
وزند من قفيرة غير وارى

عرفنا من قفيرة حاجبيها
وجذا في اناملها القصــــــــار
تدافعنا فقال بنو تميم
كان القرء طوح من طــــــــار
اطامعة قيون بن عقال
بعقبى حين فاتهم حضــــــــاري
وقد علمت بنو وقبان انى
ضبور الوعث معتزم الخبــــــــار
بيربوع فخرت وآل سعد
فلا مجدي بلغت ولا افتخــــــــاري
ليربوع فوارس كل يوم
يوارى شمسه رهج الغبــــــــار
عتيبة والاحيمر وابن سعد
وعتاب وفارس ذو الخمــــــــار
ويوم بني جذيمة اذ لحقنا
ضحى بين الشعبية والعقــــــــار
وجوه مجاشع طليت بلؤم
يبين في المقلد والعــــــــذار
وحالف جلد كل مجاشعي
قميص اللؤم ليس بمستعــــــــار

لهم ادر تصوت في خصاهم
كتصويت الجلال في القطار
اغركم الفرزدق من ابيكم
ونذكر مزادتين على حمار
وجدنا بيت ضب في معد
كبيت الضب ليس له سوارى
وجدناهم قناذع ملزقات
بلا نبع نبتن ولا بضار
اذا ما كانت ملتصبا نكاحا
فلا تعدل بينك بني ضرار
ولا تمنعك من ارب لحاهم
سواء ذو العمامة والخمار

وتدور معركة "جرير" و "الفرزدق" الشعرية في وسط قبلي متحمس وبلد اغرقته الاضطرابات والمؤامرات السياسية في العصر الاموي. ولم يقف الشعراء المعاصرون موقفا لا اباليا امام تلك المعركة. وذلك لاهمية الشاعرين من جهة، ولاستمراريتها هذه المدة الطويلة من جهة اخرى. واندفع بذلك العديد من الشعراء مساهمين في تلك المعركة اما لنفس الاسباب التي دفعت بالشاعرين الكبار الى مواجهة احدهما الاخر، واما لدوافع اخرى كما حركة النقد السياسي التي دارت حول الشاعرين. وقد اتخذ الشعراء في مجموعهم تقريبا، موقفا ضد جرير،

مع انهم لم يستطيعوا الصمود طويلا امام كلامه الجارح(٤١)١. والى جانب "الفرزدق" يوجد شاعر واحد استطاع ان يصمد حتى النهاية ويواصل حتى مماته تلك المعركة الشعرية ضد "جرير"، الا وهو الاخطل٢.

وكيف بدأت تلك المشادة بين "جرير" و "الاخطل"؟ لقد حدث ذلك في ظل حكم "بشر" والى العراق فيما بين ٧٢ - ٧٤ هـ / ٦٩٤ - ٦٩٢ م؛ عقب زيارة قام بها الاخطل لذلك الوالي في الكوفة واستنادا الى رواية تنقل ذلك الحدث، فقد وجه "بشر" سؤالاً الى "الاخطل" وذلك بدافع من ذوي الاخطل، حول قيمة الشاعرين التميميين واجاب الاخطل بافضلية الفرزدق مما اثار حفيظة "جرير"٢. ويذكر الاب لامنس Lammens ان الاخطل لم يحسب جيدا نتائج مثل ذلك القول واصبح بذلك مناصرا للفرزدق.

ونحن من جانبنا، يمكننا الظن بان الأخطل كان قد وطد النفس على اتخاذ موقف كهذا ولدوافع هامة جدا، وبانه لم يكن ليجهل ابدًا نتائج تداخلاته تلك.

١ يقول "جرير" ان عدد اعدائه يصل الى الثمانين (انظر الاغانى، الجزء الثالث، ص٤٩، الفصل الثامن). وفي رواية اخرى نجد اسماء واحد وعشرين غريما (نفس المصدر ص١٤-٢٨). وفي ديوانه يذكر "جرير" اربعين غريما (ص٥٧٧، البيت العاشر)، واحيانا تسعة واربعين (ص٣٤٣، البيت الثامن).

٢ انظر حوله، الانسيكلوبيديا الاسلامية، الجزء الاول (ص٢٣٨)، ص٢٣٩-مقالة الاب لامانس (Lammens).

٣ انظر الاغانى، الجزء الثالث، الفصل الحادي عشر، ص٦١، حيث وردت رواية تفصيلية طويلة تتحدث عن ظروف المجابهة التي وضعت "الاخطل" ضد "جرير".

وينتسب "الاخطل في واقع الامر الى قبيلة تغلب القوية التي تنحدر من ربيعة. وكانت العلاقات بين تغلب واليربوعيين - قبيلة جرير - تتميز بالصدامات الدامية^١. وكان من المفيد التذكير بان الخطفة. جد "جرير"، كان اسير لديهم اثناء واحدة من تلك المعارك^٢.

ونحن نعرف كذلك كيف ايدت تغلب الامويين اثناء حكم الزبيريين، في حين كان اليربوعيين المدافعين المخلصين للزبيريين واخيرا، كانت هزيمة مصعب في العراق بدورها هزيمة لليربوعيين على الصعيد القبلي وقد حدثت بسبب المساهمة النشيطة "لتغلب" التي حاربت في صفوف "عبد الملك"^٣.

وعلى ما تظن، فلا يجب ان تكون مثل تلك الملاحظات، قد غابت عن ذهن الاخطل عندما طلب منه الادلاء برأيه حول الشاعرين التميميين. وهكذا، فلن يستطع ان يقف موقفا مغائرا وان يتحول ضد "جرير"، وهو واحد من اولئك الذين ينتسبون الى الفخذ التميمي الذي تميز بعداوته الوحشية لتغلب.

وسيواجه شاعرنا وهو في الاربعين من عمره عداوة جديدة، بل اخطر من سابقتها، وذلك بسبب الدور الذي سوف تلعبه في حياته ولم يفرض نزاعه مع "الاخطل" واجبات جديدة عليه وعلى الصعيد القبلي فقط، بل كان عقبة امامه على الصعيد السياسي.

فاذا ما كان "جرير" في واقع الامر يعتبر نفسه وحتى ذلك الوقت المدافع عن تميم، فانه وبعد دخول "الاخطل" معترك النزاع

١ انظر المصدر السابق، الجزء الخامس، ص ١٨٧. حول المعارك المختلفة التي دارت بين اليربوعيين وتغلب.

٢ انظر النقائض، ص ١١٨ و ص ١٠٨٨

٣ ابن الشجري، الامالي الشجرية، الجزء الاول ص ١٣١.

اصبح من واجبه الدفاع عن التحالف القيسي باكملة، طالما ان الغريم الجديد، "الاخطل" هو شاعر "تغلب"، القبيلة الاكثر عنفا في عدائها ضد ذلك التحالف. وهكذا، فمنذ اول مواجهة ضد "الاخطل"، تغنى "جرير" بالقيسيين، مذكرا غريمه بالضربات التي وجهها ذلك التحالف الى قبيلته^١.

وستدخل عداوتهما في ظل حكم "بشر" مرحلة جديدة عندما تنتقل الى الميدان السياسي بعد ذلك ببضع سنوات.

وعندما استطاع "جرير" التقرب من "عبد الملك ابن مروان"، وجد امامه "الاخطل" مستقرا تماما في بلاط دمشق. و "الاخطل"، الذي كان يتمرغ في عطايا الامويين، لم يكن ليتقبل بدوره رؤية شاعر اخر ياتي لينازعه في ذلك؛ وعلى وجه الخصوص اذا ما كان ذلك الشاعر عدوا لقبيلته. وسيجاهد كل منهما حينذاك، احدهما للبقاء على امتيازاته الرسمية، والاخر للحصول عليه.

واذا كان "الاخطل" يتمتع بمكانه اكيده وذلك بفضل اخلاص تغلب الدائم للامويين، وبفضل موهبته التي كانت تحت ايديهم وفي خدمتهم؛ فان "جرير"، في المقابل، قد تلاعب بذكريات الموقف الذي اتخذه تحالفه القبلي لصالح "ابن الزبير". وكان "جرير" في مواجهة "الاخطل"، يمتلك حجتين لم يتوقف ابدا عن استغلالهما في جميع قصائد الهجاء الموجهة الى غريمه: الاصل القيسي الذي ينحدر منه الامويون وتميم؛ ومسيحية "الاخطل".

١ الديوان ص ٥٦٩. ذكرت تلك القصيدة كما الرد على "الفرزدق"، ولكن "جرير" خصص جزءا منها للاخطل، (ص ٥٣٧). انظر كذلك الاغاني، الجزء الثالث، الفصل الحادي عشر، ص ٦٢-٦٣. وحيث نذكر بعض تلك الابيات من القصيدة على انها اول هجاء يوجه الى "الاخطل".

وهكذا، تغني مثلاً مؤكداً على حجته الأولى^١:

هذا ابن عمي في دمشق خليفة

لو شئت ساقكم الى قطينا

وبخصوص الحجة الثانية يقول^٢:

لعن الاله نسية من تغلب

يرفعن من قطع العباء خدورا

وفي المقابل، كانت حرية "الاخطل" محدودة، ان نلاحظ ان الشاعر التغلبي قد اكتفى في الواقع بشمول القيسيين بتهجماته دون ان ياتي على ذكر قبائل كما "مضر" او "تميم" وهما من اسباب معارضة "جرير" له. ولم يكن يريد دون شك ان يثير او يصدم العائلة الحاكمة التي كانت تنتسب اليها، وكذلك كان يتفادى اثاره غضب "الفرزدق" صديقه وحليفه الذي ينتسب لتميم.

ونشير هنا الى ان "الاخطل" كان يهتم بتركيز تهجماته على كليب فخذ يربوع قبيلة "جرير".

وفي الميدان الديني، كانت حريته محدودة كذلك فقد كان من المستحيل على شاعر مسيحي في خدمة خلفاء محمد (ص)، ان يرد على "جرير" عندما يتهم على دينه.

ومع ذلك، فقد كان كل من الغريمين يجهد في التقليل من مكانة الآخر في بلاط دمشق. وهكذا ففي الوقت الذي تشكى فيه "الاخطل"

١ الديوان، ص ٥٧٩

٢ الديوان، ص ٥٧٦

لدى الامويين من عدوان القيسيين على قبيلته، لدرجة انه وصل الى حد لومهم على موقفهم السلبي تجاه ذلك العدوان،^١ حاول "جرير" ان يثير غضبة الامويين ضد مواطن جرئ سمح لنفسه بتوجيه اللوم لهم؛ فقال^٢:

اجار بنو مروان منهم دمائكم

فمن من بني مروان اعلا وافضل

وفي نفس الاتجاه، اثار الاخل من جانبه انتباه عبد الملك، لقلة الوقت الذي يخصصه "جرير" لهم واستغرقه في كتابة مدائحه لهم مشيرا الى الايام الطويلة التي خصها "جرير" في المقابل لذويه^٣. ومهما كان الامر، كانت الصراعات القبلية التي ارتبطت بدورها ارتباطا وثيقا باحداث العصر السياسية، هي التي الهبت نيران تلك العداوة. فلا هذا ولا ذاك، كان يمكنه التخلي عن مهمته التي وضعها نصب الاعين؛ الا وهي الدفاع عن القبيلة امام الحكام والتغنى بمافخرها. وجاء موت "الاخل" في اواخر سني حكم "الوليد ابن عبد الملك" (٥٥-٩٥) ليضع حدا لتلك المعركة. ولم يستطع "جرير" ولو احتراما للقدر السكوت، فنظم قصيدة هجاء ضد غريمه الذي غرق في صمت ابدى^٤.

وتركت لنا عشرون سنة من الصراع بين الشعارين، نتاجا عرف كذلك بعنوان "النقائض" والتي سنأتي على ذكرها فيما بعد. واليوم

١ انظر الاغاني، الجزء الثالث، الفصل الثاني عشر، ص ١٩٨.

٢ الديوان ص ٤٥٧.

٣ الاغاني، الجزء الثالث، الفصل الثامن، الصفحات ١٨٧، ١٨٨.

٤ الديوان ص ٣٠٣؛ النقائض ص ١٠٤١.

نرى لها اثرا في ديوان "جرير" في اثنتين وعشرين قصيدة ومقطعين^١.
وفيما يلي قصيدة تقدم صورة لذلك الصراع^٢.

عجبت لهذا الزائر المتقرب
وادلاله بالصرم بعد التجنب
أرى طائرا اشفقت من نعبائه
فان فارقوا غدرا فما شئت فانعب
اذا لم يزل في كل دار عرفتها
لها ذراف من دمع عينيك يذهب
فما زال يستغني الهوى ويقودني
بحبلين حتى قال صحبياً لا اركبي
وقد رغبت عن شاعريها مجاشع
وما شئت فاشوا من رواة لتغلب
كذبتهم بني زغد استهما فوارسي
بميل غداة الصارخ المتلجب
لقد علم الحي المصبح أننا
متى ما يقل ياللفوارس نركب
اكلفت خنزيريك حومة زاخر
بعيد سواق السيل ليس بمذنب

١ الديوان، موجودة في الفهرست بعنوان "الاخطل".

٢ الديوان ص ٢٠.

قرنتم بني ذات الصليب بفالج
مطوع لاعناق القرائن مشغوب
فهلا التمستم فانيا غير معقب
عن الركض اوذا بنو لم يجرب
اذا رمت في حيي خزيمة عزنا
سما كل صريف السنانين مصعب
الم ترقومي بالمدينة منهم
ومن ينزل البطحاء عند المحصب
لنا فارطا حوض الرسول وحوضنا
بنعمان ولاشهاد ليس بغيب
فما وجد الخنزير مثل فعالنا
ولا مثل حوضينا جباية مجتبى
وقيس اذاقوك الهوان وقوضوا
بيوتكم في دار ذل ومحرب
فوارسنا من صلب قيس كانهم
اذا بارزوا حربا أسنة صلب
لقد قتل الجحاف أزواج نسوة
قصار الهوادي سيئات التحوب
يمحسن يا رخمان في كل بيعة
وما نلن من قربانهن المقرب

فكل من خنايىص الكناسه واشرب

وتجب الإشارة هنا، مع ذلك، الى ان قصائد الهجاء المتبادل بين "جرير" و "الاخطل" تدور فقط حول مواضيع تتعلق بالسياسة القبلية وبالعلاقة من يتحدث باسمها مع الحكام. اما الامور ذات الصلة الشخصية والتي شاهدها تدور بين "جرير" و "الفرزدق"، لا تحتل أي مكان من تلك المعركة التي تدور بين "جرير" و "الاخطل".

وربما يعود ذلك الى مزاج محتشم عبرت عنه لغة متعففة لدى "الاخطل"، منعه من ان يقدم الى "جرير" فرصة تحويل عداوتهما الى صراع خال من اى معنى.

ومن جهة اخرى، نلاحظ ان المعركة المحتدمة بين "جرير" التميمي و "الاخطل" التغلبي ، لم تثر نفس الدوامة التي اثارتها المعركة بين "جرير" و"الفرزدق" في الوسط السياسي للعراق.وفي الواقع،نرى ان العديد من الشعراء قد تداخلوا في النزاع المكشوف بين "جرير" و"الفرزدق" ؛والذين تحت اسباب مختلفة اتخذوا جانب "الفرزدق"، وذلك ما لا نراه في اية حالة تتعلق بصديقه وحليفه "الاخطل".

ويبدو ان النزاعات المتكررة بين "جرير" و"الفرزدق" في البصرة، في حين كان "الاخطل" يعيش بعيدا عن تلك المدينة، يبدو انها قد وجهت اهتمام الناس نحو هذين التميميين فقط. وهكذا بقى التغلبي في سوريا، الغريب عن المجموع وعن المنطقة، بقى وحيدا دونما نصير. ودون ادنا شك، فقد لعب دينه دورا كبيرا في تحديد عزلته في العراق.

ومن جهة اخرى، يبدو ان تلك العداوة مع الاخطل لم تخلق الكثير من النزاعات "الجرير" حتى مع شعراء تغلب. ولكننا نتعرف على شاعر واحد فقط هو "النعمان ابن يحيى" المعروف بلقب "عيسى" تغلب^١. وهو مسيحي كما "الاخطل"، وهب الى جانبه ضد جرير^٢. ولكننا نملك المعلومات الكفيلة بالقاء الضوء على مثل ذلك التداخل. هذا الى جانب انه لا توجد في ديوان "جرير" اية قصيدة هجاء تذكر ذلك الشاعر.

فاذا ماكانت العداوة بين "جرير" و"الاخطل" لم تخلق اعداء كثيرين للشاعر حيث كان الاخطل وحيدا في مواجهة غريمه، فبالقابل، ترى ان العداوة التي واجهته بالفرزدق قد خلقت له نزاعات عديدة، وان تكن قصيرة إلى حد.

ويمكننا ان نلمس تلك المشاعر القوية التي اثارته معركة الشعارين التميميين الكبيرين وخاصة في محيط البصرة، ملتقى جميع الاتجاهات السياسية والقبلية والادبية. وكان الصراع بين الرجلين،

١ انظر حوله: النقائص، ص ١٩٥.

٢ هناك اشارة في الاغاني، الجزء الثالث الفصل الحادي عشر، وفي تعليق على بعض الابيات، يحدثنا عن مساعدته "للاخطل" ضد "جرير".

صارعا بين كل تلك المشاعر التي لم تكن لتمر دون ان تترك آثارها بين ذلك الجمع الذي يستمع اليهم وينقل اشعارهم^١.

وبطبيعة الحال، كان الشعراء اول من اهتم بمناقشة "جرير" او "الفرزدق". وتداخلهم في المعركة غالبا ما كان لسبب ما او لرغبة ما في تقديم حكم على الشاعرين المتحاربين. وهذا الحكم التلقائي او المسبب غالبا ما تكون له دوافعه البعيدة تماما عن القيمة الشعرية للاشخاص المعنيين، وكما سترى.

ومهما كان الامر فحين يرى احد الغريمين ان هناك من يقف ضد، يندفع ليهاجم ذلك الذي ساقه سوء الحظ لمواجهته. واذا ما وجد سئ الحظ ذاك انه قد تداخل في المعركة، يندفع شعراء آخرون من اقرانه لمناصرته، يدفعهم الى ذلك؛ التضامن القبلي. وهكذا يتسع ميدان المعركة فاتحا الطريق ليشمل محاربين جدد.

ومع ذلك فكثيرا ما كان يندلع نزاع دون ان يكون الطرف الثالث قد فضل احد الغريمين على الآخر. فقد كان يكفي ان توضح المقدرة الفنية لاحدهم على المحك، حتى يتوجه الاتهام اليه بانه قد اتخذ موقفه المسبق بجانب الآخر. وذلك كان الوضع بالنسبة لـ "عمر ابن لجأ"^٢ على ما يبدو، وهو من قبيلة التميم. واذا ما صدقنا رواية تتحدث عن نزاعه مع شاعرنا، فيكون عمر قد نظم بعض ابيات الهجاء ردا على بعض ابيات "جرير" حيث اتهمه بمناصرته "الفرزدق" عليه. وافتتح

١ حول الجدل الادبي الذي دار حول الشاعرين الكبيرين، انظر الحاجري الصفحات: ٩٩-١٠١.

٢ حوله انظر، ابن سلام، ص ٣٦٢-٣٢٧؛ وكذلك ابن قتيبة ص ٤٢٨-٤٢٩، وابن حزم ص ١٨٩.

بذلك معركة شعرية احتدمت بقوة واحتلت بعنادها وشدة المكان الثالث في نتاجه الهجائي^١.

ولا يوجد من المعلومات ما يمكن ان يقدم لنا تاريخا محددا لذلك النزاع ومتى بدأ. ولكن هناك رواية على اي حال تروى ان "عمر ابن عبد العزيز"، والى المدينة حين ذاك (٨٧-٩٣هـ/٧٠٦-٧١٢م) قد عاقب الشاعرين بسبب تبادلهم السباب والقذف^٢. ويمكننا بذلك ان نستنتج ان بداية ذلك النزاع كان حتما قبل ذلك التاريخ. وسوف تظل تلك العدواة قائمة، ولسنين طويلة وقبل ان تاتي مبادرة ما، لتصليح ذات البين بين الغريمين ولتضع حدا لها^٣. ويجب ان نشير هنا من جهة اخرى، الى ان تبادل الهجاء بين "جرير" و"عمر ابن لجأ" اصح يعرف كذلك تحت عنوان "النقائض". (انظر فيما سبق اعلاه). ويحوي ديوان "جرير" حاليا خمس عشرة قصيدة وخمسة مقاطع^٤.

و"جرير" كما نلاحظ ذلك، لايجامل غرماءه الاخرين وهو يتوجه فقط وبشكل رئيسي الى أي واحد منهم، ولكنه على عكس عاداته، لم يذكر "الفرزدق" الا مرة واحدة وهو يهجو "عمر ابن لجأ". وربما كان ذلك في بداية النزاع، كما كان "جرير" يعتقد ان عمر ابن

١ الاغاني الجزء الثالث، الفصل الثامن، ص ٧٠، ابن سلام ص ٣٦٢.

٢ الاغاني، الجزء الثالث، الفصل الثامن، ص ٨٢، وحيث يشير جرير الى ذلك العقاب، الديوان ص ١٦٦ (البيت الاول). ولم يكن النزاع قد بدأ اذا في اليمامة في ظل ولاية المهاجر، والى هشام، وكما يورد ذلك ابن قتيبة ص ٤٢٩.

٣ واستنادا الى "ابن سلام"، ص ٣٧١، فان الهجاء المتبادل بين جرير وعمر قد ارهق شركائهما، فتدخلوا ليصلحوا ذات بينهما.

٤ اليوان، انظر الفهرست: تيم "وعمر ابن لجأ".

٥ الديوان، ص ٤٣٦، قصيدة هجاء في ستة وثلاثين بيتا.

لجأ لم ينظم تلك الابيات الا للتقليل من قيمته لصالح "الفرزدق". وتروي احدى الحكايات ان "الفرزدق" قد تضامن حتى مع "جرير" وضد "عمر". وربما من المحتمل لان شخصه لم يكن موضوع النزاع ولا يقدم لنا شاعرنا من جهة اخرى، اية اشارة او لمحة سياسية في قصائد هجائه ضد "عمر"؛ انما كان يود فقط التقليل من شان الموضوع محاول النيل من مكانة غريمه وقبيلته، وتغطية سمعته وشرفه ونحن لا نعرف في الواقع ما اذا كان "العمر" او لقبيلته مساهمة ما خاصة في احداث العصر السياسية مما يمكننا من معرفة دوافع ذلك النزاع ان كان له صلة ما بالمصالح السياسية او القبلية التي يدافع عنها "جرير".

ومهما كان الامر، فقد كان للتضامن القبلي مردوده، فقد اندفع الكثيرون من الشعراء المنتسبين لقبيلة "تميم" لمناصرة "عمر" ضد "جرير". ونذكر منهم "جخدب"، و"علقة"، و"السرندي".^٢ وكذلك

١ الغاني، الجزء الثالث، الفصل الثامن الصفحات ٧٨-٧٧.

٢ لانعلم الكثير حول هؤلاء الشعراء الثلاثة. ويذكرهم ابن "دريد" ص ١١٣ وهو يتحدث عن مساعدتهم "لعمر". ووصلت اليينا بعض المعلومات عن "جخدب" لدى الجاحظ في "البيان" الجزء الاول ص ٣٣٦. وكان كذلك موضوعا لقصيدة هجاء، (ديوان جرير، ص ٣٢٧، البيت التاسع). كما ان علقه والسرندي المذكوران في كتاب الاغاني، الجزء الثالث، الفصل الثامن ص ٢٦. وذكرهما جرير في قصيدة هجاء ضد عمر (الديوان، ص ٢٨٨، البيت السابع والثامن)، انظر كذلك ابن سلام ص ٣٧٢، والذي يذكر ان "السرندي" يحتل المكانة الثانية بعد عمر بين شعراء التميم.

"ذو الرمة" الذي اكتفى بالتعبير عن الاعجاب "بالفرزدق" مما اشار حفيضة "جرير"^٢.

ولكن النزاع سوف يدخل مرحلة جديدة وستتسع الدائرة. وهكذا، وبحجة الرغبة في تقديم حكم ذي قيمة فنية، قام الشاعر "عبيد ابن جزررة" وينتسب لاحد فروع تميم "عنبر"^٣؛ قام بتفضيل اشعار "عمر ابن لجأ" ولكن يبدو ان ذلك الشاعر لن يكون وحيدا في معركته مع "جرير" وسنجد شاعر آخر، "المستنير ابن سبرة"، المعروف بلقب البلبة،^٤ واحد اقرانه سيتصدى "الجرير"؛ انه احد اقران "عبيد" ولكننا لانملك المعلومات الكافية التي يمكن ان تقدم لنا دوافع تداخله ضد "جرير". ويمكننا الظن بان "المستنير" قد اختار جانب "عبيد"، استجابة للعقلية القبلية.

ونود كذلك ان نذكر هنا حالة نزاع آخر، كانت له نفس الدوافع، وتطور بنفس النهج الذي تطور فيه النزاع بين "جرير" و "عمر ابن لجأ".

١ حول انظر النقاء ص ٥٨، والجزء الاول ص ٨٧.

٢ الغاني، الجزء الثالث، الفصل الثامن ص ٥٥. ابن سلام ص ٤٦٩؛ انظر كذلك الديوان ص ٤٨٦ حيث توجد قصيدة هجاء (من ثماني ابيات) ضد ذلك الشاعر.

٣ حول تلك القبيلة، انظر ابن حرم ص ١٩٧، وابن دريد ص ١٣١٨ حول تداخل عبيد، الشاعر غير المعروف تماما لنا. انظر النقائص، ص ٤٨٨، وهو يتقاسم مع الفرزدق قصيدة هجاء، الديوان ص ١٨٤ (قصيدة من اربعة واربعين بيتا).

٤ ينتسب المستنير الى "عنبر" (ابن حزم ص ١٩٧، وابن دريد ص ١٣١). ومذكور في الاغاني الجزء الثالث، الفصل الثامن ص ١٩، المرزباني، المعجم ص ٨٧٧ - ٨٧٨، وكان موضوعا لقصيدتي هجاء الديوان ص ٣٥٨، ص ٣٦٦.

ونقصد بالحديث هنا، قطم ابن حبية، المعروف بلقب الصلتان، من قبيلة القيس^١. وقد اراد العرب عن رايه في نتاج الشاعرين التميمين الكبيرين، فنظم قصيدة اعتراف فيها بافضلية عبقرية "جرير" الشعرية، ولكنه اكد في ذات الوقت على الاصل المتواضع لشاعرنا في حين انه يرى ان قيمة اشعار "الفرزدق" تعود الى الاصل النبيل الذي ينحدر منه "الفرزدق"^٢.

ونحن نتمسك هنا بالتاكيد على ذلك الاعتبار الطبقي الذي كان وراء الصلتان؛ وسنرى كيف ان تلك الطبقيّة قد لعبت دورها في عزلة "جرير" وسط جمع الشعراء الذي كانوا يلحقون في ارهاقه.

ومهما كان الحال، وعندما رأى "جرير" ان الريح غير مؤاتية، هاجم الصلتان منكرا عليه أي اتباع في ميدان الشعر، وانه بالنسبة "الجرير" ليس سوى مواطنا لا يعرف غير زراعة نخيله^٣.

وسوف يقوم "خليد عنين"، احد اقران "الصلتان" بالهجوم على "جرير" وهجائه مناصرة لاقرائه كما يبدو^٤.

١ حوله، انظر ابن قتيبة ص ٣١٤-٣١٦، والمرزباني ص ٢٢٩، وكذلك البغدادي، الجزء الاول ص ٣٠٤-٣٠٨. وحول قبائل "عبد القيس" انظر ابن حزم، ص ٢٧٨. كذلك انظر بيلر pellar، الجاحظ، اللوحة الاولى ا

٢ ابن قتيبة ص ٣١٥، يذكر قصيدة الصلتان (في ٢٣ بيتا)؛ ابن حزم ص ٣٤٣-٣٣٤ يذكر مقطعا من تسعة ابيات. انظر كذلك القالي؛ الجزء الثاني؛ ص ١٤١-١٢٤.

٣ الديوان ص ٤٢٩ (بيتا واحدا). ابن سلام ص ٣٤٥ يذكر ذلك البيت كما رد سريع لاذع من قبل "جرير"، ويذكر البيت نفسه كذلك الجاحظ، كتاب الحيوان، الجزء الاول ص ٢٦٤، مشيرا الى تلك المعركة.

٤ حوله، انظر ابن قتيبة ص ٢٨٢-٢٨٣، وكذلك ابن سلام في ص ٣٨٥ يتحدث عن تدخله ضد "جرير"، ذاكرًا مقطعين من الهجاء وجهها "جرير" اليه.

٥ شاعر غير معروف يذكر ابن سلام ص ٣٨٣، بيتا من تلك الاشعار المنضومة ضد "جرير"، الذي قام بدوره بالرد عليه في مقطع من ثلاثة ابيات ل اثر له في الديوان.

ونحن نرى كيف ان العداوة بين "جرير" و"الفرزدق" قد دفعت شعراء آخرين على الاهتمام بها، وكيف دفع هؤلاء بدورهم آخرين غيرهم حتى اتسعت الدائرة وبذلك اصبحت المعركة تدور حول مواضيع أخرى جديدة. ومن المعروف ان المعركة قد بدأت بمجرد رأي ادبي، وانتهت بالمناقشات بين بدو وحضر.

واذا ما كانت الاحكام حول قيمة كل من الشعارين التميميين الكبيرين والتي كانت اساسا لتلك المعارك العديدة التي ذكرناها لتونا قد حدثت تلقائيا، فأنا هناك غيرها قد اثرت عن عمد كما يبدو.

ويمكن ان نذكر هنا "سراقة ابن مرداس" من قبيلة بارق اليمانية^١. ويكون "بشر ابن مروان" والي العراق، هو الذي دفع بذلك الشاعر الى ان يدلي برأيه لصالح "الفرزدق" ضد "جرير"، وكان ذلك فيما بين السنوات (٧٢-٧٤هـ/٦٩٢-٦٩٤م).

ولم تكن خلفية "بشر" السياسية غائبة حينما دفع بشاعر من اصل يمانى ضد شاعر يربوعي، وهو يعلم بالعدواة بين "جرير" و"سراقة" قصيرة الامد. ولما كان "سراقة" من الظرفاء، فلم يكن بمقدوره اذن مواجهة هجاء سليط كما "جرير"^٢.

١ حول تلك القبيلة، انظر ابن حزم ص ٣٩٧ وحول تداخل سراقة ضد "جرير" انظر ابن سلام ص ٣٧٥، والاغاني الجزء الثالث الفصل الثامن ص ١٨؛ والبلاذري والالساب، الجزء الخامس ص ١٦٩. وكذلك النقائض (جرير والفرزدق) ص ٩٩٢١

٢ الديوان ص ٣٠٠ (اثنان واربعون بيتا) ص ٣٩٦ (ثمانى ابيات) وهما قصيدتان ضده

وهناك شاعر آخر، فضل بدوره "الفرزدق" على "جرير"، وكان قد حدد موقفه بتأثير من بعض الاحداث السياسية. ونعني هنا، الشاعر "عبيدابن حسين" المعروف بلقب "الراعي"^١.

ويبدو ان الراعي قد تبنى ذلك الموقف بعد مقتل "قتيبة"، والي خراسان عام (٩٦هـ/٧١٥م) على يد "وكيع" الريبوعي كما راينا سابقا. ويعود "قتيبة" في نسبه الى قبيلة "الباهلة" التي ترتبط بجذور قيسية مع "النمير" قبيلة الراعي^٢.

ومع ذلك، تقول رواية بان تداخل الراعي الذي تسبب فيه احد اصدقاء الفرزدق، قد تسبب في خلق حالة من عدم الرضى لدى التميميين وضد يربوع بسبب مقتل قتيبه. واستنادا الى تلك الرواية، فان التميميين قد دفعوا شاعرهم آنذاك الى اتخاذ ذلك الموقف ضد "جرير"^٣.

وشاعرنا، وقد وضعوا موهبته على المحك، هاجم الشاعر النميري الذي لم يجرؤ بعد ذلك على الرد^٤.

واذا ماكان الشعراء الذين ذكرناهم آنفا قد تداخلوا في النزاع، ضد "جرير" لهذا السبب اوذاك فهناك آخرون قد انضموا اليهم كذلك

١ انظر حول ابن سلام (٤٣٤-٤٥٠). ولاغاني الجزء الثاني ص ١٦٨ ، وابن قتيبة ٢٤٦-٢٤٨ .

٢ حول تلك القبيلة ، انظر ابن حزم ص ٢٦٣ .

٣ النقائض ، ص ٤٢٧

٤ الوايات التي تتحدث عن تداخله ضد "جرير" مذكورة في النقائض ص ٤٢٧ ،

والاغاني الجزء الثالث الفصل الثامن ص ٢٩-٣٠ ، وابن سلام ص ٣٧٢-٣٧٤ .

انظر كذلك الديوان ص ٦٤ (قصيدة هجاء ضد الراعي من مائة وخمسة عشر بيتا) .

واسبابهم غير واضحة تماما. وعلى أي حال تسمح لنا روابط الرحم، القريبة او البعيدة، والتي تربط القادمين الجدد الى ساحة المعركة بالفرزدق، الهمتها روح التضامن التي تمليها مثل ذلك الروابط.

ومن بين هؤلاء الشعراء، نذكر "عقبة ابن صنيع" من قبيلة طهية^١، والمرار ابن منقذ الذي ينتسب الى قبيلة صدى^٢. وتربط هاتين القبيلتين خيوط مشتركة مع مجاشع، وهذا ما يجمعهما في مواجهة "يربوع".

ويمكننا الظن بان شعراء تلك الفروع لم يقفوا موقف الامبالاة. وهكذا انبرى "عقبة" و "المرار" لمساعدة رفيقهم المجاشعي الذي وقع بين يدي "جرير" اليربوعي.

وعلى أي حال، لا تسمح لنا المعلومات الغامضة التي تتعلق بتدخلهم، بتحديد ظروفه ونتاجه. وعلى ما يبدو فهي معركة كغيرها من المعارك التي لم تستطع الصمود في وجه "جرير" المكافح العنيف. وفيما عدا الروابط القبلية المعروفة، فان الروابط العائلية من جانب الام تلعب دورها في التضامن بين الشعراء. وفي الواقع، فبالنسبة

١ قبائل طهية تتكون من مجمعة من ثلاث قبائل متآخية مع مجاشع . انظر ابن دريد ص ١٤٢ ؛ وابن حزم ، ص ٢١٦ . ويذكر ذلك الشاعر من بين اعداء "جرير" في الاغاني الجزء الثالث ص ٢٦-٢٧ ، قصيدتان من الهجاء ضده وقبيلة الديوان ص ٤٨ (ثلاثة ابيات) ، ص ١٣٩ (تسعة عشر بيتا) .

٢ حول هذه القبياة ، انظر ابن حزم ص ٢١٦ ، ابن دريد ص ١٤٢ ، وحول الشاعر ومعركته مع "جرير" ، انظر الاغاني ص ٢٣ الجزء الثالث الفصل الثامن ، والمرزباني ص ٤٠٩ وكما انه موضح قصيدة هجاء في الديوان ص ٥٨٩ (من واحد وعشرين بيتا .

للعرب فان نبل واصالة الاسرة لاتعود فقط الى اصول انحدار الاب ويحتل نسب الام مكانه الهام في شجرة العائلة^١.

واذا ما هاجم احد ما عراقية غريمه، يمكنه النيل من كلا الجانبين.

والشعراء، سواء كانوا تميميين ام لا، فانهم يرتبطون بالفرزدق بذلك النوع من صلات القربى وكانوا بذلك هدفا لهجاء "جرير"؛ كما كان قدرهم المساهمة في المعركة. ونعرف من بين هؤلاء الشعراء التميميين، "عياش ابن الزبرقاني"، ابن خالة "الفرزدق"، الذي اتخذ جانب الدفاع عن "الفرزدق" ضد "جرير"^٢.

وخارج نطاق بني تميم العائدين "للفرزدق"، يوجد هناك كذلك اعمام له يعيشون لدى "الضبة"^٣. بسبب تلك القرابة لغريمه، اندفع "جرير" ضدهم ولم يستطيع شعراء "الضبة" البقاء غير مباينين امام اتهامات وقذف جرير. ونذكر هنا "مشجور ابن غيلان"، الشاعر الطيبي الذي وقف ضد "جرير"^٤.

١ حول اهمية روابط صلة القربى ، انظر الاب لامنس "Lammens"، "معاوية" ص ٣٠٠-٣٠٥ .

٢ حوله وحول معركته مع جرير ، انظر النقائض بين جرير والفرزدق ، ص ٧٠٥ - ص ٧٧٩ . وكذلك الجاحظ ، "البيان" الجزء الاول ص ٣٠٥ ، وص ٢٧٨ . انظر كذلك قصائد الهجاء التي تخصه، الديوان ص ٨٣ (قصيدة من ستة وثلاثين بيتا)، ص ٤٥٧ (قصيدة من ثلاثين بيتا) .

٣ تمثل "الضبة" مجموعة تشترك مع تميم في اصول مضرية . انظر ابن حزم ص ١٩٢ ؛ وابن دريد ص ١١٧ . انظر كذلك بيلر "Pellar" ، الجاحظ ، اللوحة الاولى .

٤ الديوان ص ١٥١ ، (قصيدة من تسعة ابيات) ، وص ١٩٢ (البيت الرابع وما يليه) .

٥ انظر حوله الجاحظ ، البيان الجزء الاول ص ٣٤١ ؛ والمرزباني ص ٤٧١ الذي يذكر تلك المعركة ؛ انظر كذلك الديوان ص ٢٣٣ ، مقطع هجائي ضده .

وجاء شعراء آخرون ليدلو بدلوهم في تلك المعركة الشعرية الكبيرة وليطلقوا سهامهم على "جرير" ولا يبدو ابدا ان الاعتبار القبلية او السياسية تقف وراء تدخلهم ذاك. ووقفهم ضد الغريم الشهير كان املا في رؤية اسمائهم مقترنة باسمه، وفي الحصول بذلك على بعض الشهرة.

ويشير ابن سلام الى تلك العقلية وهو يحدثنا عن شاعر يدعى "العباس ابن يزيد الكندي" كان يهدف الى السير في مثل ذلك السبيل^١ عندما قام بهجاء "جرير".

وشاعر اخر هو "اللعين المنقري"، واستنادا كذلك الى ابن سلام^٢، قد هجا الفرزدق مع جرير، بهدف الحصول على بعض الشهرة في حالة قيامها بالرد عليه.

وقد حاول "بشار ابن برد"^٣، شاعر البصرة الشهير حاول بدوره الدخول في معركة مع "جرير". وقد تحدث الشاعر البصري عن تلك المحاولة قائلا بانه نظم قصيدة هجاء ضد "جرير" وهو مازال في شبابه الاول، املا في ان يرد عليه "جرير" ويصبح بذلك شاعرا كبيرا^٤.

١ ابن سلام ص ٣٨٠ - ٣٨٣. يذكر ذلك الشاعر من بين اعداء "جرير" لدى المرزبانى ص ٢٦٣ - ٢٦٤، وكان موضع قصيدة هجاء؛ انظر الديوان (قصيدة من خمس وثلاثين بيتا).

٢ ابن سلام ص ٣٤٢ - ٣٤٣؛ انظر كذلك ابن قتيبة ص ٣١٤؛ لا يوجد ذكر لذلك الشاعر في مكان من ديوان "جرير".

٣ حوله، انظر الانسيكلوبيديا الاسلاميه، الجزء الاول، ص ٦٨٩.

٤ الاغانى، الجزء الثالث، الفصل الثالث، ص ١٤٣؛ انظر كذلك "العمدة" الجزء الاول ص ٩١. يقول "بشار" انه لم يتلقى ردا من "جرير" على قصيدة هجائه ز وفي الحقيقة لم يكن ابدا موضوعا لاية قصيدة في ديوان "جرير".

وفي ضوء تلك النثلة ترى كيف ان الوسط الشعري في العراق كان قد احتدم بالمعركة التي قادها "جرير"، وكيف ان تلك المعركة قد خلقت الاعداء في نفس الوقت الذي جعلت منه سيدا يؤثر مجرد رد بسيط منه على حياة غيره الشعرية.

فهناك اذن الكثير من الاسباب التي دفعت جمهرة من الشعراء الى تبني موقفا معاديا "لجرير". وفي المقابل ، كم هو عدد اولئك الذين هبوا لمساعدته في تلك المعركة بسبب من هذا الدافع او ذاك كما اسلفنا؟

وفي الواقع، وفي قصيدة موجهة ضد غريمه، هدد "الفرزدق" احدى بنات "جرير" بصواعقه لانها كانت جريئة بما فيه الكفاية لرغبتها في الدفاع عن والدها^١. وازداد غرور "جرير" من جهة اخرى ضد اعدائه لان المعركة سوف يواصلها اولاده بعد وفاته^٢. واولئك من بين اولاده لم يقفوا بالتاكيد على الحياد في حياة والدهم الذي كان ان ذاك في نروة معركته. ومن المحتمل كذلك، ان يكون هناك شعراء اخرون قد جاؤا يدفعهم التضامن القبلي لنجدة اكبر المدافعين عن يربوع؛ والذي حجت شهرته الكبيرة محاولاتهم واسمائهم.

ومهما كان الامر، "فجرير" قد ظهر وحيدا في معركته مع "الفرزدق" وحلفائه العديدين. فما هي تلك العوامل تشرح تلك العزلة؟

١ نقائض جرير والفرزدق ، ص ٨٣٩ (البيت الخامس عشر) . ويتعلق الامر بام غيلان ، احدى بنات "جرير" وهي شاعرة . (انظر ماسبق اعلاه) . وليس لدينا أي من نتائجها .

٢ الديان ص٤٢٦ (البيت التاسع) ، وحيث يذكر "جرير" اسم اولاده: "حرزة" وبلال .

واول العوامل كما نظن، هو العامل الاجتماعي ذو التأثير الهام جدا على ما يبدو. فجرير ينتسب الى عائلة متواضعة يقود الى اقل القبائل اليربوعية تواضعا، الاوهي كليب. في حين كان الفرزدق في المقابل ينحدر من اصل نبيل، حيث كان اجداده شيوخ مجاشع. واعتبارات كتلك كانت ومازالت تلعب دورها الكبير جدا في الوسط البدوي عندما يتعلق الامر بتقييم الرجال.

وهكذا، واستنادا الى رواية ينقلها "المرزباني" كان ذلك الفرق الاجتماعي كافيا لدفع الشعراء الى الهجوم على "جرير" واحمال مساندته، واحترام "الفرزدق" متخذين موقفا مناصرا له^١. وقد راينا مع ذلك ان أي جدل يدور حول تلك الاحكام التقييمية، كان ان ياخذ بنظر الاعتبار الفروق الطبقية بين الغريمين.

و"جرير" نفسه، كان واعيا تماما لتلك العقلية كما يبدو، ولثقل العبء الذي تفرضه عليه اصوله المتواضعة^٢.

وياتي في الدرجة الثانية، موقف "جرير" السياسي الذي يعمل بدوره على شرح تلك العزلة. فقد كان العراق في تلك الفترة مركز القلاقل والثورات الموسمية، كما كان سكان العراق يحبون ان يجدوا انعكاسات لاستيائهم وسخطهم في نتاج شعرائهم. وكان ذلك هو موقف "الفرزدق" في صراعه المستديم العلني والسري مع ولاة العراق. ولم يكن ذلك ابدا الحال مع "جرير". ففي الوقت الذي كان فيه العراق ينوء

١ المرزباني ، معجم الشعراء ص ١٢٤ .

٢ واستنادا الى احدى الروايات ، كان "جرير" الغاضب والمهان جدا بسبب اصوله الطبقية ، قد اخذ يتفاخر بانه قد هزم جمعا من الشعراء اغم انتسابه لاسرة متواضعة . انظر الاغاني ، الجزء الثالث ، الفصل الثامن ص ٧٩ .

تحت عنف "الحجاج" الشديد البأس، كان شاعرنا يجتهد في الدفاع عن سياسة ذلك الوالي ويكيل لاذع السباب الى سكان العراق. وموقف كهذا بالطبع، لم يكن يجذب نحوه الكثيرين من الخلفاء.

ونلاحظ من جهة اخرى، عزلة ووحدة "جرير" كذلك في صراعه مع "الاخطل". افلم يكن ليجد الشاعر التغلبي؟ مع غياب المعلومات من الصعب التاكيد على ذلك. ومع ذلك فقد كان "الاخطل" حريصا جدا وماكرا في هجائه ضد "جرير". واصبحت "كليب" بالنسبة له وهي قبيلة "جرير" هدف تهجماته التي تركزت على وضاعة القبيلة، وذلك شيء لم يكن بطبيعته ليثير العواطف.

وهكذا، كان شاعرنا ان يبدا معركته دونما هوادة او تراجع. وقد ولد "جرير" وتربى في وسط البداوة وحيث كانت الحروب والصراعات الداخلية تكون نسيج الحياة اليومية. ومع اولى قصائد الهجاء تبلورة شاعريته وكان طموحه الوحيد انذاك هو الدفاع عن قبيلته. ولكن الحياة السياسية للعصر والتي انجرف فيها تماما دائما لنفس الهدف، قد جاءت لتؤثر بدورها في صراعاته المتواصلة. وذلك الى جانب فشله تجاه حكام دمشق، كل ذلك جاء ليحرك ويثير المرارة الكامنة لديه في ذلك النوع الادبي. وهو ان هوجم من جميع الاطراف ومن قبل اعداء يتكاثرون دوما؟ نره وحيدا ودونما حليف مما دفعه اكثر فاكثر الى العكوف على الهجاء اللاذع، والذي جعل منه سيد ذلك النوع الادبي وممثله الافضل في الشعر العربي.

الفصل السادس

الرجل وصفاته

الفصل السادس

الرجل وصفاته

صورته - عاداته - طبيعته الخائفة - بخله وجشعه - الصدق الفني - عواطف "جرير" المتناقضة - ادعاء العفة والورع المزعوم.

وبعيدا عن ذلك المجد الذي عرفه "جرير" في حياته كما في مماته، نجح المهتمون بتاريخ حياته في نبش الروايات والتفتيش عن الحقائق التي تخصه والتنقيب في المعلومات النادرة جدا والتي يمكن لها ان تعطي صورة متكاملة عن تلك الشخصية.

ولا نعرف من مظهره الخارجي، سوى انه كان جميل الشعر. وكان، كما يبدو، يهتم جدا بتصفيفه، اذا ما كان يجب عليه ان يحضر اجتماعات عامة^١. وكان له كذلك صوت اخن^٢. كما ان ولادته قبل الاوان، لم تترك له أي اثر من عوق. واعدائه الذين كانوا يحاولون السخرية منه ومن تلك الظاهره في حياته^٣، لم يتحدثوا ابدا عن أي عوق جسدي كان لدى "جرير".

وحول اهتماماته اليومية، فما زالت المعلومات اكثر ندرة. وبالتاكيد، كان يرحل كثيرا الى العراق وسوريا والحجاز حيث كان يبقى هناك آمادا طويلة؛ وكان ذلك يشغل جل وقته. ولكنه كان عندما

١ الاغاني ، الجزء الثالث الفصل الثامن ، ص ٣٠ - ٣١ .

٢ الاغاني ، ص ٨٢ ؛ ونقائض جرير والفرزدق ، ص ٤٣٠ .

٣ الاغاني ، الجزء الثالث، الفصل الثامن ، ص ٥٠ ؛ يوجد بيت للفرزدق في هذا المعنى .

يعود الى اليمامة، كان يمارس حياة البداوة الاعتيادية. اما بالنسبة للزراعة، فما كان "جرير" ليقوم بمثل تلك الاعمال^١.

ولكننا نملك مع ذلك معلومات تشير الى بعض عادات "جرير" التي تتعلق بعمله. فاستنادا الى رواية نقلتها احدى بناته، كان جرير معتادا على النهوض مبكرا في الفجر، ويؤدي فروض الصلاة ثم يعتزل الناس ولا يتحدث مع أي كان حتى مطلع الشمس^٢. ولنا الحق ان نتعقد بان شاعرنا كان يجد في ساعات الهدوء تلك استجماعا للحظات الابداع المناسبة للخلق. وينقل صاحب "العمدة" رواية اخرى تشير بدورها الى عادة الوحدة والعزلة تلك لدى "جرير" عندما كان يريد ان يقرض شعرا. واذا ما اراد ان ينظم قصيدة مثلا، فهو يبتعد وحيدا وخاصة في الليل، حتى انه كان يغطس الرأس حتى يتأكد من عزلته التامة^٣.

وتسمح لنا بعض الاشارات من جهة اخرى الى تكوين فكرة عامة واضحة عن صفات "جرير" وسلوكه. وهي تقدمه لنا السانا متوازنة مسيطرا على تصرفاته. ويحدثنا "ابن سلام" بانه كان يستمع الى قصائد الهجاء الموجهة اليه في هدوء تام، في حين كان غريمه "الفرزدق" يثور ويفقد اعصابه^٤.

وربما تخفى تلك السيطرة على النفس، وذلك التركيز اثناء عملية الخلق، ذلك السر في احقية ردود "جرير" ونجاحه في تسديد السهام.

١ انظر ما سبق ان ذكرناه اعلاه . (الاجاني ص ٢٠٢) .

٢ نقائض "جرير" و"الفرزدق" ص ٣٢ ؛ والجاحظ في احدى الروايات التي نقلها في "البيان" ، الجزء الثالث ، ص ١٦٥ ، تشير الى تلك العادة لدى "جرير" ، ولكنها لا تذكر شيئا عن صلواته على أي حال .

٣ "العمدة" ، الجزء الاول ص ١٨٠ .

٤ ابن سلام ، ص ٣١٧ - ٣١٨ .

واذا ما كان الفعل لديه جريئاً، فيبدو لنا في المقابل ان الشخصية التي نحن بصددھا ذات طبيعة متخوفة. ويظهر ذلك اول ما يظهر في مواجهته المسؤولين. فاذا ما صدقنا ما روته احدى بناته فقد كان يشعر بالخوف من السلطات^١. ومع ذلك فقد راينا الرعب الذي خلقه "الحجاج" في نفس "جرير" قبل اول لقاء لهما، رغم انه لم يكن هناك ادنى سبب لمثل ذلك الرعب، ان لم تكن فقط طبيعة "جرير" المتخوفة هي التي خلقت ذلك الرعب. فهو لم يعلن ابداً انه مناصر لذلك الوالي او مناهض لسياسته.

وتظهر تلك الصفات كذلك في الموقف السلبي الذي اتخذه "جرير" طيلة حياته في مواجهة ممثلي السلطة سواء في اليمامة او في العراق. ولم يذكر أي منهم في نتاجه او يلوم احد منهم. فلم يكن "جرير" يتمتع بجرأة غريمه "الفرزدق" الذي لم يوفر احداً من ولاية العراق، ولا بجرأة "الراعي النميري" الذي انتقد بشدة جباة الضرائب في اليمامة^٢، في قصيدة مديح طويلة موجهة لـ "عبد الملك".

ولكن مشاعر الخوف تلك لدى "جرير" لم تظهر فقط امام السلطة. فقد شعر بها كذلك امام اولئك الذين لم يتخوف قبلاً من اغراقهم بالسباب. وهكذا، فاثناء مروره في مناطق قبيلة "الضبة"، اغرقت مشاعر الخوف نفس "جرير" الذي سارع بتهدة ثائرتهم موجهة لهم بعض ابیات المديح المتملق والتي تكشف لنا مع ذلك عن تلك المخاوف^٣.

١ نقائض جرير والفرزدق ، ص ٣٢.

٢ يذكر "القريشي" نص تلك القصيدة ، ص ٣٥٦ .

٣ ابن سلام ، ص ٣٦١ - ٣٦٢ ؛ انظر كذلك الديوان ، ص ٤٨٧ (مقطع من اربعة ابیات).

فاذا ما كان يظهر الشهامة وكرم النفس، فان ذلك كان فقط امام من يخاشهم، كما تنقله لنا رواية احد اقاربه^١.

وهناك عديد من الاشارات التي توضح لنا صفة أخرى غير محببة لديه، وهي البخل. واستنادا الى الجاحظ، وهو يشير الى تلك الصفة فيقول، كان بخل شاعرنا مضرب الامثال^٢. وتحدثنا رواية اخرى عن احدى عبيده التي هربت من المنزل، فقد اصبحت لا تطيق العيش مع تلك القيود الشديدة التي يفرضها سيدها^٣. وهذا هو "جرير" في اواخر سني حياته، يقوم بالاهتمام الواضح باحد ضيوفه وباكرا م ضيافته؛ مما اثار دهشة من يحيط به فهو لم يتصرف هكذا سابقا ابدا^٤.

ويمكننا ان نضيف الطمع الى البخل. فاذا ما كان "جرير" من الشعراء اللجوجين الملحاحين، والذي كان همه الاول هو الثواب والجزاء فقد كان مع ذلك في تصرفاته وفي اشعاره عجولا، متصلبا وجشعا فقد كان يتطلب الكثير من المناصرين للادب، ولم يكن يقف منتظرا العطايا، وانما كان يطالب بها ويطلب المزيد.

وهكذا ففي اول لقاء له مع الخليفة "عبد الملك ابن مروان"، لم يكن "جرير" راضيا عن عطايا الخليفة؛ بل انه اصر على الحصول على عطايا آخر^٥. وعندما حل على بلاط الخليفة "عمر ابن عبد العزيز"

١ نقائص جرير والفرزدق ، ص ٣١ .

٢ الجاحظ ، البخل ، ص ١٦٥ .

٣ الاغانى ، الجزء الثالث ، الفصل الثامن ، ص ٥٣ .

٤ الاغانى ، أي نفس المصدر ، الفصل الثاني عشر ، ص ٢٩١ .

٥ نفس المصدر ، الفصل الثامن من الجزء الثالث ، ص ٦٨ .

الذي تحدث اليه عن قلة المال في خزائنه، تصرف "جرير" بالمثل
وبنفس الطريقة لدرجة ان الحاشية الاميرية وجدت نفسها مسؤولة عن
تلبية مطالب "جرير".^١

وتحوي مدائحه الكثير من الدلالات التي يتوضح فيها جشعه
الذي لا يشبع. وهكذا نراه يناشد الخليفة "عمر ابن عبد العزيز":^٢

خليفة الله ماذا تنظرون بنا

لسنا اليكم ولا في دار منتظر

ويقول له في مكان اخر، متعجلا العطايا:^٣

اني لامل منك خيرا عاجلا

والنفس مولعة بحب العاجل

ورغم عدم رضاه من ان يبدو متعجلا امام من يرعاه "فجرير"
لم يشبع ابدا، ولم يتحرج مطلقا في اعلان انتظاره للعطايا القادمة، وها
هو يقول في مديحه للامير "معاوية ابن هشام":^٤

انا لنامل منك سييا عاجلا

يابن الخليفة ثم نرجوكم غدا

و"جرير" الذي ينحدر من عائلة فقيرة محتاجة، كان مسؤولا
فيما بعد عن اعادة تلك العائلة الكبيرة والتي كانت دائما عرضة

١ الاغاني ، الجزء الثالث ، الفصل الثامن ، ص ٤٨-٤٩ .

٢ الديوان ص ٢٧٥ .

٣ الديوان ص ٤١٥ .

٤ الديوان ص ١٨٢ .

لمصاعب مادية كبيرة؛ قد علمته اذن مدرسة الحياة الصعبة قيمة الثروة التي ظل يبحث عنها في اصرار امام من يمدحهم والذين توجه اليهم في مهانة، في محاولة لاثارة عطفهم؛ اذ كان ينوء بحمله الثقيل. وهكذا توجه الى الامير "معاوية ابن هشام" ^١ قائلا:

ماذا ترى في عيال برمت بهم

لم تخص عدتهم الا بعــــــــــــــــداد

كانو ثمانين او زادو ثمانية

لولا رجاؤك قد قتــــــــــــــــلت اولادي

وقال لآخر ممن مدحهم ^٢ :

اشكو اليك فاشكني نرية

لايشبعون وامهم لا تشبــــــــــــــــع

كثروا علي فما يموت كبيرهم

حتى الحساب ولا الصغير المرضع

واذا ما كنا قد استعرضنا وحتى الآن بعض مثالب "جرير" التي كانت كما الاستجابة لحاجته، فيجب ان نعترف له بخصلة حسنة قليلا مانلمسها لدى الشعراء الهجائيين. وفي الواقع، فرغم جشعه من جهة، وموهبته الشعرية الحاسمة من جهة اخرى؛ فانه لم يقع ابدا فريسة لمثل ذلك الجشع الذي يمكن ان يستخدم كما وسيلة لاشباع الحاجة والحصول على العطايا، وذلك على العكس من شعراء عصره

١ الديوان ، ص ١٥٦ .

٢ الديوان ، ص ٣٥٤ .

"كالخطيئة"^١، او "بشار ابن برد"^٢. فقد كانا ينظران الى الهجاء نوعا من الازلال يجبر الناس على اشباع حاجاتهم، تفاديا لتلقي لاذع الهجاء. وربما كان ذلك غرورا، او كبرياء؛ كونه الشاعر الكبير، المتحدث باسم تميم يكون قد منع "جريرا" ان يتصرف بمثل ذلك الانحطاط كما فعل غيره من معاصريه.

وفيما عدا الجشع والبخل؛ مثالب خلفها موقفه المادي الصعب كما يبدو، فقد كان "جرير" يظهر تناقضا في جوانب معينة من صفاته. فقد ظهر طيبا، لطيفا وعاطفيا؛ الى جانب كونه صعب المراس، قاسيا وفضا. فتراه يبكي اذا ما مرت امامه جنازة لان ذلك يحرك لديه مشاعر اليمامة^٣ كما قال. ولكنه عندما راي جنازة "الاخطل" ومن ثم "الفرزدق"، كان يسعده ان يهاجم بعنف ذكراهما. ولكن عدواته لهذين الشعارين، لاتغفر له ابدا وقاحته. فالموت يفرض الاحترام، ويحرك المشاعر مهما كان اولئك الذين يصرعهم الموت.

وقد ظهرت تلك العواطف المتناقضة لدى "جرير" حتى تجاه عائلته؛ كما تدل على ذلك قصائده. فلم يذرف دمه واحدة عند وفاة والده او والدته. ويتناقض ذلك العقوق وتلك القسوة مع اللين والعطف والتعلق بافراد آخرين من عائلته. فمثلا تراه يبكي احدى نساءه ساعة وفاتها؛ او نشاهد حرقه قلبه الذي فاض عذابا لموت احد اولاده^٤.

١ حول تلك الشخصية ، انظر ابن سلام ، ص ٩٣- ١٠١ ؛ وكذلك الاغاني ن الجزء الثالث ، الفصل الثاني ص ١٥٧- ٢٠٢ .

٢ الاغاني ، الجزء الثالث ، الفصل الثالث ص ٢٠٧ ، ويصف بشار قصيدة الهجاء اداة للابتزاز . ونفس الصدر ص ٢٩٩ ، حيث نرى الناس يرسلون اليه العطايا لتجنب تهجماته .

٣ الجاحظ ، البيان الجزء الثالث ص ١٦٥ ، وابن قتيبة ، ص ٢٨٥ .

٤ انها خالدة زوجته (انظر فيما سبق اعلاه) ، الديوان ص ١٩٩ .

٥ يتعلق الامر هنا بابنه سودة (انظر فيما سبق اعلاه) ، الديوان ص ٤٣٠ .

ومع ذلك، فإن المؤرخ الشهير "أبا عبيد"، قد حاول ان يبرز صفة حسنة لدى "جرير" تميزه عن معاصريه، "الاخلطل" و"الفرزدق" على وجه الخصوص. واستنادا اليه، لم يقدم "جرير" النبيل الخلق على نظم قصيدة هجاء في شخص كان قد مدحه من قبل؛ او على نظم قصيدة مديح في شخص آخر كان قبلا موضوعا لهجائه^١.

ولكن تاتي الحقائق لتتفي على أي حال مثل ذلك القول. وعديدة هي الامثلة التي تدل على ان من كال لهم الشاعر المديح في البداية، عاد واغرقهم بشتائمهم. وراينا كيف كال المديح للحجاج، وتمتع برعايته وغرق بالمنح والعطايا التي وهبة اياها، وكيف هاجمه بعنف وهجاه بعد وفاته، وبالمثل، مدح الازد ورئيسهم (المهلب ابن ابي صفرة)^٢، ثم عاد واغرقهم ورئيسهم وابنه يزيدا، باقذع قصائد الهجاء^٣.

واسباب مثل ذلك التحول كانت سياسة دون شك. فالشاعر الخائف دوما من تبني موقف شجاع يمكن ان يدل على شخصيته، كان يحاول دائما تملق الحكام واطرائهم للحصول على رضاهم حتى ولو كان ذلك على حساب استخدام الدهاء والمكر ودون ان يهتم لحظة ان يبدو لهم متناقض الصفات. وهكذا نراه يهاجم ذكرى "حجاج" ليرضى الخليفة "سليمان ابن عبد الملك"، عدو والى العراق السابق. وكذلك

١ نقائض "جرير" و "الفرزدق" ، ص ١٠٤٩

٢ انظر حوله ، الانسيكلوبيديا الاسلامية ، الجزء الثالث ، ص ٦٨٤-٦٨٥

(مقالة زترستين "Zetter steen" ؛ وكذلك الديوان ص ١٤٢ .

٣ الديوان ، ص ٢١٩ (الابيات الرابع والتاسع) ، وكذلك ص ٣٩٠ (البيت الثالث عشر).

مدح "جرير" الازد ورئيسهم المهلب، قائد جيش الحجاج المبرز وذلك عندما كان الداعية السياسي "للحجاج" ولرجالاته في العراق. ولكن ذلك لم يمنع الشاعر فيما بعد من الانقلاب على المهليين وعلى شخص "يزيد" ابن المهلب عندما ثار ضد الخليفة الاموي "يزيد ابن عبد الملك".^١

ويظهر مزاج شاعرنا المتقلب هذا في موقفه تجاه العناصر غير العربية. ففي مقاطع مختلفة من نتاجه كان يعبر عن احتقاره الشديد للموالي^٢. ولكنه كان آنذاك في حقيقة الامر يتبنى موقفا شائعا في ذلك العصر، واضعا الموالي في مكانة ادنى^٣. افلم يكن طبيعيا ان يتبنى "جرير" ذلك الموقف وهو البدوي، الفخور بأصوله العربية؛ ففي قصيدة مديح موجه الى "هلال ابن احوز"، القائد التميمي، نراه يخصص جزء من القصيدة يتغنى فيها بعظمة الفرس، وتاريخهم المجيد، بل ووصل حتى الى الاعتراف بان العرب والفرس يتمتعون باصول مشتركة^٤.

ان قيام "جرير" بمدح الفرس في قصيدة موجهه الى ذلك القائد الذي طارد كما راينا، المهليين حتى "كرمان"، يدفعنا الى التفكير في وجود اصول فارسية قد لعبت دورها، او بامر المهلي الذي كان في نهاية الامر احد اقران الشاعر. وبذلك اراد الشاعر ان يظهر لهم

١ انظر فيما سبق اعلاه ص ٧٦ .

٢ مولى (الجمع موالي) تعني في العربية تابع او عبد . وحول ما يمثلته الموالي في المجتمع الاسلامي ، انظر بيلر "Pellar" وكذلك الجاحظ ص ٣٤-٤٢ . انظر كذلك الديوان ، ص ٤٩ (البيت الخامس) ، ص ٥٣٠ (البيت الثامن) .

٣ حول تلك النقطة، انظر احمد امين ، فجر الاسلام ، ص ٩٠ .

٤ الديوان ص ٢٤٢ (قصيدة من اربعة عشر بيتا ، بل ابتداء من البيت العاشر) .

صداقته. ومن جهة اخرى، فان زواجه من فارسيه ، يمكن ان يقدم شرحا لمثل ذلك الموقف الودى تجاه الفرس. كما ان الرقة التي يبيديها تجاه زوجته الشابة قد انسحبت على مجموع الموالى كما اعلن ذلك في بعض ابيات وجهها اليها، ومنقلبا بذلك راسا على عقب تجاه الافكار المسبقة المتوارثه التي خلقها الوسط الاجتماعي الذي نشأ فيه^١.

ان مشاعر "جرير" الدينية والاخلاقية، ليست اقل تعقيدا ولا اقل تناقضا. كما وتحدثنا كثيرا عن عفة "جرير" وتقواه فاستنادا الى احد احفاده، كان الشاعر يقوم بانتظام بجميع فروض الصلاة^٢. وآخرون يقولون بانه لا ينقطع عن ترديد لفظ الجلالة طيلة يومه^٣. ويصفه "الجاحظ" بالعفيف، ولم يكن ليطارد اية امرأة. وعلى العكس "الفرزدق" الذي كان يسعى وراء النساء ويبحث كثيرا عن المغامرات العاطفية^٤.

فكيف لنا ان بتقييم تلك الروايات؟ لقد ولد "جرير" ونشأ في وسط بدوي خالص كما اسلفنا واستقى فكره واكتسب عاداته من ذلك الوسط. ومن المعروف ان الشعور الديني ضعيف جدا لدى البدو^٥. ليس ذلك فقط، بل وكذلك فان بدو تلك المنطقة من اليمامة الرحل، وعلى وجه الخصوص قبيلة "جرير" كانوا اخر من القى السلاح الذي رفعوه

١ لايتعلق الامر هنا (بام حكيم) ، انظر اعلاه فيما سبق .

٢ نقائض "جرير" و"الفرزدق" ، ص ٣٢ .

٣ الاغاني ، الجزء الثالث ، الفصل الثامن ، ص ٤٤ . قالدهبي الجزء الرابع ص ٩٥ .

٤ الجاحظ ، " البيان والتبيين " ، الجزء الاول ص ٢٠٨ - ٢٠٩ ؛ وكذلك ابن سلام ، ص ٣٩ .

٥ "نالينو Nallino" الادب العربي من البدايات وحتى " عصر الدولة الاموية " ، ترجمة "Pellar" بيلى ، ص ١١٦ .

ضد الاسلام ايام الردة عقب وفاة الرسول(ص).ولذلك فنحن لا نميل كثيرا لرؤية بدوي اليمامة تقدمه لنا الروايات مسلما، ورعا، مؤمنا.

ولان حياة "جرير" الشعرية مرتبطة بقوة بحياة "الفرزدق" و"الاخطل"؛ فلكي لا نتحدث عن الجانب الاخر ونقول انما كان سلوكه ذاك وراء رغبته في الظهور بمظهر يناقض مظهر غريميه الكبيرين.

والمعروف عن "الفرزدق" انه كان متحررا جدا وسئ الاخلاق، و"الاخطل" كان معروفا كذلك بعواطفه المسيحية. فيكون "جرير" اذن بالمقارنة معهما كما نعتقد مسلما تقيا وذا اخلاق حسنة ومسيطرا على نفسه ورافضا تماما وبكل اباء سلوك احدهما غير السوي من جهة؛ ومهاجما مسيحية الاخر من جهة اخرى. فاذا ما كان يذكر الكثير من الاشارات التي تتحدث بهذا الخصوص في معركته مع "الاخطل" فليس ذلك الا ثمرة التعصب القبلي وليس التعصب الديني^١، كما يذكر ذلك "ناليـنو-wallino". و"جرير" وهو يتعرض لموضوعات دينية انما يؤكد في واقع الامر، على حقيقة ان الرسول (ص) ينتسب مثله في ذلك مثل "جرير"، الى قبائل مضر.فالدافع القبلي واضح وجلي، كما نرى ذلك لدى الشاعر وهو يفتخر بذلك الواقع حتى مع غرمائه المسلمين خاصة اذا كان هؤلاء لا ينتسبون لقبائل مضر قدر انتسابه هو اليها^٢.

لقد كانت تلك المشاعر الدينية شكلية اكثر منها حقيقة^٣.

ونحن نحاول البحث دونما جدوى عن قناعة دينية لدى الشاعر. على

١ "ناليـنو Nallino" ص ١٣٦ .

٢ الديوان ص ٧٩ (الابيات الثاني والرابع) ، وهي قصيدة هجاء ضد "الراعي النميري" ؛ وكذلك في الديوان ص ٣٢٤ (الابيات الاول والثاني) في قصيدة هجاء ضد "عمر ابن لجأ" .

٣ "بشير" ، عصر القران ص ١٦٧ .

العكس، لم يتوقف "جرير" عن التعبير عن عقلية جاهلية حاول الاسلام ان يمحوها. فهو يعلن انه يستمد مجده من دم اجداده الذي يجري في عروقه، او من "غزواتهم" (ايامهم)، بل ويتباهى بانه ياخذ حقه بيديه؛ مناقضا بذلك مبادئ الاسلام ذاتها التي ترفض قوانين الثأر تلك. وهو لا يتردد مطلقا كذلك في ان يستخدم في قصائد هجائه اللاذعة جدا لغة فاحشة تستخدم جميع اشكال السباب لتلطيف سمعة اعدائه، ضاربا عرض الحائط بقوانين الاخلاق والدين على السواء.

كما و تعكس بعض تصرفاته عدم الخضوع التام لمتطلبات عقيدته. وهكذا، واستنادا الى بعض الروايات فلم يحرم نفسه تعاطي الخمر^١. كما يقال انه كان قاسيا وفضا مع والده^٢؛ علما بان العديد من الايات في القران تفرض طاعة الوالدين واحترام صلة الرحم.

وفي النهاية، نريد التذكير بان عفة "جرير" التي جسدها الكتاب القدماء، كانت بخصوص شعر الحب الغزلي الذي يعرض لنا المشاعر الرقيقة، ونقية جدا؛ لكي نضعها في موازنة شعر الحب لدى "الرزديق" الذي ينصب على الجنس. وسوف نقوم فيما يلي، بدراسة النابع ومختلف الجوانب لذلك الجزء من نتاج "جرير". ويكفي هنا ان نقول بان العفة الشافاهية لا تفرض بالضرورة الحشمة الحقيقية في التصرفات الواقعية.

١ الاغاني ، الجزء الثالث ، الفصل الثامن ، ص ٣٠ ، ص ٤٤ .

٢ الاغاني ، الجزء الثالث ، الفصل الثامن ص ٧٤ .

الفصل السابع

وفاته

الفصل السابع

"جرير" في حجر، عاصمة اليمامة - شيخوخته - زيارته
الاخيرة للبصرة - وفاته - ذريته - .

لقد قضى "جرير" معظم حياته في شمال اليمامة حيث تقيم قبيلته. ومع ذلك، فكما كانت عادة البدو، اضطر الشاعر كما يبدو، الى تغيير مكان اقامته في عدة مناسبات في كثير من واحات تلك المنطقة. وهكذا، فبعد ان قضى شبابه الاول في "العطيفية"، سكن "الجلاميد" وهي واحة اخرى في منطقة حزن^١. وكم من الوقت بقى هناك؟ لم نستطيع تحديد. وعلى أي حال، كان مقيما في "لجاظ"^٢. واحة اخرى في حزن، وذلك فيما بين السنوات (٦٥-٦٧هـ/٦٨٥-٦٨٧م)، وقبل بداية معركته مع "الفرزدق". وكان قادما بعد ذلك بعشر سنوات، من "مروط" وحيث اقام لبضع سنوات، توجه بعدها الى البصرة قبل وصول "الحجاج" وكما ذكرنا سابقا. وبعد ذلك التاريخ، اصبح من الصعب مواكبة تحركاته ومعرفة ماذا كان يواصل العيش في مناطق اليمامة الشمالية او في منطقة اخرى منها.

وعلى أي حال، استقر "جرير" في السنوات العشر الاخيرة من حياته في حجر، عاصمة اليمامة. ولعدم وجود المعلومات، لا نعرف تأريخا محددا لتلك الإقامة الاخيرة. ومع ذلك، توجد هناك اشارات في

١ نقائض "جرير" و"الفرزدق"، ص ٣٢. وحول تلك الواحة انظر ياقوت الحموي، الجزء الثاني ص ٩٧

٢ نقائض "جرير" و"الفرزدق" ص ١٣٦. وحول تلك الواحة انظر ياقوت الحموي، الجزء الرابع، ص ٣٦٠ .

نتاجه تسمح بمعرفة اخبار اقامته هناك في ظل حكم "يزيد ابن عبد الملك" (١٠١ هـ / ٧٢١-٧٢٤ م) ^١. وتشير اشارة اخرى في شعرة، الى انه واصل الاقامة هناك في ظل حكم خليفة، "هشام ابن عبد الملك" ^٢. واخيرا، هناك رواية تحدثنا انه كان على عتبة منزله في "حجر"، عندما سمع بوفاة "الفرزدق" ^٣.

وكان جرير قد بلغ السبعين من عمره في ظل حكم "هشام". ولم يتبقى له من العمر الا القليل، واخذ الشاعر يتحسس بالشيخوخة تغزوه، فقدم اشارات كثيرة في شعره تتحدث عن كبر سنه ووهنه وضعفه؛ محاكم يمنعه مع ذلك كما يبدو من الذهاب لزيارة الخليفة الجديد. ولكنه اخيرا، اضطر الى قطع مثل تلك الزيارات المعتادة، والى ارسال ابنه بدلا عنه وهو يضع بين يدي الخليفة قصيدة مديح يضمنها عبارات مؤثرة عن هواجس السن المتقدمة وعن العصا التي لاغنى عنها في شيخوخته، وعن اسفه الشديد لعدم قدرته على الحضور شخصيا الى حضرة سيدة فيقول فيها ^٤:

ابيت الليل ارقب كل نجم

مكابدة لهمي واحتماما

لمر سنين قد لبست شبابي

وأبليت بعد جدتها العظاما

-
- ١ يشير "جرير" الى اقامته في "حجر" في قصيدة مديح موجهة الى "هلال ابن احوز" قائد جيش الخليفة. انظر الديوان ص ٢٤٥ ، (البيت الرابع)
- ٢ نفس المصدر، الديوان ، ص ١٤٧ ، (البيت الحادي عشر)
- ٣ نقائض "جرير" و"الفرزدق" ص ١٠٤٥
- ٤ الديوان ص ٥٠٤. وابنه عكرمة، هو الذي كان مسؤولا ان يحمل تلك القصيدة الى الخليفة. انظر كذلك نفس المصدر، اى الديوان، ص ٥٠٢ ، البيت الخامس.

مشيت على العصا وحنون ظهري

ووعدت المواردك والزماما

وكيف ولا اشد جبال رحل

وكيف ولا اشد جبال رحل

ولم تمنعه سنه المتقدمة على أي حال، من القيام بسفرة اخيرة الى البصرة. وكان ذلك في آخر سنة من عمره المديد. واستنادا الى رواية يوردها "الذهبي" يكون "جرير" قد حضر الى البصرة غداة وفاة "الفرزدق".

وقد وجدته من احبوه، وقد تغير كثيرا؛ وعلى غير عادته لم يقرأ عليهم شعره. وعندما سئل عن سبب ذلك الصمت، اجاب "جرير" بان موت غريمه قد اطفأ لديه شعلة الحماس، الى جانب انه مكتئب جدا لان ذلك نذير بنهايته القريبة. وقد رحل بعد ذلك بفترة قصيرة الى اليمامة حيث توفي في نفس العام^١. كما اورد من ينقل تلك الرواية.

ولا نستطيع ان نتشكك في ان وفاة "الفرزدق" قد تركت فراغا كبيرا في حياة "جرير". فقد كانت حياته الشعرية. مرتبطة جدا بحياة غريمه. كما ان نشاطه ارتبط في جانبه الكبير بحماسة في معركته ضد "الفرزدق". والآن وقد بلغ "جرير" من العمر ارضله من جهة اخرى، فلن يستطيع وقد بلغ الثمانين، البدء من جديد بعد اختفاء غريمه.

فما هو تاريخ وفاته؟

تتفق جميع الروايات على القول بان وفاته قد حدثت في نفس السنة التي توفي فيها "الفرزدق". البعض يقول اربعين يوما، والبعض الاخر ثمانين يوما، لابل ستة اشهر استنادا الى معلومات اخرى متنوعة.

١ الذهبي، الجزء الرابع، ص ١٨١

وبالمثل فان سنة وفاتهما الاكيدة تختلف ما بين (١١٠ هـ / ٧٣٠ م) الى (١١٤ هـ / ٧٣٢ م) ^١. قد عاش بعد السنة (١١٢ هـ / ٧٣٠ م)، آخذين بنظر الاعتبار الاشارة التي ذكرها عن معركة الكاظمة والتي وقعت في تلك السنة. واعتمادا على رواية نقلها "ابو اليقظان"، فان المؤرخ يؤكد على ان "الفرزدق" يمكن ان يكون قد توفي عام (١١٤ هـ / ٧٣٢ م) ^٢. وقد ذكر ذلك التاريخ في مكان آخر كذلك ^٣. وزيادة على ذلك، اكدت ذلك التاريخ قصيدة مديح وجهها الفرزدق الى والي "المدينة"، "خالد ابن عبدالملك"، الذي تسلم منصبه في بدايات عام (١١٤ هـ / ٧٣٢ م). ويمكننا ان نؤكد تماما بان وفاة "جرير" قد حدثت عام (١١٤ هـ / ٧٣٢ م).

فكم يكون يا ترى قد بلغ آنذاك من العمر؟

يجب علينا هنا ان نحدد بانه لا توجد في ديوانه اية اشارة تشير الى ذلك. ومع ذلك يذكر "العسكري" بيتا له غير مذكور في الديوان، وحيث يقول الشاعر انه قد بلغ الثمانين ^٤.

١ استنادا الى رواية يذكرها كتاب الاغانى، الجزء الثاني ص ٤٥ من الفصل التاسع عشر، يكون "جرير" قد توفي عام (١١٠ هـ) أي بعد وفاة "الفرزدق" بستة اشهر. واستنادا كذلك على "ابن حلكان"، الجزء الخامس، ص ١٤٧، يكون قد توفي بعد وفاة "الفرزدق" باربعين او بثمانين يوما وتتغير السنون ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٤ م. انظر "العباسي" الجزء الاول ص ٢٣١، والبغدادى، الجزء الاول ص ٨١، و "شذرات الذهب" الجزء الاول ص ١٤٠.

٢ الاغانى، الجزء الثاني، الفصل التاسع عشر، (قصيدة من ٤٥ بيتا) . ديوان الفرزدق ص ٦٩٢، حيث يفخر الفرزدق بالنصر الذي تم احرازه في تلك المعركة. ٣ يذكر "ابن حلكان" سنة (١١٤) بين غيرها من السنوات. الجزء الخامس، ص ١٤٧. ٤ الطبرى، ص ١٥٦١، وديوان "الفرزدق" ص ٦٣٣.

واستنادا الى "ابن قتيبة" ، يكون "جرير" قد تعدى ذلك السن بقليل وهمو ما يؤكد ذلك "العباسي" الذي يعتمد بدوره على فقرة في كتاب "ابن الجوزي"^١. وعلمنا بالتاريخ التقريبي لولادته والذي ذكرناه سابقا، فلا يمكن اذن "الجرير" ان يتعدى تلك السن . الى جانب ذلك، أو ليس مستحيلا ان نتقبل خبرا عن بلوغه التسعين بل وحتى المائة؟^٢

تتفق جميع المعلومات المتعلقة بوفاة "جرير" على انها حدثت في اليمامة؛ دون امكانية تحديد مكان وفاته بدقة اكثر. ومن المحتمل ان يكون ذلك قد حدث في حجر، وهي المدينة التي قضى فيها "جرير" اواخر سني حياته، كما اسلفنا. ولا يبدو ان هناك من بكاه، أو نرف الدموع لاجله ولا حتى ابناؤه . وليست لدينا ايضا اية مرثية تكون قد نظمت في تلك المناسبة.

لقد خلف الشاعر وراءه ذرية كثيرة العدد، كانت ثمرة زواجه من ثلاث نساء، تعرف اسمائهن. احدهن "خالدة بنت سعيد"، من قبيلة "جرير"^٣. ويبدو انها كانت زوجته الاولى، وغالبا ماوجه اليها قصائد النسيب في شعره. ولما توفيت عبر عن حزن عميق في مرثية شهيرة^٤. وولدت له ابنه البكر "حزرة"، ومن هنا كنيته "بابي حزرة". ولكننا لم نعرف عنه الى القليل.

١ ابن قتيبة، ص ٢٨٣، والعباسي، الجزء الاول ص ٢٣١؛ وكذلك ابن خلكان، الجزء الاول ص ٢٩٠.

٢ استنادا الى البغدادي ، الجزء الاول، ص ١٨١، يكون قد توفي وهو في التسعين. وفي "الشذرات" الجزء الاول، ص ١٤٠ يكون قد توفي

٣ النقائض، ص ٨٤٧، البيت الرابع.

٤ الديوان، ص ٦٠ (البيت الثامن)، ص ٦٥ (البيت الثامن)، ص ٢٥٣ (البيت التاسع)،

ص ٢٧٧ (البيت الثالث)، ص ٣٦٧ (البيت التاسع). اما المرثية فتوجد ص ١٩٩.

ويبدو انه كان شاعرا^١، كما اشار والده الى ذلك ذات مرة.

وزوجنه الثانية، "امامة بنت عمر"، وتنتسب بدورها الى قبيلة "جرير"^٢. وولدت له "عكرمة" و"موسى" وخمس بنات: "موفية"، "جبلة"، "زيدة"، "جعادة" و"زينب". وكان "عكرمة" شاعرا ولكن شيئا لم يصل من شعره الينا^٣.

اما زوجته الثالثة "زرة"، فكانت فارسية، وكانت أمة، قدمها له "الحجاج" هدية واصبحت تحمل كنية ام "حكيم". و"لجرير" منها ثلاث ابناء، "حكيم" الذي لانعرف عنه شيئا، و"بلال" و"نوح"؛ وكلاهما شاعر. ويذكر "ابن قتيبة" بعض ابيات نظمها "بلال" ويقدمه شاعرا ذا موهبة^٤.

١ في بيت لجرير كان قد طلب من ابنه ان يقلد موهبته، الديوان ص ١٣٩. وفي مكان اخر يهدد اعدائه بسهام "جرير"، ولده والذي سيواصل عمله انظر كذلك نفس المصدر، الديوان، ص ٤٢٦، (البيت التاسع).

٢ النقااض، ص ٢٠٣. الديوان ص ٨٣ (البيت الثالث)، ص ٣٧٤ البيت الثاني و ص ٤٧٨ (البيت التاسع).

٣ النقااض ص ٢٠٣، تذكر ان جميع اولاده من زوجته الاولى فيما عدا زينب وان "امامه" هي والدتها. (الديوان ص ٤١٦). انظر كذلك "ابن سلام" ص ٣٢٣. اما "ريدة" والتي يقرأ اسمها كذلك "ريدة" كانت والدة "مشعل ابن كسيب". النقااض، الجزء الاول ص ٣٢، وابن حزم ص ٢١٤. ويذكر ابن قتيبة ان "عكرمة" كان شاعرا، ص ٢٨٤.

٤ ذكرت "زرة" في الديوان ص ٢٢٠، وكانت موضوع من بيتين، انظر كذلك ص ٥٩٩. وحول زواجها من الشاعر، انظر الكامل ص ٣٠٠- ٢٠٠ وحيث يخطئون وهم يقدمون "حزرة" ابنه البكر، واحدا من ابناء ذلك الزواج، انظر كذلك

و"جرير" ولدان آخران كما تعرف. احدهما كان يدعى "سواده"، والذي توفي اثناء سفرة رافق فيها والده الى دمشق، لدى الخليفة"الوليد ابن عبد الملك".^١ والآخرى، ابنة تدعى "ام غيلان" وتملك موهبة شعرية سمحت لها باسناد والها في هجومه ضد "الفرزدق"^٢. ومع ذلك، فنحن لا نعرف أيا من زوجاته هي ام اولاده.

اذن فهناك خمسة شعراء من بين الثلاثة عشر ولدا، ابناء "جرير"، حيث كان والدهم افضل معلم لهم. وكان "نوح" يطارحه السؤال حول هجائه وحول قيمته بالمقارنة مع هجاء اعدائه. كما كانت ابنته تقرأ عليه نتاجها. اذن، سوف يواصل ابناء جرير حمل لواء التقاليد الشعرية التي كانت فخرا لقبيلة الخطفة والذي كان والدهم افضل ممثليها. ويبدو ان ابناء جرير قد تاثروا كثيرا بموهبة والدهم. فلم تكن "ام غيلان" وحدها التي تساعده، باطلاق سهامها نحو اعدائه. فقد تبادل "نوح" كذلك قصائد الهجاء مع الشاعر "بسام" ابن نكت"^٣. كما ان جميع المقاطع الشعرية التي وصلتنا من اشعار اخيهم "بلال" كانت كلها قصائد هجاء^٤.

الجاحظ، "البيان"، الجزء الثاني، ص ٢١٣. وحول "بلال" انظر "ابن عساكر"، الجزء الثالث ص ٢٩٧، وابن قتيبة ص ٢٨٣-٢. وهناك اخبار متفرقة حول "نوح" في الاغاني، الجزء الثالث، الجزء الثامن، ص ٢٨٥، وكذلك الفهرست ص ١٥٩.

١ الاغاني، الجزء الثالث، الفصل الثامن ص ١٠-١١. الديوان ص ٤٣٠، حيث توجد مراثية يبكي فيها "جرير" ولده.

٢ النقااض ص ٨٣٩، ص ٨٤٠-٨٤١. الفهرست ص ١٥٩، يروي ان احد بنات "جرير" كانت شاعرة. ويحرمنا نقص في النص من التعرغ على اسمها.

٣ النقااض، ص ٢٠٥

٤ ابن قتيبة، ص ٢٨٣، والى اخره.

وبعد اولاد "جرير" جاء جيل آخر منهم "الحجئة" ابن نوح" وليست لدينا اية معلومات حوله. ولكنه يبدو انه كان واحدا ممن يقرأون الشعر اشعار جده^١.

وهناك "عقيل ابن بلال"، احد احفاد "جرير"، والذي كان بدواه يقرض الشعر ولكنه قليل النتاج كما يروى صاحب الفهرست^٢.

ونذكر الجيل الثالث "المغيرة ابن حجنة" والذي يعتبره ابن حزم شاعرا موهبا^٣. ولا نعرف عنه سوى انه كان ناقلا لبعض اشعار "جرير"^٤. وممثل آخر لذلك الجيل هو "عمارة ابن عقيل"، والذي لا نعرف عنه الكثير. وكان يسكن البصرة خلال القرن الاول من حكم الدولة العباسية. وعاش في بغداد، ومدح الخليفة "المأمون" (١٩٨-٢١٨ هـ/ ٨١٣-٨٣٣ م)، وتوفي في ظل حكم الخليفة "الواثق" (٢٢٧-٢٣٢ هـ/ ٨٤٢-٨٤٧ م) وفيما عدا الشعر، كان عالما باللغة والادب.

ويعود اليه الفضل كذلك في نقل عدد كبير من قصائد "جرير" واشعار تعود كذلك الى الشاعر^٥.

١ الاغاني، الجزء الثالث، الفصل الثامن، ص ٥٧. وفي مكان اخر من نفس المصدر ص ٣٤، ويذكرونه ابنا "الجرير" وفي حين يعتبره "ابن حزم" احد احفاده، ص ٢١٤.

٢ الفهرست ص ١٥٩.

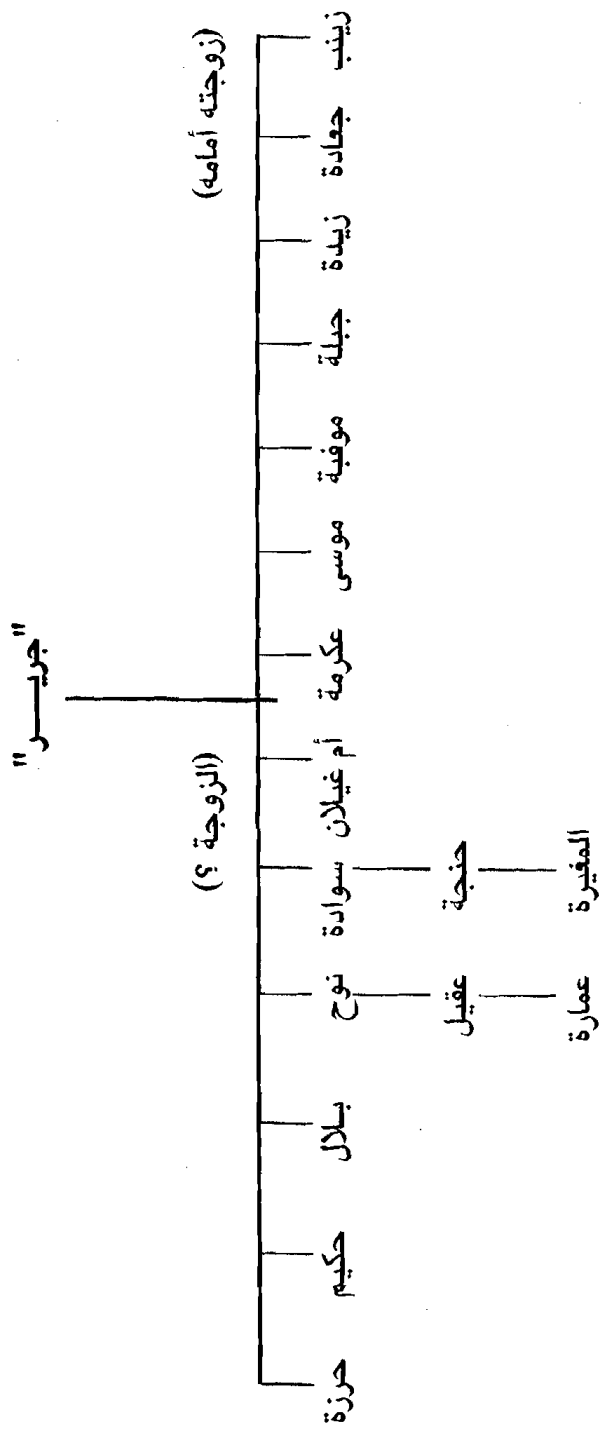
٣ ابن حزم، ص ٢١٤.

٤ من الاغاني الجزء الثالث، الفصل الثامن، ص ١٠ يقدم ناقلا لرواية. وفي مكان اخر من نفس المصدر ص ٥٧ يذكرون اسم "ابو صاح" ابن "الحجئة".

٥ الغاني، الجزء الثالث، الفصل الثامن، الصفحات (١٠)، (٣٤)، (٣٦)، (٤٩)، (٥٢)، (٦٥)، (٦٦). انظر كذلك "نقائض" جرير والفرزدق، ص ٢٧٢، (٤٣٠)، (٤٨٨)، (٤٩٢)، (٥١١).

ويمكننا اذن في هذه الالمامة السريعة، ان نرى احفاد "جرير"
وقد توارثوا كما يبدو، موهبة الجد الشعرية. كما انها اصبحت اسرة
يضرَب بها المثل لمواهبها. كما يتحدث النقاد عنها، بانها في عصر
الاسلام تشبه كثيرا اسرة "زهير ابن ابي سلمى".

لوحة بأسماء أحفاد "جريس"



الجزء الثاني

جديد وتلاجه

الفصل الأول

جریر ونتاجه

الفصل الأول

نتاجه - رواية وتحقيق مخطوطاته

١- الديوان:

ناقلو نتاج " جرير " - تدوينه وتحقيقه - طبعات النتاج

٢- النقائض:

معنى كلمة النقائض- أ - نقائض " جرير " و " الفرزدق " . ب - نقائض " جرير " و " الاخل " . ج - نقائض " جرير " و " عمر ابن لجأ " - ملاحظات عامة حول نصوص النقائض - مشاكل صدق وصحة نتاج " جرير " .

لقد رأينا ونحن نقدم عرضاً عن معركة " جرير " مع اعدائه، كيف تابع الناس وباهتمام شديد بل وبحماس تلك المعركة التي كانت تعني شخصيته وعلى وجه الخصوص، كانت تمس من قريب القبائل المعنية باعدائها.

وقد عملت تلك المعركة على انتشار القصائد المتبادلة بين الاعداء مع الاخذ بنظر الاعتبار طول مدتها من جهة، وذلك الانتماء الذي صاحبها من جهة اخرى. اما فيما يخص اذاعة وانتشار ذلك النتاج، فقد لعبت عدد من العوامل دورها لصالح " جرير " . وبإدري ذي بدء، خلق له اسلوبه السهل والذي اعترف به بعض اعدائه، تلك الشعبية الكبيرة. وازضافة الى ذلك، فهناك العديد من الشعراء بين ذرية " جرير " . ومن الطبيعي اذن، ان تقوم تلك الايدي القديرة والمهتمة كذلك؛ تقوم بالحفاظ على تراث عميدها.

١ - الاغاني، الجزء الثالث، الفصل الثامن، ص ٣١٨ ، وحيث يذكر " الاخل " بهذا الخصوص.

ومهما كان الامر، نذكر من بين رواة شعر " جرير "، مربع ابن
وعوغة، والذي لانعرف عنه شيئاً.

ونذكر كذلك " الحسين " المقيم في البصرة، والذي كان يعلن
بنفسه، بان من دواعي سروره كتابة مختارات منتقاة من شعر " جرير
"، بل واحيانا كان ينسخ له اشعاره كما يبدو^١. وهناك ثالث، ومعروف
لنا اكثر من سابقه، هو " عنيسة ابن معدان الفيل "، احد علماء اللغة
في البصرة وكان معاصراً للشاعر ويقدمه المؤرخون راوية لـ
" جرير " ^٢.

ويمكننا الظن كذلك بان انتقال شعر " جرير " كان شفاهيا
حيث كان ذلك هو التقليد في القرن الاول الهجري. وعلى أي حال، ومع
الاخذ بنظر الاعتبار ان معظم الذين تناقلوا شعره والذين ذكرناهم توا؛
كانوا حضريين من اهل المدن، وان التأشير والترقيم المكتوب للاعمال
الشعرية، قد بدأ يُستخدم بواسطة امثال من ينقلون الشعر، منذ نهاية

١ - يذكر ابن حزم اسمه، ص ٢٦٦؛ وفي نقائض " جرير " و " الفرزدق " ص
٩٧٥ ؛ ذاكرا ان اسم العائلة هو " مربع " واسمه الاصلي " وعوغة " والذي
يذكر " جرير " اسمه في احدي قصائده، في نفس المصدر النقائض ص ٩٧٤
، ويقدمونه راوية لـ " جرير " .

٢ - تم ذكره في نص يتعلق بقصيدة لـ "جرير" موجهة ضد "الراعي النميري" وهو
الذي كان قد طلب منه " جرير " المعلومات الضرورية الازمة لكتابة قصيدته
ضد عدوه. النقائض ص ٤٣٠ ، انظر كذلك الاغاني، الجزء الثالث، الفصل
الثامن ص ٣١ - ٣٢ .

٣ - ياقوت الحموي، " ارشاد الاريب لمعرفة الاديب "، الجزء السادس ص ٩١ -
٩٢ . وحول تلك الشخصية، انظر نفس المصدر، الجزء السادس، ص ٩١ - ٩٢
، وكذلك ابن الانباري، ص ١٥ .

القرن الاول^١. ومن المحتمل، ان تكون المختارات من شعر " جرير "،
قد تمت كتابتها في حياة الشاعر نفسه، وكما تدل على ذلك بعض
المؤشرات^٢.

ومع ذلك، فمن الصعب تقييم ذلك الجزء من نتاجه الذي تم
تدوينه ابان حياته، بالمقارنة مع ما تبقى من قصائده. ونستنتج من
الروايات التي اوردها، بان العناية التي أوليت للنصوص المكتوبة قد
انصبّت على قصائده الهجائية. وفي الواقع، كان ذلك النوع من الشعر
يَشغَلُ فِكْرَ الشاعر بالدرجة الاولى في ذلك العصر. ومع علمنا بان
الهجاء يحتل القسم الاكبر في نتاج الشاعر، يمكننا ان نستنتج ومع
بعض التحفظ، ان تلك النصوص المدونة كانت تضم عددا كبيرا من
قصائده تلك.

وعلى أي حال، فخلال القرن الثاني الهجري (٨٣٠ م)، بذلت
الجهود لتحقيق وتدوين اشعار " جرير ". ويروي صاحب الفهرست ان
كثيرا من العلماء قد قاموا بذلك^٣. ويذكرُ من بينهم " ابو عمرو
الشيباني "^٤ "والاصمعي " و " ابن سكيت "^٥.

١ - حول تحقيق النصوص الشعرية، انظر " بلاشير Blachere " تاريخ الادب
العربي، الجزء الاول، ص ٨٥ - ١٢٦ .

٢ - اضافة الى ما يشير اليه " الحسين " المذكور هنا، حول تدوين بعض
قصائد " جرير "؛ ابو عمرو ابن العلاء " ان " جريرا " قد املى في وجوده
احدى قصائده والتي يذكر بيتها الاول. حول ذلك انظر الاغاني، الجزء الثالث،
الفصل الثامن، ص ٥١. وذلك البيت جزء من قصيدة موجهة الى " عبد الملك
ابن مروان "، انظر الديوان، ص ٤٧٢ .

٣ - الفهرست، ص ١٥٨ .

٤ - " اسحق " " ابن مِرار ابو عمرو الشيباني "، احد علماء الكوفة المعروفين؛
ولد حوالي (١٠٠ هـ/ ٧١٩ م)، وتوفي حوالي عام (٢١٣ هـ/ ٨٢٨ م). انظر كذلك

ويجب ان نشير هنا الى ان اعمال اولئك العلماء قد انقسمت الى نوعين من اعادة ترتيب التدوين. فالبعض وجه جهوده نحو مجمل الناتج ككل؛ والبعض الاخر اكتفوا بتجميع قصائده الهجائية تحت عنوان "النقائض". ويؤكد صاحب الفهرست بأن السُكْرِي^٢ لم يجمع قصائد " جرير "، ومع ذلك يذكره واحداً من مدوني النقائض. ويذكر " الاصمعي " بالمثل الذي انكب على هذين النوعين من تدوين وتحقيق نتاج " جرير ".

١- الديوان:

وعلى أي حال، لم يصل إلينا أي نص يعود إلى هؤلاء العلماء. ويعود الفضل في جمع وتدوين النصوص التي جمعت في الديوان

الانسكلوبيديا الاسلامية، الجزء الرابع، ص ٢٨٠ (مقالة كرونكوف)؛ وكذلك " بلاشير " التاريخ، ص ١١٣ .

١ - " ابو سعيد عبد الملك الاصمعي "، عالم اللغة الشهير بالبصرة، ولد عام (١٢٢ / ٧٣٩ هـ)، وتوفي عام (٢١٥ هـ / ٨٣٠ م)؛ انظر كذلك الانسكلوبيديا الاسلامية، الجزء الاول، ص ٤٩٧ (مقالة هافنر Haffner)؛ و " بلاشير "، تاريخ الادب العربي، الجزء الاول، ص ١١٢ - ١١٣ .

٢ - " ابو يوسف يعقوب ابن السكيت "، من علماء الكوفة ولكنه امام في بغداد. ولد حوالي (٨٠٢ / ٥١٨٧ م)، وتوفي حوالي (٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م). انظر الانسكلوبيديا الاسلامية، الجزء الثاني، ص ٤٤٤ (مقالة بن شنب Bencheneb)؛ وكذلك " بلاشير "، تاريخ الادب العربي، الجزء الاول، ص ١١٩ .

٣ - " ابو سعيد الحسن ابن الحسين السُكْرِي "، الاختصاص في الانساب وعالم اللغة المعروف في البصرة، ولد في (٢١٢ هـ - ٨٢٧ م) وتوفي عام (٢٧٥ هـ - ٨٨٨ م)، انظر الانسكلوبيديا الاسلامية، الجزء الرابع، ص ٥٣٤ (مقالة بروكلمان)، " وبلاشير "، الجزء الاول من تاريخ الادب، ص ١١٣ .

٤ - الفهرست، ص ١٥٨ .

الحالي، الى عالم عراقي آخر هو " ابن حبيب " والذي قام بتدوينها استنادا الى نص " الاعرابي " ^٢، والذي كان بدوره قد نقلها عن " عمارة ابن عقيل " ^٣. ونحن نعرف جيدا كل واحد من هؤلاء العلماء الذين عاصروا " عمارة " احد احفاد " جرير ". كما ان تسلسل الثقة هذا، لا يترك مجالا لاي نقص، الى جانب ان اعمالهم الجدية لا يرقى اليها الشك. وكان " عمارة " النبع لتلك الجمهرة من العلماء، حيث كان يتمتع بمكانة خاصة؛ اذ لم يكن يمثل فقط الجيل الثالث من ذرية " جرير " ولكن ذلك الجيل قد احتفظ بتلك الموهبة الشعرية المتوارثة والتي اشتهرت بها اسرة " جرير ".

فمن السهل اذن تصور تلك العوامل الادبية والعاطفية والتي دفعت " عمارة " الى جمع ديوان جده.

ومع ذلك، نحن نجهل اولئك الذين تناقلوا شعر " جرير "، والذين اعتمد عليهم " عمارة " في جمع قصائد النص العائد اليه. ومن المحتمل ان يكون والده وغيره من اعضاء الاسرة من الروافد

١ - " ابو جعفر محمد ابن حبيب "، من علماء البصرة، وقد عاش كذلك في بغداد وتوفي حوالي (٢٤٥ هـ). انظر الانسيكلوبيديا الاسلامية، الجزء الثاني، ص ٤٠٢ ؛ وكذلك " بلاشير "، تاريخ الادب، الجزء الاول، ص ١١٣ . ويجب ان نشير هنا الى ان ديوان " جرير " ليس من بين اعماله؛ الفهرست (ص ١٠٦)، ولكن يذكرون له مع ذلك " نقائض جرير والفرزدق "، و " نقائض " جرير وعمر ابن لجأ "، وكتابتا ثالثا بعنوان " الايام " التي يذكرها " جرير " في اشعاره.

٢ - " ابو عبد الله محمد ابن الاعرابي "، وهو واحد من علماء الكوفة وتوفي حوالي (٢٣١ هـ - ٨٤٥ م)؛ انظر نقائض " جرير وعمر ابن لجأ " الجزء الاول، ص ١١٦ ، والفهرست، الجزء الثاني، ص ١٧٩ ؛ وبلاشير، تاريخ الادب، الجزء الاول، ص ١٠٠

٣ - احد احفاد " جرير "، انظر ما سبق اعلاه.

الرئيسية. وقد ذُكرَ " مسحل ابن كسيب " حفيد " جرير "، ناقلا
لاشعار جده. وكذلك ذُكرَ اخاه " ايوب " ناقلا لبعض النصوص
المتعلقة بذلك الديوان^٢.

طبغات الديوان

لقد كان اول من اهتم بنشر ديوان " جرير "، المستشرق "
رايت " الذي توفي عام ١٨٩٣. واستنادا الى " فان ديك Vandyck
" عمل " رايت Wright " لعشرين سنة في تحضير تلك الطبعة
معتمدا في ذلك على العديد من المخطوطات. ولكنه توفي قبل انجاز
العمل. كما أوكلت ابحاثه الى مدير معهد اللغات الشرقية ببرلين من
اجل اتمامها^٣. ولكن تلك الطبعة لم تر النور ابدا مع الاسف.

وفي عام (١٣١٣هـ / ١٨٩٦ م) قدم الشواربي طبعة سماها "
ديوان جرير ". وبعد مقدمة قصيرة حول حياة الشاعر؛ قام المؤلف
بترتيب القصائد التي جمعها حسب الترتيب الابجدي، وليس حسب
القوافي، ودون ان يشير اية اشارة الى المخطوطات التي استخدمها
لاعداد طبعته. وفيها تختلط اشعار " جرير " مع اشعار غيره من
الشعراء، كما " البعيث " و " الفرزدق " و " الاخطل " و " الراعي ..
الخ. وجمع المؤلف في نهاية النصوص؛ روايات عن حياة " جرير "

١ - يذكر الفهرست ، ص ١٥٨ ، اسم " مسحل " واحدا ممن تناقلوا شعر "
جرير" ويذكره " ابو عبيدة " الذي عاصره (كما سنرى) مرددا بعض قصائد
جرير او بعض الروايات عن حياته. انظر نقائض " جرير والفرزدق "، الجزء
الاول، ص ٣١-٣٢ ، ص ١٢٦ ، ص ٦٤٧ كذلك راجع ماسبق اعلاه.

٢ - انظر نقائض " جرير " و " الفرزدق " ص ٤٢٨ ، ص ١٠٤٥ .

٣ - " فان ديك Van dyck "، " اكتفاء القاريء بما هو مكتوب "، القاهرة،
١٣١٣ / ١٩٣٥ ، جزء واحد.

وحول الظروف التي نظم فيها هذه القصيدة او تلك، ومضيفا اليها روايات اخرى اختلطت بلا نظام مع مقتطفات ومقاطع تعود الى اولئك الشعراء المذكورين^١.

وقد اخطأت تلك الطبعة الخالية من أي شكل نقدي، كما يتطلبه العمل العلمي؛ اخطأت بتقديمها هذا الخلط للشعراء. وزيادة على ذلك، فقد حرقها ذلك التزوير وذلك الكم من الاخطاء المطبعية. كما انها ليست بذات فائدة، لعدم قدرتها على ان تقدم نفسها كما ديوان لـ " جرير "، ان صح القول.

وقدم الصاوي طبعة ثانية للديوان عام (١٣٥٣ هـ / ١٩٣٥ م) وكان قد اعدھا استنادا الى نسخة مخطوطة " ابن حبيب " المؤرخة في (٥٩٨ هـ / ١٢٠١ م)، والتي كانت موجودة في المدينة. وقدم الناشر للطبعة مقدمة قصيرة متسعة وسطحية عن حياة ونتاج " جرير " ويتحدث فيها عن منهج عمله مشيرا الى انه قد اضاف الى مخطوطة الديوان العديد من القصائد الموجودة في النقائض والتي لا توجد في اصل الديوان^٢.

١ - " محمد عبد المنعم الشواربي " .. ديوان " جرير " . جزآن في جزء واحد. وفي الجزء الاول وحتى ص ١٦٨ من الجزء الثاني يذكر (١٦٧ قصيدة) منها (١٥٨ قصيدة تعود لـ " جرير ") وفي القسم الذي يقع من ص ١٦٨ وحتى نهاية الجزء الثاني يجمع المؤلف روايات عن " جرير " ويذكر القصائد التي كان قد ذكرها من قبل، وكذلك لغيره من الشعراء ابتداءً من " طرفة " و " الكميت " و " ابن الرومي " الخ.

٢ - " محمد اسماعيل ابن عبد الله الصاوي "، شرح ديوان " جرير " في جزء واحد، ويقع في (٦٠٧ صفحات) . وفي اولى صفحات مقدمة الديوان يقدم الناشر معلومات عامة غامضة حول المخطوطة. كما ويقدم تاريخ ومسقط رأس

ورغم ان طبعة الصاوي افضل من سابقتها فهي بعيدة عن كونها طبعة علمية، وذلك لانه لم يستخدم الا مخطوطة الديوان في حين كانت هناك مخطوطات اربع، لم يحاول حتى ذكرها^١.

ومن جهة اخرى، لا يقدم اية توضيحات بخصوص القصائد المضافة الى المخطوطة، ذلك الى جانب ان تعليقاته قد اختلطت بتعليقات " ابن حبيب " لدرجة اننا لم نستطع التمييز في كثير من الاحيان لمن تعود تلك التحقيقات. ولم يتحقق الناشر كذلك من صدق وصحة النصوص كما سنرى.

وفيما عدا بعض الملاحظات العامة والنادرة، فان معظم اسماء الاشخاص، والحقائق التاريخية التي ملأت الديوان كان فيها الكثير من المغالاة بل ودون ترقيم. كما ان فهرست المخطوطة لم يكن مفيدا جدا، بسبب الخلط الكبير الموجود فيه^٢.

" جرير ". ويقدم سلسلة المعتمدين كما يلي: ابن حبيب > ابن العربي > عمارة ابن عقيل. اما نسخة النقائض التي اعتمد عليها، كانت نقائض " جرير والفرزدق " ، وتوجد نسخة تلك المخطوطة في دار الكتب. انظر بهذا الخصوص، الزهيري، النقائض، ٢٩ ، ٣٧ .

١ - والى جانب مخطوطة القاهرة في دار الكتب (الجزء الاول، ص ٥٣ - ٥٥) وكذلك النقائض، الجزء الاول، ص ٨٦ - ٨٧ ، فهناك تجاهل للمخطوطات الاربع الموجودة على التوالي في بطرسبورج، ليدن، بيروت والمتحف البريطاني.

٢ - وهكذا مثلا نرى ان الناشر يجمع وحسب مقاييسه الخاصة، قصائد تحت عناوين كما الفخر، النسيب والوصف، العتاب والشكوى، ولكنه يخلط بين الاسماء في الفهرست، فيضع القصيدة الموجهة لعبد العزيز ابن الوليد، تحت اسم عبد العزيز ابن مروان، واخرى موجهة لمسلمة ابن هشام تحت اسم مسلمة ابن عبد الملك .. الخ.

وهناك طبعة أخرى، تتمتع بجميع تلك الملاحظات والحقائق التي يتطلبها القيام بطبعة علمية صحيحة، وستكون دونما شك مكملةً للقيمة التي يقدمها ذلك العمل الهام مما يساعدنا على معرفة افضل لعناصرها الرئيسية.

وكانت نصوص الديوان مُرتبةً حسب الترتيب الابجدي للقوافي. ويحتل الهجاء ثلثي مساحة الديوان ومن ثم تأتي قصائد المديح متبوعة في النهاية بالمراثي^١. ويحوي الديوان كذلك بعض المقاطع حول مواضيع مختلفة . ويدل ذلك التقسيم على امكانية " جرير " في توجيه نتاجه وبشكل رئيسي نحو هدفين: الهجاء، وذلك في سبيل الدفاع عن قبيلته وهو يهاجم ويرد على الآخرين؛ والمديح من اجل كسب العيش وكذلك من اجل خلق علاقات مع الحكام لاسناد تحزبه القبلي.

٢- النقائض

النقائض (جمع نقيض)، تعبير مُشتق من فعل نقض، والذي كان يحمل في الاصل معنى ملموسا بمعنى: تهديم بناء، حل وازال التواء الحبل، وبعد ذلك تحول الى المعنى المجرد المعنوي بمعنى: فسخ عقد، او دحض كلمة. وذلك المعنى الاخير نَحَضَ هو الذي استخدم في الشعر بالتعبير الفني نقيض، وذلك للتعبير عن قصيدة نُظِمَتْ لمهاجمة قصيدة احد الاعداء^٢.

١ - انظر فيما سبق اعلاه. (نفس المصدر: الديوان ص ٢٣٢).

٢ - انظر لسان العرب، ابن منظور، الجزء التاسع، ص ١١٠ ، حيث قُدِّمَت نقائض " جرير " و " الفرزدق " مثالا على ذلك التعبير الفني.

ويتميز النقيض في الشكل لان الشاعر ينظم القصيدة من نفس القافية ومن نفس بحر القصيدة التي ينقضها. ولا يَكُونُ النقيض اساسا نوعا خاصا على عكس ما تحاول النتاجات الحديثة الاقناع به. وفي الواقع، يتعلق الامر من جهة، بدحض ومعارضة المواضيع التي يتناولها الشاعر العدو، ومن جهة اخرى، بالفخر بالعبقريّة الشعرية الخاصة التي يمتلكها الشاعر؛ واخيرا يتناولون في ذلك الشكل جميع المواضيع التي كان يدور حولها الشعر الهجائي للعصر.

ومن وجهة النظر البنيوية، يبدأ النقيض بـ (النسيب)، أي الاستهلال الغزلي التقليدي؛ ومن ثم يدخل في صلب الموضوع الرئيسي. فهي اذن قصيدة هجاء ولكنها تتميز فقط بضرورة اتباع القوافي والبحور التي فرضها شعراء النقيض على انفسهم من اجل البرهنة على القدرة الفنية المتبادلة.

ولم يكن تعبير النقائض في الاساس وكما نعرف، الا ليعني قصائد الهجاء المتبادلة بين " جرير "، وبعض آخر من اعدائه. ولم تُصنّف اية قصيدة هجاء اخرى في الواقع تحت ذلك العنوان سواء كان ذلك في عصور ما قبل الاسلام، او في عصر " جرير " حتى. وعلى كل حال، استخدم " جرير " وبعض من اعدائه ذلك التعبير المشتق من الفعل نَقَضَ، في قصائدهم الهجائية للإشارة الى هذه القصيدة او تلك، وواضعين بذلك اعداءهم موضع التحدي والرد^١.

ونحن نعتقد تماما ان تلك التسمية قد استخدمها علماء اللغة فيما بعد، والذين اهتموا بتحقيق قصائد "جرير" الهجائية؛ ونذكر

١ - الديوان ، ص ٢٠٧ (البيت الرابع). انظر كذلك نقائض " جرير " و " الفرزدق "، ص ٦٢٩ ، حيث يستخدم " الفرزدق " نفس التعبير، وكذلك يستخدمه بالمثل "عمر ابن لجأ " . انظر كذلك ابن سلام، ص ٣٣٦ .

على وجه الخصوص " أبا عبيدة " وقد اختار العلماء من بين اعداء " جرير " اولئك الشعراء الذين تبادلوا معه اكبر عدد من قصائد الهجاء. وهكذا قدموا لنا مجاميع مُصطنعة اعطوا لها عناوين كما: نقائض "جرير" و "الفرزدق" ، نقائض "جرير" و "الاخطل"، نقائض "جرير" و "عمر ابن لجأ".

تحقيق وتدوين النقائض

يمكننا بسهولة ان نتصور ذلك الحماس الذي يثيره ذلك النوع من الهجاء المتبادل بين " جرير " واعدائه الكبار؛ مع العلم بمختلف العوامل شعرية كانت ام قبلية، والتي كانت في اصل معركتهم. ولنفس تلك الاسباب، انتشر ذلك الحماس لدى انصارهم، طالما ان مثل تلك القصائد هي التي تعبر افضل ما تعبر عن مشاعرهم في جميع الاحوال. ومن المنطقي اذن ان نستنتج ان القصائد الهجائية قد شغلت فكر انصارهم سواء في حياة اصحابها ام في مماتهم؛ وآخذين بنظر الاعتبار ان ذكرى تلك المعركة لم تكن لتتطفيء في العراق الذي كان مسرحا لها. وهكذا يبدو ان النقائض قد تمتعت في بداية الامر باهتمام المحققين الوافر، بسبب مظهرها الفتي وجوهرها العاطفي.

ونتعرف من بين تلك المجموعات المصطنعة على ثلاث

مجموعات مصطنعة وصلتنا منها المجموعتان الاوليان:

أ - نقائض " جرير " و " الفرزدق " .

ب - نقائض " جرير " و " الاخطل " .

ج - نقائض " جرير " و " عمر ابن لجأ " .

أ - نقائض " جرير " و " الفرزدق "

لقد كان " ابو عبيدة "، من قام بالفعل بتجميع نصوص تلك القصائد، والتي ارفقها بتعليقات مطولة نسميها (الاخبار). وان العمل الذي قام به ابو عبيدة، مروراً بابي حبيب، قد وصل إلينا عن طريق السكري؛ ومن ثم أخيراً عن طريق اليازدي^١. وعند مراجعة دراسات هؤلاء العلماء، نرى ان كلا منهم قد اضاف بدوره تعليقاته الخاصة به^٢ وعلى أي حال، فان نص " ابي عبيدة " هو الذي وصل إلينا فقط.

وفي الواقع، يذكر صاحب الفهرست^٣ جامعاً آخر للنقائض، " الاصمعي "، وعبر طريق من النقل مفاير لطريق " ابي عبيدة ". كما يذكر عملاً آخر حول تحقيق وتدوين النقائض، قام به " ابو المغيث العوضي "، نقلاً عن ثعلب^٤.

١ - ولد " ابو عبيدة معمر ابن المثنى " حوالي (١١٠ هـ / ٥٢٧ م)، وتوفي حوالي (٢١١ هـ / ٨٢٥ م) وهو واحد من علماء اللغة الكبار في البصرة. ولا يذكر الفهرست (النقائض) واحدة من اعماله (ص ٥٣ - ٥٤)، ولكن بالمقابل يذكر الفهرست نسخة نقائضه في نفس المصدر أي الفهرست ص ١٥٨ .

وحول ذلك العالم انظر الانسيكلوبيديا الاسلامية، الجزء الاول ص ١١٥ ؛ وكذلك انظر بلاشير، تاريخ الادب العربي، ص ١١٢ من الجزء الاول.

٢ - " محمد ابن العباس اليازدي "، احد علماء البصرة ولد حوالي (٢٢٨ هـ / ٨٤٢ م) وتوفي حوالي (٣١٠ هـ / ٩٢٣ م). حوله انظر الفهرست ص ٥١ ؛ وكذلك البغدادي (تاريخ بغداد، الجزء الثالث، ص ١١٣).

٣ - اذا كان صاحب الفهرست في ص ١٠٦ يذكر كتاب " نقائض جرير والفرزدق " من بين اعمال ابن حبيب، كما يذكر السكري كمن قام بتحقيقها، فانه في المقابل لا يذكر جميع اعمال السكري والتي ذكر من بينها النقائض. الفهرست، ص ١٥٧ .

٤ - الفهرست، ص ١٥٨ .

٥ - يقول " طريح البغدادي " ان " ابا العباس احمد " هو عالم من علماء الكوفة في اللغة والقواعد. ولد عام (٢٠٠ هـ / ٨١٨ م) وتوفي عام (٢٩١ هـ / ٩٠٤ م).

وفيما يخص الذين نقلوا عن " ابي عبيدة "؛ يشير " بيفان Bevan " في مقدمة طبعته الانجليزية للنقائض، الى ان " ابا عبيدة " رغم انه يذكر خمسين اسما من الناقلين لقصائد " جرير " اذا ما تعلق الامر بنقل الحكايات والروايات، فانه يؤكد على اسماء اولئك الذين نقلوا اليه النصوص الشعرية^١.

وفي الواقع، فان المنهج الذي طبقه " ابو عبيدة "، هو المنهج المعروف في ذلك العصر والذي يقضي بجمع النصوص الشعرية مرفقة بجميع الحكايات المتعلقة اما بالظروف التي بررت نظم تلك القصائد واما باللمحات التاريخية والقبلية والتي يشير اليها الشاعر في قصيدته^٢.

وكان " ابو عبيدة " يبحث عن ناقلي النصوص الشعرية الذين يتبعون هذه الطريقة فقط. ومثال على ناقلي القصائد هؤلاء، " مسحل ابن كسيب "، واخوه " ايوب "، وهما احفاد " جرير "؛ (انظر فيما

حوله انظر الانسيكلوبيديا الاسلامية، الجزء الرابع، ص ٧٧٣ (مقالة باريه Parrer)؛ وكذلك بلاشير، تاريخ الادب، الجزء الاول، ص ١١٤ . ويجب ان نشير هنا الى ان نص النقائض غير مذكورة بين اعماله التي يذكرها الفهرست، ص ٧٤ .

١ - " بيفان Bevan "، المقدمة الانكليزية للنقائض بين " جرير " و " الفرزدق " ص ١١ .

٢ - " بلاشير Belachere "، تاريخ الادب، الجزء الاول، ص ١١٥ .

سبق اعلاه)؛ وكذلك " ابو عمر ابن العلاء " و " يونس ابن حبيب " والشاعر " رؤية ابن العجاج " . وكان البعض منهم قريباً من " جرير " ، والآخرون معروفون جيداً في البصرة؛ والجميع كانوا معاصرين لشاعر النقائض. اذن، وجب عليهم ان ينقلوا الى " ابي عبيدة " تلك الروايات التاريخية والحياتية للشاعر، في نفس الوقت الذي ينقلون اليه فيه نصوص القصائد ذات الصلة.

طبقات نقائض " جرير " و " الفرزدق " :

١- بدأ (بيفان Bevan) في عام ١٩٠٥ نشر عمل كبير انهاء عام ١٩١٢ . ويتحدث الناشر في المقدمة الانجيليزية عن منهجه في العمل، مُقدماً معلومات مفصلة عن المخطوطات الثلاث التي اعتمدها من اجل تلك الطبعة، الى جانب المعلومات المفصلة عن ستين مصدراً آخر استخدمها كذلك من اجل اعادة ترتيب النصوص^٤.

١ - " ابو عمر ابن العلاء " ، عالم في قواعد اللغة و " قاريء للقرآن " . ولد حوالي (٧٠ هـ / ٦٨٩ م) وتوفي حوالي (١٥٤ هـ / ٧٧٠ م) . انظر حوله، الانسيكلوبيديا الاسلامية، الجزء الاول، ص ٨٠ (مقالة بروكلمان) ؛ وكذلك انظر بلاشير، تاريخ الادب العربي، الجزء الاول، ص ١٠١ .

٢ - " يونس ابن حبيب " احد علماء قواعد اللغة في البصرة، والذي توفي عام (١٨٣ هـ / ٧٩٩ م)؛ حوله انظر مجلة الادب العربي في برلين، الجزء الاول، ص ٩٧ . وكذلك " بيللا Pellar " ، الجاحظ، ص ١٣١ .

٣ - " رؤية ابن العجاج " من شعراء البصرة، ولد حوالي (٦٥ هـ / ٦٨٥ م) وتوفي حوالي (١٤٥ هـ / ٧٦٢ م) . حوله انظر كذلك الانسيكلوبيديا الاسلامية، الجزء الثالث، ص ١٢٤٦ ، ص ١٢٤٧ ، مقالة (كرنكوف Krenkov) .

٤ - تنتظم الطبعة التي يقدمها " بيفان Bevan) ، ثلاثة اجزاء . وقد كرس الناشر الجزء الاول والثاني للنصوص (والتي تقع في ١٠٩٩ صفحة ويحوي الثالث الاعلام مع معجم للمصطلحات . وقد اعَد بيفان تلك الطبعة معتمداً على

تشهد العناية الفائقة والدقة في تثبيت النصوص والنسخة التي قدمها مع الفهرست، تشهد كلها بالجهد الكبير الذي بذله (بيفان Bevan) وقيمة المنهج العلمي الذي اتبعه بصراحة في انجاز عمله. وتعتبر الطبعة التي قدمها لذلك النتاج الهام من اكبر الخدمات التي يقدمها المستشرقون للادب العربي.

وتبدأ الطبعة بدراسة حول النزاعات التي انطلقت بين " جرير " واول غرمائه " غسان ابن زهيل " ثم تتتابع مقاطع هجائية متبادلة بينها، وكذلك قصائد هجاء متبادلة بين " جرير " و " البعيث " ومن ثم تأتي النقائض بين الغريمين الكبيرين " جرير " و " الفرزدق " .

فإذا ما كان النظام المتبع حتى الآن في ترتيب النصوص يشير الى حد ما الى المرحلة الاولى من ذلك النزاع، فلا يوجد في المقابل ما يبرهن لنا على ان النصوص السابقة او التي ستأتي لاحقاً والمتعلقة بالشاعرين الكبيرين قد تم ذكرها حسب التسلسل التاريخي. وما يثبت عكس ذلك، الخلط الذي نجده هنا وهناك. ونضرب مثلاً على ذلك، بان قصيدتي النقص (٥١ ، ٥٢) والمتبادلتين بين " جرير " و " الفرزدق " في عهد " سليمان ابن عبد الملك "، جاءتا قبل قصيدتي نقض اخريين وضعتا تحت رقم (٩٤ - ٩٥) كان الشاعران قد نظاماها في عهد " بشر ابن مروان "٢

ثلاث مخطوطات (من اكسفورد - لندن - ستراسبورغ). ويذكر " الزهيري " في النقائض ص ٢٩ ، مخطوطة اخرى لم يعتمد عليها بيفان ومبرهنا، زيادة على ذلك، بانها لاتتعلق باي من المخطوطات الثلاث التي اعتمدها " بيفان Bevan "

١ - نقائض " جرير " و " الفرزدق "، ص ٣٤٢ ، ص ٣٩٤ .

٢ - نفس المصدر السابق أي نقائض " جرير " و " الفرزدق " ص ٨٨٠، ص

. ٨٨٨

كما وان كل مايميز ترتيب النقائض هو ان كل قصيدة نقض
يتبعها الرد عليها^١.

فالى جانب التعليقات اللغوية والادبية التي تصحب كل قصيدة،
يحتوي ذلك العمل عددا كبيرا جدا من الروايات والدراسات المطولة
التاريخية والحياتية؛ وعديدة هي كذلك الاستشهادات من شعر الشعراء
الآخرين.

ورغم ان تلك المعلومات تتطلب منا الكثير من التحفظ بسبب
مظهرها الاسطوري الذي يشكك في صحتها، فهي تقدم لنا توثيقا غنياً
لدراسة التاريخ القبلي، السياسي، والاجتماعي، والادبي للعرب سواء
كان ذلك يتعلق بعصر ما قبل الاسلام او بالقرن الاول الهجري.

والتقسيم الذي انتظم نصوص مجموعة النقائض هو كمايلي:

"جرير" ... اثنتان وستون قصيدة منها: ٣٧ ضد " الفرزدق "

١٥ ضد " غسان ابن ذهيل "

٤ ضد " البعيث "

٢ ضد " نعيم ابن شريق "

٢ ضد احدى الاماء

١ ضد " فضالة "

" الفرزدق " ... ثماني وثلاثون قصيدة منها: ٣٧ ضد "

جرير "

١ - ولم يكن ذلك النظام والترتيب متبعاً دائماً. انظر فيما سبق اعلاه. ولاحظنا انهم

احيانا عندما يذكرون قصيدة ما، يؤكدون عدم وجود الرد عليها. نقائض "

جرير " و " الفرزدق " الصفحات: (٢٨)، (٢٩)، (٣٠)، (٣٧).

- ١ ضد " البعيث "
- " البعيث " ... ست قصائد منها: ٣ ضد " جرير "
- ٢ ضد " الفرزدق "
- ١ ضد " ناجية عم " الفرزدق "
- " غسان ابن زهيل " .. خمس قصائد منها: ٤ ضد " جرير "
- ١ ضد " جَنبة "
- " عقبة ابن مليس " .. قصيدة واحدة : ١ ضد " جرير "
- " نعيم ابن شريق " .. قصيدة واحدة : ١ ضد " جرير "
- ٢- وتوجد طبعة اخرى لنصوص نقائض " جرير " و " الفرزدق " يقدمها الصاوي عام (١٣٥٣ هـ / ١٩٣٥ م) . ولا يذكر الصاوي ادنى اشارة الى اية مخطوطة يكون قد اعتمدها . ولكن رغم التغيير في عنوان العمل، فمن السهل جدا اكتشاف قيام الناشر بنسخ طبعة " بيفان Bevan "، غير انه نادرا ما يذكرها^٢ . وهو تصرف يبعث على

١ - طبعة الصاوي غير كاملة. جزءان فقط ويحويان واحدا وستين نصاً وهو ما يحويه الجزء الاول من طبعة بيفان وكذلك اول قصيدة من الجزء الثاني لتلك الطبعة.

٢ - عنوان طبعة بيفان: " كتاب النقائض: نقائض " جرير " و " الفرزدق " . في حين كان عنوان طبعة الصاوي " النقائض بين " جرير " و " الفرزدق " . ويبرهن كل شيء على انه نسخة من طبعة بيفان : الاقواس، علامات الاستفهام، وحتى النقاط التي استخدمها بيفان ليثبت نقصا ما قد نسخها جميعا الصاوي والذي الفى مع ذلك المختصرات التي يشير " بيفان Bevan " بواسطتها الى مصادر عمله. انظر مثلا الصاوي في جزئه الاول، ص ١٨٥ في مقارنة مع " بيفان "، ص ١٩٨ - ١٩٩ حيث التشويه في الملاحظات.

الاسف، بسبب تعارضه مع التوجه العلمي. وزيادة على ذلك، فقد استغنى الصاوي عن معظم طبعة "بيفان Bevan"، والملاحظات التي اوردها ايضا ذلك الناشر بدأب ودقة. وقد قام الصاوي فقط باستنساخ القصائد وما يصحبها من نصوص. واذا ما كان قد ابقى على تصويت القصائد، فهو قد اهمل ذلك في نصوص الروايات بالمقابل. ونضيف الى ذلك العرض السيء لتلك الطبعة، ذلك الشعور بوجود نقص ما في النصوص في اماكن عدة.

ب - نقائص " جرير " و " الاخل " :

يذكر صاحب الفهرست نقائص " جرير " و " الاخل " دون ان يذكر مع ذلك، مَنْ الذي قام بجمعها وتدوينها.

ولكن، وبفضل عنوان العمل، نعرف ان الشاعر " ابا تمام " هو من قام بجمعها وعلق عليها^١. اما بالنسبة لناقلي الشعر، والذين استقى منهم " ابو تمام " نصوص مجموعته فنحن نجهل كل شيء عنهم لان " ابا تمام " لم يذكر ايا منهم. ولكننا مع ذلك نقرأ في التعليقات المرفقة بالنصوص باسماء " ابي عبيدة "، و " الشيباني " و " الاصمعي " و " ابن الاعرابي ". وقد عاصر هؤلاء العلماء جميعا " ابا تمام ". وكان من بينهم من جهة اخرى، مَنْ كان يهتم بتحقيق قصائد " جرير ". فمن المحتمل اذن ان يكون " ابو تمام " قد نقل عنهم. ومهما كان الامر، لم يحدث للنص الذي اعدده " ابو تمام " ما حدث لنسخة " ابي عبيدة "؛ ومع ذلك فلم تكن نسخة ابي تمام بعيدة تماما عن بعض

١ - توفى الشاعر " ابو تمام " حوالي (٢٣٠ هـ / ٨٤٤ م). حوله، انظر الانسيكلوبيديا الاسلامية، الجزء الاول، ص ١١٢٢١١ (مقالة مارجوليوث Margoliouth).

النواقص، حيث اضيفت بعض المعلومات فيما بعد. وهكذا نقرأ في التعليقات اسم "ابي سعيد" مثلاً. ومن المحتمل ان يكون المقصود هو: " ابو سعيد السكري" الذي توفى بعد وفاة " ابي تمام" بما يقارب النصف قرن. وكان " ابو سعيد" بدوره قد اهتم بجمع قصائد الاخطل^١.

وتبدأ مجموعة " الاخطل" بدراسة تاريخية للمعركة التي اندلعت بين قبائل " قيس" و " تغلب"، عقب وفاة الخليفة " يزيد" والتي عُرفت باسم " مرج راهط". وقد تم تسجيل قصائد الهجاء المتبادلة بين " جرير" و " الاخطل". ولم يتم ترتيب نصوص قصائد الهجاء حسب التسلسل الابجدي للبُحُور، ولكننا لا نلمس ايضاً أي تسلسل تاريخي. ومع ذلك، فإن طبعة النقائض قد فرضت ذلك الترتيب للنصوص، ويعني ان الردّ يتبع في الحال قصيدة الغريم. وفيما عدا تلك الرواية المطولة التي جاءت كمقدمة، فإن الروايات التي تتعلق بالاحداث القبلية والشعرية او الحياتية مبتسرة ونادرة. وقد شاهدنا عكس ذلك في ماجاء في نقائض " جرير" و " الفرزدق". اما التعليق فقد كان دقيقاً جداً. وذلك يعود بالطبع الى جامع ومحقق المجموعة، وهو شاعر قد اهتم قبل أي شيء بالنصوص، على خلاف من قاموا بتحقيق وجمع نقائض " جرير" و " الفرزدق"، والذين كانوا اما علماء لغة او رواة، خصصوا مساحة كبيرة للتعبير عن اتجاهاتهم.

١ - يذكر الفهرست اسم " السكري" ص ١٥٨ ، كجامع ومحقق لنتاج " الاخطل" كما ان اسمه يتكرر في مناسبات عدة في النقائض ، الجزء الاول، ص ١، ١٣ ، ٢٩ ، ٦٣ . انظر كذلك " شلحاني"، ص ٨ (المقدمة الفرنسية).

طبغات نقائض " جرير " و " الفرزدق "

قام " الشلهاني " عام (١٩٢٢م) ولاول مرة بتقديم طبعة لتلك المجموعة الشعرية التي اعتمد فيها على مخطوطة " ابي تمام " . وتخضع تلك المجموعة في جانب كبير منها الى قواعد الطبعة العلمية . ويقدم " الشلهاني " في مقدمته الفرنسية ، معلومات مفصلة حول تلك المخطوطة ، وذلك بمقارنة النص في حوزته ، بتلك النصوص المذكورة في ديوان الشاعرين . وفي سبيل ذلك ، راجع الكثير من الاعمال والنتاجات قبل تقديم نصوصه . فجاء عمله غنيا بالملاحظات والشروحات المفيدة جدا لفهم القصائد . توجد اربع وخمسون قصيدة في المجموعة ، تعود اثنتان وعشرون منها لـ " جرير " و " الاخل " ، وواحدة تعود الى " الفرزدق " . وتعود القصائد الباقية الى غيرهم من الشعراء .

" جرير " ١١ قصيدة كلها ضد " الاخل "

" الاخل " ١١ قصيدة عشرة منها ضد " جرير " وواحدة ضد

" نفيع ابن صفار "

" الفرزدق " قصيدة واحدة ضد " جرير "

١ - شلهاني ، نقائض " جرير " و " الاخل " ، في جزء واحد : تحتل النصوص فيها (٢٥ صفحة) وتوجد دراسات تاريخية في النصوص التي اعدّها النلشر الذي يقدم مقدمة فرنسية لطبعته .

نقائض " جرير " و " عمر ابن لجأ "

تعرف " قصائد الهجاء المتبادلة بين هذين الشاعرين " كذلك باسم النقائض. ويذكر صاحب الفهرست، ان تلك النصوص قد اهتم بجمعها وتحقيقها " ابن حبيب "، ولم يصل اليها ذلك النص. ولكن يبدو ان ذلك النتاج يتمتع بنفس الاهمية التي تتمتع بها المجموعة المعروفة لدينا الان. ونقرأ في ديوان " جرير " عشرين قصيدة هجاء ضد شعراء قبيلة " التيم " مما يدل على طول مدة ذلك النزاع، والذي كان بدوره دافعا لان يقدم اعداء " جرير " الكثير من النتاج المماثل. وعلى أي حال لانمتلك من نتاج " عمر ابن لجأ " الا بعض المقاطع والتي لم تكن سوى بقايا اجزاء من ردود على " جرير ".

فهل يمكننا ان نجد دراسات حول نقائض " جرير " واعدائه الباقين؟ اننا لانمتلك شيئا منها. ويمكننا القول بان الرعاية التي اولاهما المحققون للنقائض كانت منصبة فقط حول قصائد " جرير " الهجائية؛ وقصائد اعدائه الثلاثة الكبار الهجائية، وحيث اهتموا بشخصيتهم من جهة، وبكمية قصائدهم الهجائية من جهة اخرى، ومهملين على ما يبدو قصائد الهجاء التي نظمها الاعداء الاقل اهمية.

وتجب الاشارة هنا الى ان مجموعات النقائض التي وصلت اليها لاتشمل جميع قصائد الهجاء المتبادلة بين هؤلاء الشعراء. وهكذا، نقرأ في ديوان " جرير " ست وعشرين قصيدة، وخمسة عشر مقطعا ضد

١ - انظر الفهرست، ص ١٠٦ .

٢ - انظر ابن سلام (ص ٣٦٥-٣٦٦: اربعة ابيات)، (ص ٣٦٦ مقطعان)، (ص ٣٦٦-

ص ٣٦٧ : خمسة ابيات)، (ص ٣٦٩ : بيت واحد). وكذلك النقائض، ص ٢٠٩

(ثلاثة ابيات)، (ص ٣٨٨ بيتان)، (ص ٤٨٩ (ثلاثة مقاطع).

"الفرزدق" ^١، وكذلك احدى عشرة قصيدة ومقطعين ضد الاخل ^٢.
ومن جهة اخرى، فان ديواني غريميه تحويان قصائد ضد " جرير "
وغير مذكورة في النقائض. وفي ديوان " الفرزدق " قصيدتان وواحد
وعشرين مقطعا ^٣ .

وفي ديوان " الاخل " ست قصائد ومقطعين ^٤.

ونحن نلاحظ، من جهة اخرى، ان ترتيب نصوص النقائض لا
يخضع لتسلسل تاريخي كما اسلفنا؛ بل وينقصه احيانا الترتيب
المنطقي الذي تفرضه قصيدتي النقيض. وهكذا، قد حصل بعض
الخلط نتيجة للمرثية التي نظمها " جرير " غداة وفاة زوجته. ففي
تلك القصيدة التي تنتظم (١١٥ بيتاً)، منها واحد وعشرون بيتاً للرثاء
في بداية القصيدة، اما باقي القصيدة فقد كان تصاعدا هجائياً ضد "
الفرزدق" ^٥.

١ - الديوان (قصائد، الصفحات: ٤٥-١٦٩-١٩٧-٢٢٦-٣٠٤-٤٠٢-٣٦٢-٤١٩-٤٢٥-
٤٥٣-٥٨٦)، الصفحات: ٤٨-٨٨-١٠٤-١٣٢-٢٣٦-٣٢٥-٣٥١-٣٥٧-٤١٠-٤٢١-
٤٨٦-٥١٥-٥١٨-٥١٦-٥٦٦).

٢ - نفس المصدر، الديوان: (القصائد: ٥٠-٥١-١٤٥-١٦٥-٤٠٩-٤٩٤-٥١٢-٥٧٧-
٥٩٣)، (المقاطع: ٣٥٨-٥١٩).

٣ - " الفرزدق"، الديوان (القصائد: ص ٢٥٠-٣٧٠-٧٩٥).
المقاطع: ص (٣٣-٣٩-٤٠-٥٩-٧٦-١٠٥-١٣٩-١٦٤-٣٣٤-٣٤٠-٣٦٢-٤٠٦-٤٣٨-
٦٠١-٦١٤-٦٥١-٦٦٤-٦٨٦-٨١١-٨٣٢).

٤ - " الاخل"، الديوان: (القصائد: ص ٦٥-١٥٦-٢٧٢-٢٧٨-٢٨٤-٣٢٠)، (المقاطع: ٢٧٥-٢٩٩).

٥ - نقائض " جرير " و " الفرزدق"، ص ٨٤٧ .

ويظهر من وضع القصيدة الحالي انها قد نظمت مرة واحدة متبوعة في الحال برد " الفرزدق " في ذات الوقت الذي نعتقد فيه ان الجزء الهجائي في قصيدة " جرير " لم يتحقق الا بعد هجوم " الفرزدق " الذي كان يهزأ من دموع " جرير " على امرأته كما اعلن ذلك بنفسه في قصيدته الهجائية. ويأتي تشابه البحر والقافية ليسهل امامنا تعارض جزئي القصيدة. فمن المحتمل جدا اذن، ان الجزء الهجائي قد سبقه المدخل الغزلي (النسيب) والذي كان قد اقتطع من القصيدة بعد ذلك، فلا وجود له مع الرثاء. ويمكننا ان نفترض كذلك بان ذلك النسيب لم يكن ليوجد، طالما اننا نصادف في ديوان " جرير " قصائد هجاء قد اقتطع منها مثل ذلك المدخل.

ويوجد كذلك مقطع شعري كان قد نظمه " جرير " بمناسبة زواج احدى بناته، متبوعا بابيات في هجاء " الفرزدق ". ويفترض ان تكون تلك القصيدة في ترتيبها الحالي ردًا " جرير " على مقطع " الفرزدق " السابق.

وفي الواقع، لا توجد علاقة بين القصيدتين اللتين نظمهما الشاعر نفسه. ومن المحتمل، ان يكون " الفرزدق " قد هاجم " جريرا " عندما نظم ذلك المقطع الشعري في زواج ابنته، وهكذا قام " جرير " بنظم قصيدة هجائه ردًا على عدوه.

وقد نتج ايضا خلط في ترتيب قصيدتي النقص المتبادلتين بين " جرير " و " الفرزدق "، عقب تدخل " الاخل " . وقد تم

١ - نقائص " جرير " و " الفرزدق "، ص ٨٤٣ (مقطع من بيتين). وهناك خطأما، وكأن الامر يتعلق بزواج الفرزدق، في حين ان " عسيده " ابن اخت احدى زوجات " جرير " والذي تزوج من ابنتهم. انظر ابن سلام، ص ٣٢٣ .

ترتيب قصيدة " جرير " رداً على " الفرزدق "١. في حين يعلمنا " الفرزدق " بمبادرة الهجوم التي قام بها " جرير " حيث اعلن في بيته الثاني ان تلك التهجومات لاتعني باي حال قبيلة صديقه، " الاخل "٢.

وتوضح لنا تلك الامثلة الى اية درجة يمكن لقلب ترتيب بعض النصوص، او ظروف نظمها ألا يسمح الا بالخلط بين مَنْ يكون اول مَنْ نَظَم قصيدة النقض. ولكننا نعتقد بان العقلية المناصرة لهذا او ذاك قد تدخلت مرة اخرى لكي تُعطي الافضلية لمن هو مرغوب من الشعراء، او القيام بقلب ترتيب القصيدة بالشكل الذي يدفعنا للظن بانها هجوم؛ او بالاستخفاف بقصيدة الغريم وذلك بربط قصيدتين ذات موضوعين مختلفين في قصيدة واحدة، كما كان الحال مع قصيدة الرثاء الرقيقة التي دبجها " جرير " وربطها في قصيدة واحدة مع قصيدة هجاء اباحية.

ونحن اذ نوكد على ذلك الخلط في الترتيب وتأثير ذلك على الشكل فقط؛ فما الذي سيمكننا قوله عن الخلط والتشويه اللذين يتدخلان في نص قصيدة " جرير " ذاته؛ فذلك ما سنحاول توضيحه. وتجدر هنا الاشارة الى ما يلي: عند تحليلنا لنتاج " جرير "، فاننا لن نفرق بين النقائض والديوان، ونأخذ كلا على حدة. فالنقائض مجموعة شعرية مصطنعة تهدف قبل كل شيء الى توضيح ظروف تلك العداوات بين " جرير " واعدائه. في حين يقدم الديوان على العكس، مجموعة شعرية تم تصنيفها رغبة فقط في تجميع نتاج الشاعر ككل.

١ - نقائض " جرير " و " الفرزدق "، ص ٨٨٨ .

٢ - نقائض " جرير " و " الفرزدق "، ص ٨٨٠، (البيت الثاني).

مشكلة اصالة نتاج " جرير "

في كل مرة يدور فيها الحديث عن الشعر العربي، تُثار مشكلة الاصالة. لقد فرض ذلك الموضوع نفسه في العصور الوسطى على الكتاب العرب؛ الذين عكفوا على جمع نصوص الشعر العربي وسيظل كذلك مفروضا دائما على المعاصرين في الشرق العربي، بنفس القدر الذي نراه مفروضا في الغرب على أولئك الذين يريدون إعادة تشكيله من جديد وفقا للقواعد المنهجية لعصرنا^١. وإذا ما كان جميع أولئك الذين واجهوا مثل ذلك السؤال قد اتفقوا على أن الشعر العربي قد بقي ولفترة طويلة من الوقت مشكوك في صحته، فإنهم لم يتوصلوا إلى إيجاد حل للمشكلة، أو حتى إيجاد الفرصة الملائمة لمواجهة المشكلة. ولا مكان هنا، على ما نظن، لإعادة بحث للمشكلة أو لعرض تطورها وفقا لجميع الآراء المطروحة. وستظل أية محاولة من جانبنا رأياً ذاتياً ودونما نتيجة، ولن يقدم حتى شيئا ذا فائدة لدراستنا الحالية. ولنقل فقط، فيما عدا بعض الحالات النادرة والتي يمكننا أن نغتنمها بفضل بعض المعلومات المحددة، فمن الصعب جدا التحقق من جميع النصوص التي وصلت إلينا عن شاعر تفصلنا عنه ثلاثة عشر من القرون؛ بل وكيف نقوم بذلك ووفقا لاية معايير؟

ونحن إذ نذكر ذلك، فذلك لأننا أردنا فقط أن نبين نتاج " جرير " لم يكن بعيدا تماما عن بعض التحوير.

وقبل أن نورد الأمثلة على ذلك، نود أن نذكر عاملين أساسيين لعبا دورهما في هذه التغيرات. أولا، لقد تم جمع ونقل شعر " جرير "

١ - انظر بلاشير Blachere ، تاريخ الادب العربي، ص ١٦٧ .

في تلك الفترة التي كان من المألوف فيها تناقل الشعر شفاهاً، مع كل ما يحمل ذلك من اضرار كما الحذف، او التداخل بل وكذلك استحالة السيطرة على ذلك النقل. فكم هو اذن مقدار ذلك الكم من مختلف العواطف التي لعبت دورها في ذلك الاتجاه او ذاك في فترة الانتقال تلك التي لايمكن السيطرة عليها؛ وثانياً، هناك عامل آخر، يعود الى تلك السهولة التي يقدمها جزء معين من نتاجه عَرَضاً، ونود ان نعني بذلك تشابه القافية والبحر مع قصائد غيره من الشعراء، والتي تعرف هكذا تحت عنوان " النقائص " .

وحتى في عصرنا الحاضر، فقد تعرض ديوان " جرير " لبعض التحوير. فقد رأينا كيف جمع " الشواربي " تحت اسم " جرير " قصائد لاتعود اليه؛ كما سمح الصاوي لنفسه كذلك وبنسبة اقل ان يضيف الى الديوان ابياتا لم يكن لـ " جرير " ان ينظمها.

قصائد منسوبة الى " جرير "

نلتقي في مقطع شعري في الغزل^١، باسم عزة. ولم يكن هذا الاسم موضوعاً لاي بيت شعري في الديوان. ليس هذا فقط، وانما يذكرنا للوهلة الاولى باسم محبوبة الشاعر " كثير " . ولكن ذلك المقطع في الواقع، جزء من قصيدة للشاعر " كثير " موجهة الى محبوبته، وقد ذكرت تلك القصيدة في الاغاني^٢.

١ - الديوان ، ص ٨٨ .

٢ - الاغاني، الجزء الثالث، الفصل التاسع، ص ٣٠

ومن جهة اخرى، هناك جزء آخر يتكون من سبعة عشر بيتا،
كما نهاية لقصيدة يكون " جرير " قد وجهها الى " خالد القسري " .
وتعود تلك الابيات في واقع الامر الى " الفرزدق " ، ومذكورة في
احدى القصائد التي وجهها " جرير " الى " خالد " الذي القاه في
السجن ويتوسل فيها اليه طالبا الرحمة. و " جرير " لم يكن لديه سبب
ليتوسل الى الوالي فلم يكن سجيناً لديه، ولكن الابيات المذكورة
لانقرؤها في قصيدته كما هو حالها في النقائض^٢. وفي المقابل فتلك
الابيات مذكورة في قصيدة الفرزدق المنشورة في النقائض^٣. ويعود
ذلك الخطأ الى " الصاوي " الذي نسبها الى " جرير " ، معتمداً على
طبعة " الشواربي " ، الناقصة بدورها والمليئة بالشوائب^٤.

ونحن نجد كذلك مرثية من اربعة عشر بيتا منسوبة الى " جرير " ، يقال انه قد نظمها بمناسبة وفاة " الفرزدق " . ومع ذلك،
توجد شواهد عديدة تدلل على ان جريرا ليس هو بقائلها؛ اولا، تلك
الابيات المذكورة في " النقائض " ، مسبوقة بملحوظة تقول ان تلك
الابيات قد نقلها شخص آخر غير " ابي عبيدة " . وفي مكان آخر، فان
بعضاً من ابيات تلك المرثية مذكورة في قصيدة بكى فيها " ابو ليلى

١ - الديوان ، ص ١٧٤ ، الابيات المذكورة تبدأ من البيت السابع، ص ١٧٩ وحتى
نهاية القصيدة.

٢ - نقائض " جرير " و " الفرزدق " ، ص ٩٨٥ .

٣ - نفس المصدر، ص ٩٨١ .

٤ - الديوان، ص ١٧٩ ، والنقائض ص ٤ .

٥ - الديوان، ص ٤١٧ .

٦ - نقائض " جرير " و " الفرزدق " ، ص ١٠٤٦ .

المُجاشعي " وفاة " الفرزدق " احد اقرانه، وحيث يأسف فيها على اختفاء احد ابلغ من تحدث باسم " تميم ". بل واكثر من ذلك، فمن المعلوم ان يبكيه احد اقرانه، ويتحسر على صفاته اكثر مما يفعل " جرير " الذي لم يكن قد تعرف ابدا على تلك الصفات. واخيرا، وحتى ان كان " جرير " قد بكاه فلم يحدث ذلك الا بعد ان هجاه عند سماعه نبأ وفاته ولكنه عندما عوتب على ذلك التصرف، لم يذكر اسفه على ذلك الا في مقطعين^٢، وكما هو معروف عن اسلوب " جرير " فيما يتعلق بشعر المراثي والذي نراه في مجمله يتكون من مقاطع بعدة ابيات.

ويوجد مقطع هجائي من بيتين ضد الشاعر التغلبي " كعب ابن جبيل " الذي كان موضوعا لهما^٣ ولم يكن لذلك الشاعر اية علاقة يمكنها ان تبرر ذلك الهجاء. وانما يعود ذلك المقطع لـ " الاخطل " الذي كان قد نظمها ضد احد اقرانه. كما ان ذلك المقطع مذكور في رواية تتحدث عن نزاع قام بينهما^٤.

الْخَلْطُ الَّذِي تَدَاخَلَ فِي شِعْرِ " جَرِير "

من الصعوبة بمكان، امكانية التحقق من شعر " جرير " في مجمله؛ او التخلص من ذلك الخلط الذي تداخل في شعره اثناء عمليات الجمع والتحقيق. ولكننا نتمسك هنا بتوضيح نوعين لذلك

١ - الاغاني، الجزء الثاني، الفصل التاسع عشر، ص ٤٦-٤٧ ؛ وكذلك ياقوت

الحموي في ارشاد الارب الى معرفة الاديب، الجزء الثامن، ص ٢٦١ .

٢ - الديوان، ص ٨٨ (مقطع من بيتين)، ص ٥٣٥ (مقطع من ثلاثة ابيات).

٣ - نفس المصدر، ص ٤٨٦ .

٤ - الاغاني، الجزء الثامن، ص ٢٨٠ - ٢٨١ .

الخلط. الاول، كما يبدو، قد حدث عن سوء قصد، والثاني قد حدث بسبب تشابه في البحور والقوافي، مما ادى الى تكرار نفس الابيات في اماكن عدة.

وهكذا نجد مثلاً، في احدى القصائد الهجائية التي نظمها " جرير " ضد " الراعي " شاعر " النميريين "، نجد بيتاً مشكوكاً فيه يبدأ بتلك الكلمات " فتاة بني تميم " ^١. ولا مجال هنا ابداً لأمكانية قيام " جرير " بهجاء قبيلته مهينا لشرف احدى بناتها، كما يدفع ذلك البيت بشكله الحالي للاحساس به. وهناك الف سبب لافتراض ان تلك الجملة كانت لتكون هكذا " فتاة بني النميريين "، وان بدا عداوة قد تدخلت لتغير من المعنى الذي يقصده الشاعر وموجهة اليه نفس سهمه.

وهناك مثل آخر من نفس النوع، فهناك عدو اسمه " الدلهماس " والذي كان موضوعاً لاحدى قصائد الهجاء ^٢. فهناك ابيات ثلاثة قد اضيفت الى ثلاثة ابيات آخر، مكوناً قصيدة هجاء ضد الفرزدق؛ بعد وضع اسم " الفرزدق " بدلاً من اسم " الدلهماس " ^٣ وان تكون تلك القصيدة موجهة، الى احدهما او الآخر، فهناك على أي حال تدخل خارجي كان هدفه خلط الاسماء الذين كان يعنيه " جرير " في المقام الاول.

١ - الديوان، ص ٦٩ (البيت الثالث).

٢ - الديوان، نفس المصدر، ص ٣٦٥، حيث تم ذكر " الدلهماس " مقترناً باسم احد اعداء " جرير ". وفي الاغاني، الجزء الثالث، الفصل الثامن، ص ٢٤، نجد اربعة ابيات من تلك القصيدة مسبوقة بالرواية المتعلقة بالخلاف بين " جرير " وعدوه.

٣ - الديوان، ص ٣٥١-٣٥٢.

ويظهر النوع الثاني من الخلط في شكل تكرار لابييات قصيدتين مختلفتين مثلاً. وهكذا استعدنا في قصيدة واحدة ستة ابيات تكررت في قصيدة اخرى^١، ولاحظنا نفس التكرار يحدث لبيت واحد يتكرر عدة مرات^٢. بل واكثر من ذلك، تتكرر بعض ابيات القصيدة نفسها في عدة اماكن مختلفة^٣. ونلاحظ ان ذلك التكرار قد ظهر في قصيدة هجائية، وخاصة في تلك الموجهة لنفس الشخص. كما ان تشابه البحر والقافية، وموضوع القصيدة الهجائية قد سهلا امكانية حدوث مثل ذلك التكرار.

ومع ذلك، فان ذلك التحوير الذي نشاهده في ديوان " جرير" لم يحدث الا في جزء من قصائده الهجائية، وفي المقابل، فان قصائد المديح لم يحدث لها أي تشويه سوى في تغيير ترتيب الابيات، وفي بعض التفاصيل. وهكذا فان ما يبقى من نتاج شاعرنا انما يتكون من كم هائل من القصائد الصحيحة والاصيلة في اغلبها، مما يسمح لنا بالقيام بدراسة ادبية صرفة لذلك الديوان.

١ - الديوان ، ص ٥٥٧ (الابيات ١٢ ، ١٣) تكررت ص ٥٦٢ (الابيات العاشر والحادي عشر)؛ ص ٥٥٧ (البيت الاخير) يوجد في ص ٥٦٤ (كما البيت الثاني)، و ص ٥٥٨ يتكرر (البيت الثاني)، ص ٥٦٢ (كما البيت الثاني عشر)، وكذلك ص ٥٥٨ (البيت الثاني) تكرر ص ٥٥٩ (كما البيت الاخير)، وكذلك ص ٥٥٨ ، البيت الحادي عشر تكرر كذلك ص ٥٦٥ (البيت السادس).

٢ - الديوان، ص ٢٣٦ (البيت التاسع يوجد ص ٢٧٠ (كما الخامس)؛ و ص ٤٣٥ (البيت الثالث) تكرر ص ٤٨٢ (كما الاول) و ص ٥٠٨ (الرابع تكرر) ص ٥١٧ (كما السادس)؛ و ص ٤٩٨ (مقطع من بيتين) تكرر الاول (ص ٥٢٩ كما الرابع)، والثاني ص ٥٣٠ (كما السابع).

٣ - نفس المصدر، أي الديوان، ص ٥٦١ (الابيات الثاني والثالث) تكرر ص ٥٦٤ (كما البيتين الاخيرين).

الفصل الثاني

شعر جرير ، الإطار العام - النوع

الفصل الثاني

شعر " جرير "

الاطار العام - النوع

الهجاء - المديح - الرثاء - الاستهلال الغزلي (النسيب)

الموضوعات التي تناولها كل نوع

وبافتراض فقدان جزء من شعر " جرير " ، فان معظم القصائد التي لدينا الآن تسمح لنا مع ذلك، بالتعرف على مميزات نتاجه، ومفاهيمه الشعرية وشخصيته. ومن جهة اخرى، فلا يمكن ان تشغلنا طويلا مشكلة صحة تلك القصائد، لان تلك التي جمعت في حياته وبُعِيد وفاته لم تصل اليها يد التحوير والتشويه كما كان حال نتاج شعراء عصر ما قبل الاسلام. هذا، الى جانب ان بعض الابيات والمقاطع المنسوبة خطأ لـ "جرير"، ليست بتلك الاهمية التي يتمتع بها باقي الديوان. اما التحويران التي تم نسجها في فكر من قام بذلك، والتي تستشعرها هنا وهناك في ابياته ليس لها أي تأثير على الشكل ولا على الاسلوب. ويمكننا القول اذن بان اغلب نتاجه تقريباً يبدو في وحدة متكاملة، توضّح طبيعة تلك المشاعر التي اراد الشاعر ان يعبر عنها بواسطة ذلك النتاج.

وتقدم لنا عملية جرد لديوان " جرير"، ثلاثمائة واربع واربعين قصيدة: اربع عشرة منها ذات مواضيع مختلفة: زواج - وصف رحلة - نبات .. الخ. وما تبقى من قصائد الديوان فقد تَكرَس لثلاثة انواع يمكن تصنيفها حسب اهميتها: الهجاء، ويحتوي مائة واربع عشرة

قصيدة، ومائة وخمسة عشر مقطعاً؛ والمديح ويحتوي تسعا واربعين قصيدة وواحد وثلاثين مقطعاً، ثم الرثاء الذي يحتوي اربع قصائد وسبعة عشر مقطعاً^١

١- الهجاء

ونتيجة ذلك الجرد، نرى ان الهجاء يحتل ثلثي الديوان؛ وهو ما يتجاوب وتلك الجهود التي بذلها " جرير " في معركة خاضها منذ بداية حياته والى النهاية: " لم يرسلني اهلي الى المربد، الا لمهاجمة مَنْ يهاجمهم "، كما صرح هو بذلك^٢. وجوابا على سؤال وجهه اليه " ابو عمر ابن العلاء ، لماذا تهاجم الناس؟ " ويكون " جرير " قد اجاب بقوله: " لانهم يأخذون مبادرة الهجوم عليّ، وهو ما لا استطيع غفرانه لهم "^٣. ويبرر اضطرار وقوة فكرة الدفاع عن القبيلة، غلبة قصائد الهجاء مجمل نتاجه.

ومن جهة اخرى، فان الافضلية التي تتمتع بها قصيدة الهجاء في العصر الاموي، كانت من المحتمل عاملا آخر له تأثيره على " جرير ": ففي جدال دار بين " الفرزدق " و " ذي الرمة " كان تقيييمهم لشاعر الدرجة الاولى يتأتى من انكبابه على نوعين: الهجاء والمديح^٤. وذلك عامل هجائي آخر لم يستطيع " جرير " عدم الاهتمام به.

١ -انظر اللوحة فيما يلي.

٢ - الاغاني، الجزء الثالث، الفصل الثامن، ص ٢٠ .

٣ - انظر ابن قتيبة، ص ٢٨٥ .

٤ - يروي " الاصمعي "، ان " ذي الرمة " قد سأل " الفرزدق "، لماذا لا انتمي الى صفوفكم وتعدوني واحدا منكم، انتم الفحول؟ فاجابه، ذلك لانك قد اهملت الهجاء والمديح واكتفيت بالتغني بالاطلال والخيام. انظر المرزبانى، معجم الشعراء، ص ١٧٣ .

وسنرى كم جاهد " جرير " لكي يستحق وصفا كهذا. ولندرس الآن الأطر والمواضيع التي تميز الهجاء لدى " جرير " .

ويُنظرُ الى قصيدة الهجاء لدى " جرير " وفق النظرة الكلاسيكية والتي تتكون نظريا من جزئين؛ الاستهلال العاطفي (النسيب) والذي يُستخدم تمهيدا للقصيدة، ومن ثم يأتي الموضوع الرئيسي لقصيدة الهجاء^١.

وظل " جرير " مخلصا لتلك الخطة في معظم قصائده فمن بين المائة والاربع عشرة قصيدة، لا توجد سوى احدى عشرة قصيدة قد تم اقتطاع ذلك الاستهلال منها. ويبدو ان (النسيب) وتحت ضغط بعض الظروف قد جاء ليحدد تطور بنية ذلك الاطار^٢

ومهما كان الامر، فقد تمسك " جرير " بتطبيق تلك الخطة المتفق عليها منذ بدايات فترة نتاجه الشعري، وكما سنرى. فمن بين الخمس عشرة قصيدة التي نظمها في شبابه ضد " غسان الذهيل "، نجد قصيدتين^٣ قد طبقتا حرفيا تلك الخطة. وماتبقى من القصائد، فقد ظهرت على شكل مقاطع. وعلى أي حال، يبدو انها قد نُظِمَت عندما كان " جرير " قد تخطى البدايات، بل ويظهر كمن يخضع للقواعد التي رسمها الكبار ممن سبقوه والذين كانوا بالنسبة له مثلا يُحتذى.

١ - انظر " بلاشير Blachere " ، نظرة شاملة للشعر العربي الكلاسيكي، الجزء الخامس. انظر ايضا الانسيكلوبيديا الاسلامية، الجزء الثاني، ص ٨٤٣- ٨٤٤ .
(مقالة كرنكوف Kernkov : القصيدة) .

٢ - المصدر السابق، بلاشير، الجزء السادس.

٣ - الديوان، ص ٢٩٣ ، ص ٣٢٨ .

وتظهر قصيدة " جرير " الهجائية بوجه عام على شكل قطع مستقلة. ونحن نجد بعض مقاطع الهجاء ضد اعدائه الشخصيين في ستة قصائد مديح. وفي واحدة من تلك المقاطع يهاجم " جرير " كل اعدائه مجتمعين، في حين لا يتحدث في الخمسة قصائد الباقية الا عن " الفرزدق " و " الاخطل ".

اما حقيقة كون الستة قصائد الاول من المديح موجهة الى الامويين، انما تدفعنا الى تفهم خليفة " جرير " والذي وهو يستغل اللحظة المناسبة لتوجيه سهامه على وجه الخصوص ضد اولئك الذين يعتبرهم منافسين مهمين جدا امام هؤلاء الحكام. وذلك عندما لاتراه يهاجم في مثل تلك المناسبات احدا من اعداءه من الدرجة الثانية حيث كانت عداواته مع هؤلاء محلية ولا تتمتع باهمية تذكر.

وهناك نوع آخر من الهجاء يتخلل قصائد المديح، وذلك حين يكون موضوع الهجاء الاشخاص الذين يعتبرون اعداء مشتركين للشخصية التي يكال لها المديح ولقبيلة الشاعر؛ الذي يصر على النص الهجائي ويذهب الى حد تخصيص عشرة ابيات او اكثر كما حدث مثلا ضد المهلبيين الذين ثاروا ضد " اليزيد ابن عبد الملك " وفي المقابل، اذا ما كان الامر يتعلق باحد اعداء الخليفة تكون له مشكلة متشابكة معقدة مع قبيلة " جرير "، يكون الشاعر آنذاك حريصا جدا ويكتفي بمهاجمته ببيتين او ثلاثة فقط^٢، كما كان الحال مع " عبد الله ابن الزبير "

١ - الديوان، الصفحات: ٩ ، ٩٩ ، ١٤٢ ، ١٧٤ ، ٢٤٠ ، ٢٧٢ .

٢ - الديوان، ص ٢١٧ ، ٢٥٢ ، ٣٨٥ .

٣ - الديوان (المصدر ذاته) ص ٣٥ (الابيات الاخيرة)، و ص ٩٩ (البيت

الثالث).

اما فيما يخص القصائد المعروفة تحت اسم " النقائض " وهو استثناء عن المبدأ الاصطلاحي الذي فرضه " جرير " ورفاقه على انفسهم فيما يخص الشكل، فلا شيء يميزها في الاطار ولا في المواضيع المتناولة في النوع الهجائي. فهي تتبع وبدقة الخطة الكلاسيكية التي تحدثنا عنها.

وتختلف قصائد " جرير " الهجائية في الطول. فهي تحوي عشرين او خمسين او ثمانين بيتاً واحيانا حتى تتعدى المائة. ولكننا نلاحظ ان طول القصيدة يتعلق باهمية من يتعرض للهجاء. وهكذا، فان اطول القصائد تتوجه ضد " الفرزدق " و " الاخطل " و " عمر ابن لجأ ". اما القصائد التي تقل في طولها عن ثلاثين بيتاً، فتتوجه ضد الاعداء الثانويين. وفي واقع الامر، كان " جرير " يعتبر هؤلاء الشعراء الثلاثة اكبر اعدائه خطورة. ولذلك كان يجب عليه ان يبذل جهوداً زائدة مما يوضح تلك السمة المميزة.

ومن جهة اخرى، قليلة هي قصائد الهجاء التي يطلقها " جرير " مكرسة لشخص واحد فقط. فمن الناحية النظرية، يبدو كمن يقصد شخصية معينة، ولكن واقع الامر يدل على انه يشتبك غالباً مع واحد او اكثر من اعدائه، لدرجة ان الشخصية المهجوة تصبح موضوعاً لقصيدة تختلف طولاً حسب اهمية تلك الشخصية. فهكذا مثلاً، عندما يذكر " جرير " " الاخطل " في قصيدة خاصة موجهة الى " الفرزدق " سيجد " الاخطل " ان الابيات التي تهجوه اكثر من تلك الموجهة " للفرزدق "، والعكس صحيح. ويتكرر الوضع ذاته عندما يتعلق الامر باحدهما او بالآخر في قصيدة موجهة الى ثالث^١. اما فيما يخص الاعداء الثانويين المذكورين صدفة، فيكتفي " جرير " بمجرد ذكر اشارة بسيطة.

١ - الديوان، ص ٦٤ ، ص ١٠٦ ، ص ٣٠٤ .

وإذا ما كان " جرير " يتمسك بالحديث عن العديد من الاعداء في ذات الوقت، فيمكننا ارجاء ذلك الموقف الى حقيقة ان هؤلاء يهاجمونه بالتبادل ويساعد احدهما الآخر، مما يدفع شاعرنا في رده الى مهاجمة ليس رأس الخيط فقط، بل من يتقاسم معه العون.

ومهما كان الامر، نلاحظ ان عدد المقاطع يكاد يتساوى مع عدد القصائد. فاذا ما كانت جميعها تتشابه بالنسبة للموضوع الذي يتناوله الشاعر، فان تلك المقاطع ذات الثماني ابيات تختلف في الاطار. ويتمسك

" جرير " بان يبدأها بالاستهلال التقليدي: الغزل. ويلزم نفسه الى حد كبير بالا يترك للهجاء سوى بيتين او ثلاثة^١.

ومن المحتمل ان تكون تلك المقاطع بقايا قصائد مطولة، فقد جزء من موضوعها الاساسي. فليس من عادة " جرير "، كما يدل عليه ذلك النوع الشعري من نتاجه، ان يتوقف هكذا فجأة بعد الاستهلال العاطفي.

المواضيع التي تناولها في هجائه

سوف نترك مؤقتا النسيب لندرسه فيما بعد على حدة. ونقوم الآن بدراسة المواضيع التي تناولها في هجائه. وهي تنقسم الى ثلاثة مجاميع:

- أ - المواضيع التي تخص قبيلة عدوه.
- ب - المواضيع التي تخص عدوه واسرته.
- ج - المواضيع الغنائية الخاصة بالشاعر وقبيلته.

١ - الديوان، ص ١٩٦، ص ٣٥٨، ص ٣٩٨.

أ - المواضيع التي تخص قبيلة عدوه

يشير " جرير " ذكرى الهزائم التي لحقت بقبيلة العدو في المعارك التي يذكرها، احيانا دونما الحاح، كما انه يُصَوَّر كيف تمت اباداة المحاربين الذين لم يستطيعوا الدفاع عن نساءهم الالتي اخذهن العدو سبايا. وهكذا يقول:^١

هل تشكرون لمن تدارك سيبكم

والمردفات يملن بالاكوار

ولكي يصف الشاعر ذلك المنظر، فانه يستخدم تعابير اصبحت لازمة له (كليشيهات)، مستقاة من الجذور: ردف (يصعد وراء الفارس على الحصان).
سبي (يأسر).

واند يريد " جرير " ان يتمادى في تحقير قبيلة عدوه، يعلمها بعدم قدرتها على احتمال الحرب بل و يذهب الى القول بانهم لايعرفون حتى كيف يركبون الخيل^٢. وهو يؤكد دائما وبنفس الاتجاه على ذلك القصور، بل وحتى ينكر عليهم عدم القدرة على الانتقال مُشيراً الى قلة عدد افراد القبيلة. كما وهناك اطروحة اخرى يتناولها دائما، الا وهي حلف القبائل؛ والذي يرى فيه شاعرا علامة ضعف للقبيلة عندما تتحد مع غيرها. وهو يرمي في وجهها تلك الالهانة ليدلل على عدم

١ - الديوان، ص ٣١٨ ، وانظر كذلك الامثلة الاخرى، ص ٣٧٧ (البيت السابع)،
ص ٤١٥ (البيت الخامس)، ص ٤٥٢ (البيت السادس)، ص ٤٦ (البيت الثاني).

٢ - الديوان، ص ٢١٢ (البيت ١٢٢١)، ص ٤٠٠ (البيت الثالث)، ص ٦٠٠ (البيت السابع).

قدرتها على الدفاع عن نفسها وحدها، وانها مجبرة على طلب الحماية من غيرها. ويقول^١:

(٧) أَتَشْتَمْنِي وَمَا عَلِمْتَ تَمِيمٌ

لتميم غير حلفهم نصابا

او ايضا^٢:

(٢) أَعْبَدًا حَلَّ فِي شَعْبِي غَرِيبًا

أَلُؤْمَا لَا أَبَالِكَ وَاغْتَرَابَا

(٣) وَيَوْمَا فِي فِزَارَةٍ مُسْتَجِيرَا

ويوما ناشدا حلفاً كلابا

ويستخدم " جرير " لذلك الغرض احيانا مُشتقاتٍ من جذر (نل) والصفة (عبد)، ولكنه نادرا ما يستخدم تعبير (مولى)^٣.

ويؤكد وهو يعلن عدم احترامه للقبيلة التي يهاجمها، يؤكد على ان وفدها لن يجد مستمعا لدى الحكام. فيقول^٤:

(٦) تَفْدُ الْوَفُودُ وَتَغْلِبُ مَنْفِيَةٌ

خلف الزوامل والعوالق ميلُ

١ - الديوان، ص ٢٣ . انظر كذلك ص ٢٤ (البيت الخامس)، ص ٦٢ (البيت الثالث)
وص ٥٧٦ (البيت الاول) وحول الحلف، انظر بلاشير، تاريخ الادب العربي،
الجزء الاول، ص ٩ .

٢ - الديوان ص ٦٢ .

٣ - الديوان، ص ٤٧١ (البيت الثامن) .

٤ - الديوان، ص ٤٧٧ ، وكذلك انظر ص ٥٦ (البيت الرابع) .

ويهاجم " جرير " كذلك وبإصرار النسب للام (الحؤولة)
لتلك القبيلة، وقد رأينا كيف ان ذلك النوع من صلة الرحم، يتمتع
بأهمية خاصة في المجتمع البدوي، ويتناوله المديح كما الهجاء^١.

ويستقي " جرير " شتائمه كذلك من مصدرين يتعلقان بمفاهيم
الحياة البدوية، الجوار والكرم. ويتهم شاعرنا القبيلة المهجوة بانها
لاتدافع عن الجار، ولا تقوم بواجباتها تجاهها بل وحتى انها تخونه.
فيقول ايضاً^٢:

أصابوا الجار ليلة غاب عنهم

فبئس القوم اذ شهدوا وغاباً

وقد تناول في جميع قصائده الهجائية تقريباً، بل ودائماً ابداً
موضوع الذمة، والوفاء، والخيانة، والمنع. وهو يجعل من تلك التعابير
ومشتقاتها كلمات مأثورة. وكان يهاجم القبيلة وبنفس القوة في صفة
كرم الضيافة، فتلك القبيلة لا تحفظ احتراماً لضيوفها، بل حتى انها
تتفادى استقبالهم، بل وانها تطلب حتى من مدعوئها ما صرفت
وبذلت^٣.

(٢) يا طعم يا ابن قريظ ان بيعكم

رفد القرى ناقص للدين والحسب

-
- ١ - الديوان، ص ٤٥٣ (البيت الرابع)، ص ٥١٤ (البيت الثاني عشر).
 - ٢ - الديوان، ص ٦٣ ، انظر كذلك امثلة اخرى، ص ٣٢٩، (الابيات، ١، ٤-٥)، وص ٣٦٣ (البيت السابع)، ص ٥٤٦ (البيت السابع).
 - ٣ - الديوان، ص ٤٩ . انظر ايضاً ص ٢١٢ (البيت السابع)، ص ٣٧٩ (البيت التاسع)، ص ٣٩٩ (البيت التاسع)، ص ٤٥٠ (البيت الاول).

ونحن هنا نجد تكرارا لكلمة الضيافة، أي رَفَدَ القَرى، والضيف والنزيل.

ولا يقوم " جرير " فقط بالتشهير ببخل القبيلة. ولكنه وفي اطار الفكر، يقدم اعضاء تلك القبيلة اناسا همهم الوحيد هو الاكل وانهم لايتنقلون مطلقاً الا من اجل ذلك^١.

ومن جهة اخرى، يستلهم " جرير " مفهوما لقصيدة الهجاء بان يكون لها ذلك التأثير الاكثر تجريحا في انظار من عاش في ذلك العصر. واستنادا الى " يونس ابن حبيب " العالم في قواعد اللغة المعروف، فانه يرى ان قصيدة الهجاء الاكثر تجريحا لدى البدو، هي تلك التي تعترف وتتحدث عن رفعة وافضلية احد فروع قبيلة ما على فرع آخر من نفس القبيلة^٢. وفي الواقع، فاذا ما كان " جرير "، كما نشك في ذلك، لم يتوقف ابدا عن المطالبة بالرفعة والافضلية لقبيلة على القبيلة المهجوة في جميع الميادين، كما انه كان يحاول ايضا احيانا ان يعبر عن احتقاره لتلك القبيلة المهجوة مفضلا عليها فرعاً آخر شقيقاً ليكيل له المديح. أكان يقوم بذلك هادفا التفرقة؟ شيء ممكن جدا. بل ولم يتبق اذن لذلك الفرع ان يعاملوه معتبرين اياه في منزلة اقل^٣. وعلى أي حال، فنادرا ما يتكرر قبل ذلك النوع من الهجاء في ديوانه. فقد كان " جرير " مشغولا في المقام الاول بالتغني بمزايا قبيلته الخاصة.

١ - الديوان، ص ٢٠٣ (البيت السابع)، ص ٢١٢ (البيت التاسع)، ص ٥٣٠ (البيت الرابع)، ص ٥٨١ (البيت الثاني من قصيدة الهجاء ضد الهُجيم).

٢ - العمدة ، الجزء الثاني، ص ١٦٢ .

٣ - الديوان، ص ٧٥ (البيتان الخامس والسادس)، ص ٥٧٣ (البيتان الثاني والثالث).

وقد تناول " جرير " موضوعا آخر للهجاء جاءت اهميته لذلك الاصرار الذي اولاه له بسبب محتواه ذاته. فهو لم يتوقف ابدا وب عقلية بدوية جدا، عن تحقير اعدائه موجهها لهم تهجمات بسبب وجود مهنيين وفلاحين بين صفوفهم. وكان اهل الصحراء يعتبرون تلك المهن من نصيب من هم في مستوى متواضع ادنى. وبهذا الخصوص، نراه يستخدم دونما كلل تعبير " القَيْن " (الحداد)^١ وذلك في قصيدة الهجاء ضد " المُجاشعي "، كما كان يجب ان يذكر جميع الادوات الخاصة بذلك العمل؛ وكذلك القطيف (لوحه من الحديد)، والكير (منفاخ او زق الحداد)، والكلابتان (كماشة). وهو ان يرى ان " الفرزدق " ابن ووريث لاحد الحدادين، يقول له^٢:

وَجِدَ الْكَثِيفَ ذَا خِبْرَةٍ فِي قَبْرِهِ

والكلبتان جُمِعْنَ والمنشارُ

يبكي صداه اذا تَهَزَّم مِرْجَلُ

او ان نثَلَمَ بُرْمَةً أَعْشَارُ

رَجَفَ الْمَقْرُ وصاح في شَرْقِيهِ

قَيْنٌ عَلَيْهِ دَوَاخِنٌ وَشَرَارُ

قَتَلَتْ أَبَاكَ بَنُو فُقَيْمٍ عَنَوَةٌ

إن جرّ ليس على أبيك إزارُ

عقروا رواحله فليس بقتله

قتلٌ وليس بعقرهنَّ عقارُ

١ - حول اهمية ذلك التعبير، انظر الانسيكلوبيديا الاسلامية، الجزء الثاني، ص

٦٨٤ ، ص ٦٨٦ ، (مقالة فيشر Fischer) .

٢ - الديوان، ص ٢٠٢ .

حذرأء أنكرت القيون وريحهم

والحرُ يمنع ضيمة الانكارُ

لما رأت صدأ الحديد بجلده

فاللون اوراقُ والبنانُ قصارُ

قال الفرزدقُ رقي اكيارنا

قالت وكيف تُرقعُ الاكيارُ

رقع متاعك ان جدي خالد

والقينُ جدك لم تلدك نزارُ

ونرى شاعرنا دائماً، وفي نفس الاتجاه، يهزأ من " بني حنيفة

"، جيرانه في اليمامة، والذين كانوا فلاحين لا ينصبُ اهتمامهم الا
على العناية بنخيلهم:

(٤) أنباء نخلٍ وحيطانٍ ومزرعةٍ

سيوفهم خشبٌ فيها مساحيها

قطعُ البَارِ وأبرُ النخلِ عادتْهم

قَدِما فما جاوزت هذا مساعيها

ب - مواضيع خاصة بالعدو وأسرتِه

عندما يُغرق " جرير " القبيلة كلها بالشتائم، فقد كان ذلك

دائماً بسبب احد افرادها، وهو لا ينسى في ذات الوقت ان يخصص

لذلك الفرد حصته الخاصة من تلك الشتائم جامعاً اياه في ذات الوقت باهله الاقربين وعلى وجه الخصوص امه، وابيه وزوجته واخواته.

قبل كل شيء، ينصب الهجوم على اخلاق العدو، ثم يثير حياة الفجور لدى الفرزدق، وعاداته في تناول الشراب والاماكن السيئة التي يرتادها^١.

(٧) أما يدعُ الزنَاءُ ابو فراس

ولا شرب الخبيث من الشراب

ويستخدم شاعرنا بهذا الخصوص مشتقات من الجذور (زنى)، (رجس)، (خزي)، (خبث)؛ اما الاماكن السيئة فيذكرها عبر تعبير الماخور^٢. وكتجميع للافكار، فهو يتناول الموضوعات المقابلة لذلك حول العقاب على ذلك، ومستخدم مشتقات الافعال (حرم) و (حد) و (رجم)^٣.

اما بالنسبة للاختلال، فكان الموضوع يدور دائماً حول مسيحيته، حيث يركز عليها شتائم^٤. وهو لا ينسى مع ذلك ان ينكر عليه ادمانه ملقباً اياه دائماً بالخنزير. وفي قصيدة هجائه ضد "

١ - الديوان، ص ٢٩ .

٢ - الديوان، ص ٢٩ (البيت الثامن)، ص ٤٥ (البيت السادس)، ص ١٢٨ (البيتان الثاني والسادس)، ص ١٩٥ (البيت الاخير).

٣ - الديوان، ص ٢٩ (البيت الاخير)، ص ١٦١ (البيت السادس).

٤ - الديوان، ص ٦٠ (البيتان الاول والثاني)، ص ١١١ (البيت الخامس)، ص ٢٩٣

(البيت الثاني)، ص ٣٠٨ (البيت الثاني)، ص ٤٥٠ (التاسع)، ص ٥٧٦ (٦ ، ١١،

(١٢،

الاخلط "، عديدة هي التعابير التي استخدمها بخصوص دينه؛ مثلاً، الصليب، القربان، النصارى، الرهبان، والفصح. وإذا ما كان " جرير " يمتنع عن ذكر اسم السيد المسيح، فهو في المقابل، يتحدث عن " مار جرجس " والذي كان حامى " تغلب "، كما يقول الاب لامانس، وحيث ترقد مقبرته في مدينة الرصافة^١.

وكذلك تصبح نساء من يهاجمه " جرير "، موضوعاً أساسياً في تطور موضوعة الهجاء لديه. فهو يتحمس للنيل من شرفهن، سواء كن زوجات، اخوات بل وامهات حتى؛ وذلك بترويج الافتراءات ضدهن وبسرد القصص الفاضحة. وبهذا الخصوص، يتكرر باستمرار اسم " جعثن " اخت الفرزدق. وعندما لا يذكر اسماً، فهو يعنيهن باسم " العجوز ". وهولايهاجم سلوكهن فقط، بل وحتى اشكالهن. فيتحدث عن الروائح القذرة^٢ والاسنان المشوهة^٣. ولكى يؤكد على مركزهن المتواضع، فهو يتحدث عن ضالة مهورهن^٤.

وبشكل عام كما نرى، لا يثير " جرير " احداً شخصياً في المقاطع الهجائية التي تتخلل قصيدة المديح، حيث لا توجد اية تهجمات ضد النساء او ضد اخلاقهن، وان هي الا افكار سياسية يتناولها. وتدخل هذه الاتجاهات الهجائية ضمن المدائح الموجهة للحكام الامويين. وينتهاز شاعرنا الفرصة لكي يبرهن على اخلاصه

١ - الاب لامانس، دراسة (٢٣٩-٢٤٠)، الديوان، ص ٢٧٦ (البيت ١١ ، ١٤)، ص ٢٩٢ (الاول)، ٤٤١ (الثالث)، ص ٤٥١ (السادس).

٢ - الديوان، ص ٥٣ (الخير)، ص ٥٦ (الثامن)، ص ٣٤٨ (العاشر)، ص ٤٣٩ (الثاني)، ص ٤٧٦ (الخامس).

٣ - الديوان، ص ٣٠٩ (الخامس)، ص ٤٣٨ (الحادي عشر).

٤ - الديوان، ص ٢٦٦ (البيت الاول)، ص ٣٠٢ (البيت الثاني عشر)، ص ٥٧٧ (البيت الاول).

وولائه، واخلاص قبيلته من خلاله؛ ومن جهة أخرى، لكي يفي بدوره كما الشاعر الداعية؛ كل ذلك وهو يتحمس ضد هذا الشخص أو ذاك، هذه القبيلة أو تلك، والذين أصبحوا مصدر ازعاج للسلطات^١. وهو يصب اتهاماته على وجه الخصوص ضد "عدم الوفاء"، وروح التمرد لدى المعارضين. وتدور مواضيع تلك الاتهامات حول كلمات تتكرر دائماً لديه، ومشتقة من افعال كما: نافق - زل - نكث - فتن - مكر - خدع.

ج - الموضوعات الغنائية الخاصة بالشاعر وقبيلته

إذا ما كان " جرير " يكرس قصيدة الهجاء نظرياً الى شخص محدد، فهو لا ينسى مع ذلك مطلقاً ان يذكر خلالها بعض الابيات الغنائية التي تحوي سمات تتعلق بقبيلته وبشخصه ذاته. وهكذا، فهو يناقض كل بيت هجائي ضد العدو، بتعابير اطراء يتغنى فيها بمآثره الخاصة.

وعندما يستعرض " جرير " الهزائم التي تتعرض لها القبيلة العدو في هذه المعركة أو تلك، يبدأ بالتحمس للانتصارات التي احرزتها قبيلته في مثل تلك الظروف. ولكن عندما يتعلق الامر مثلاً بـ " المجاشيع " يحاول " جرير " ان يقلل من اهميتهم ويهزأ بهم في اذلال، ذاكرًا كيف احتموا لنقص في الجرأة والاقدام، وراء هذا الفرع أو ذاك من قبائل تميم؛ وكيف انهم لم يشتركوا في معركة أخرى، وكيف ان نساءهم التي سباها العدو، واللائى رجعن بفضل شجاعة

١ - الديوان، ص ١٧ (البیتان الاخيران)، ص ٩١ (الابيات ٢، ٣)، ص ١٢٠ (السادس)، ص ٢٥٧ (الاول)، ص ٣٩١ (الاول)، ص ٥١١ (العاشر والثاني عشر).

قبيلته الخاصة. وقد اراد بذلك تصغير تلك المساهمة الشخصية الضئيلة والتي قدمتها قبيلة الفرزدق كما يتطلبه التضامن القبلي^١.

اما عندما يتعلق الامر بالاخطل، لايتحدث " جرير " عن انتصارات ساحقة. والمنتصرون الذين يتغنى بهم هنا هم دائماً قبيلة قيس^٢. وبالنسبة لـ " جرير " يتعلق الامر بعدو يجب ان يسحق وليس ان يحتقر كما هو حال الفرزدق مثلاً الذي يصوره لاجئاً ومختبئاً لدى " يربوع ". ويتحدث شاعرنا في معرض هجائه لـ " جرير " عن الجزية حيث يريد ان يشير بذلك الى خضوع شاعر مسيحي لنظام مفروض على غير المسلمين^٣:

لنا كل عام جزية تتقي بها

عليك وما تلقى من الذل أبرح

وفي عقلية قبلية متطرفة يذكر " جرير " لعدوه التغلبي بان اولئك الذين تقع عليهم مسؤولية جباية تلك الجزية ينسبون الى التجمع القبلي الذي ينتسب اليه " جرير "، وهو انما يفخر بذلك كل الفخر:

الضاربون على النصارى جزية

وهدى لمن تبع الكتاب ونورا

١ - الديوان، ص ٢٩ (لبيت السادس)، ص ٤٧ (الخامس)، ص ١٨٦ (الخامس)،

ص ١٩٨ (السابع)، ص ٢٧٨ (الآخر)، ص ٢٧٩ (الاول والثاني).

٢ - الديوان، ص ٢١ (الابيات ٨، ٩)، ص ٥٩ (السابع والثامن)، ص ١٥٧ (التاسع)، ص ٤١١ (الخامس).

٣ - الديوان، ص ١١١، انظر امثلة اخرى، ص ٤١١ (الحادي عشر) و ٤١٤ (الثاني).

٤ - الديوان، ص ٢٩١ .

وكما نتوقع، نراه وهو يهاجم اعداءه لبخلهم وعدم ضيافتهم،
وعدم قيامهم بواجبات الجار، يحب شاعرنا ان يؤكد على تمسك قبيلته
الصارم بكل تلك التقاليد.

ونلاحظ مع ذلك، التزام " جرير " بالصمت، اراد ذلك ام لم
يرد، تجاه قبيلة " كليب "؛ ولم يجد ابدا الفرصة ليتغنى بها. فقد
كانت مكانتها المتواضعة كما رأينا سببا في حرمانها من ان يهيء لها "
جرير " مكاناً مشرفاً بين امجاده.

واذا كان " جرير " يتمسك دائماً بذكر مآثر قبيلته في جميع
الميادين التي تحدد ماهية المجد القبلي للعصر، فهو لا ينسى مطلقاً ان
يتحدث وبنفس الحماس عن قيمته الشخصية، وهو يقدم نفسه المدافع
عن قبائل تميم ويعمل بوجه خاص على ابراز موهبته الشعرية^١. وعندما
يتحدث عن الاعداء فهو يشير الى مبادرتهم مستخدماً مشتقات افعال
كما: عوى. اما عند ذكر انتصاراته فهو يردد مشتقات من تعابير
اصبحت لازمة له كما: قَرَنَ، جَدَعَ، وَسَمَ، خَزَى.

وكان تنوع تلك المواضيع التي عرضناها، المحور الذي دارت
حوله قصائد " جرير " الهجائية. وقد عالجهما الشاعر وبصفة دائمة
وكانت تسبب بعض الازعاج لقراء شعر " جرير " ولاول وهلة. ومع
ذلك فان " جريرا " قد نجح في تنويع صورته، وفي اعطاء هجائه
اتجاهاً يُبعد مثل ذلك الانطباع الاول كما سنرى ونحن ندرس اسلوبه،

١ - الديوان، ص ١١ (البيت الاول)، ص ٣٢ (السادس)، ص ٥٩ (الثاني) وص ٦٢

(الاول والثامن)، ص ٧١ (التاسع)، ص ٧٢ (الاول)، ص ٧٤ (الخامس)، ص ٨٠

(الرابع)، ص ١٦١ (الرابع)، ص ١٦٤ (الثاني)، ص ٣٠٧ (الخامس).

والذي يشير الى اية درجة استطاع ان يعطي لقصائده الهجائية لون
وصفة هجاء لاذع تماماً.

٢ - المدائح

ويحتل المديح المكانة الثانية في نتاج شاعرنا، ويشمل تسعة
واربعين قصيدة وواحد وثلاثين مقطعاً. وفي ما عدا المقاطع التي
كانت موجهة الى افراد او قبائل؛ فقد كانت القصائد في اغلبها مكتوبة
على شرف الخليفة، الامراء او الوالي، والتي يشارف عددها التسعة
عشر^٢. ورغم الحماس الذي كان يميز علاقات "جرير" بالامويين، فان
القصائد الموجهة اليهم ليست كثيرة العدد، هذا اذا ما اخذنا بنظر
الاعتبار عدد الاشخاص الذين وجّه اليهم المديح وطول فترة حكمهم.
وفي الواقع، امتنع "جرير" عن زيارة حكام دمشق لمدة تقارب العشر
سنوات، وهي الفترة التي كان الزبيريون فيها يمسكون بزمام الامور في
العراق. ومن المحتمل من جهة اخرى، ان تكون بعض تلك المدائح لم
تصل اليينا. فمثلاً، مازالت القصيدة التي كان قد نظمها على شرف "
يزيد ابن معاوية ". ولم يتبق الا قصائد المديح القليلة والتي بالنسبة
لعددها وبالنسبة لما تبقى من نتاجه قد جعلت من الشاعر شاعراً
مداحاً يأتي مباشرة بعد شاعر الهجاء. فـ " جرير " اولاً وقبل كل
شيء شاعر هجاء.

ومهما كان الامر، فقد كانت القصيدة لدى " جرير " تبقى
قصيدة قصيرة بمقارنتها بقصيدة الهجاء؛ فهي لاتتجاوز الثلاثين بيتاً
الا نادراً؛ ولكننا نرى انه عندما يقوم الشاعر بادراج مقطع هجائي
خلالها، فانها تصل الى الخمسين بيتاً او تزيد.

١ - انظر اللوحة فيما يلي، ص ٢٣٢ (في المخطوطة).

٢ - انظر فيما يلي (ص ٣٠١-٥ من المخطوطة).

ويتبع تأليف تلك القصيدة الخطة الكلاسيكية في نظم القصيدة والتي تتكون نظرياً من ثلاثة اجزاء. الاستهلال العاطفي والذي نسميه بالنسيب، ثم الرحيل، واخيراً موضوع القصيدة، أي المديح الموجه الى خليفة ما، او امير ما او وال ما^١. ونادرة هي الحالات التي يقتطع فيها " جرير " احد الجزئين الاولين؛ بل والاندرك ذلك اقتطاعها معاً^٢. واذا ما كان " جرير " يحترم ترتيب تلك الاجزاء التي تحدثنا عنها، فهو يُغير احياناً مكان الرحيل ويستخدمه كخاتمة.

ويعرض النسيب في قصيدة المديح، نفس صفات النسيب في قصيدة الهجاء، وسوف ندرس ذلك على حدة.

والرحيل، هو موضوع يستخدمها الشاعر كعملية انتقال الى الموضوع الرئيسي للقصيدة. فهو يتناول فيه جميع السمات التقليدية المتفق عليها، ويتحدث فيها عن الاماكن التي زارها، ومستذكرا ذكريات المحبوبة والتي كانت تقيم في تلك الاماكن. ثم يقدم وصفاً لفرسه، ولو عثاء السفر متحدثاً كذلك عن الوقت الذي بذله لكي يصل الى الممدوح.

ونميز في قصيدة المديح نوعين من الاطروحات يتناولها الشاعر: اطروحة ذات صفة شخصية ذاتية، واطروحة سياسية.

-
- ١ - انظر بلاشير، نظرة شاملة للشعر الكلاسيكي العربي، ص ٦٠-٦١
 - ٢ - تم اقتطاع النسيب من ثلاث قصائد، انظر الديوان، ص ١٢٥، ٣٣٠، ٤٣٤؛ والرحيل من احدى عشرة قصيدة، نفس المصدر، ص ١٦، ١٨، ٣٩، ٨٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٥، ١٥٨، ١٧٤، ٥٠٦، ٥٣٧، اما اقتطاع الاثنين فقد جاء في قصيدة واحدة. نفس المصدر، ص ١٢٥.

١- الاطروحة ذات الموضوع الشخصي

ويتمسك " جرير " بالتغني بأسرة ممدوحه، ونبله، وتاريخه المجيد، والمآثر التي يتوارثها من جيل لآخر. اما اذا كان الامر يتعلق بخليفة او بأمراموي، فهو يرى ان ذلك المَحْتَدِ النبيل يعود لكونهم يتحدرون من قبائل قيس، والتي انجبت افضل^١ ممثليها. والى جانب المديح الذي يكيّله الى الاسرة، فهو يتوجه مباشرة الى شخص الممدوح موضوع القصيدة. وهو يمدح فيه شجاعته وحكمته وكرمه على وجه الخصوص. ونجد هنا كلمات تتردد، كما لازمة للشاعر، كما (فضل) ، (ندى) ، (سيب) ، و (بحر).

ويقدم الشاعر كذلك افكارا مُسبقة تتعلق باخلاقيات الشخص الممدوح، وهو لا ينسى ان يركز مثلاً على تقواه، وعدله وأنه يرشد الناس الى سبيل الهدى. اما اذا كان الامر يدور حول الخليفة فهو يضيف الى تلك الصفات، صفات اخرى ذات سمات دينية كما (المبارك)، و (المهدي)^٢.

ونادراً ما يخاطب " جرير " الخليفة باسمه وهو يمدحه، فهو يتوجه اليه باحدى القابه: الخليفة، أمير المؤمنين، الامام، خليفة الله، أمين الله، في حين نراه يتوجه الى الامراء والولاة باسمائهم الشخصية. ويتمسك شاعرنا في مدائحه الموجهة لكبار الموظفين بالتغني بالاختيار الموفق للخليفة والثقة الغالية التي اولاهها للولاة الذين يتم

١ - الديوان، ص ٤ (البيت الرابع)، ص ٢٧٥ (السابع)، ص ٣٥٦ (الثاني)، ص ٣٩٠ (الثامن)، ص ٤٣٢ (الحادي عشر).

٢ - الديوان، ص ١٧ (البيت التاسع والثاني عشر)، ص ٣٩ (٦ ، ٩)، ص ١٢٦ (البيت العاشر و الحادي عشر)، ص ١٧٥ (٩ ، ١٠)، ص ٣٩٩ (الخامس والسادس)، ص ٤٤٤ (السادس وما يليه من ابیات).

تعيينهم في وظائف ذات مسؤوليات كبيرة، وكذلك بالوفاء الذي يظهره الوالي لسيده. ونراه يتغنى على وجه الخصوص بالسلطة والتصميم حيث يتمكنون بواسطتهما من احباط أي تمرد، واخيرا يمدح رغبة هؤلاء الولاة في اقرار العدل الحاسم وتطبيق القوانين الدينية بشكل صارم. واذا كان "جرير" يؤكد في مدائحه الموجهة الى ولاة العراق واليامة على السطوة والحزم فذلك لان الوضع في البلاد على ما يبدو مضطرب دائماً، كما وان سكان البلاد يمتازون بعقلية متمردة.

واخيراً، اذا ما كان "جرير" يتوجه الى خليفة او والٍ، فانه يمدح فيه بلاغة الخطابة وهو يعني الخطب التي تلقى في ايام الجمعة، كما ويؤكد "جرير" دائماً على تلك البلاغة بتعبير "زين المنابر"^٢.

ولا ينسى شاعرنا في مدائحه ان يذكر بعض التلميحات الى ذاته هو ، و متمسكاً بالتذكير كما نلاحظ بانه ينحدر من اسرة نبيلة المحتد؛ وحتى لا يخرج غرور من يمدح، فهو يعمل على الارتفاع بنسب الممدوح الى آفاق عليا.

ومهما كان الامر، يتمسك الشاعر على وجه الخصوص امام الامويين بالتأكيد على انتمائه لقضيتهم وانه نصيرهم المتحمس^٣

١ - حول تلك المسؤولية التقليدية، انظر بيللا pellar " الجاحظ، ص ١١٦،
انظر كذلك الانسيكلوبيديا الاسلامية، الجزء الاول، ص ٩٧٩ ، ص ٩٨١ ، كلمة
خطيب، (انظر مقالة فيدرسن Federsen)
٢ - الديوان، ص ٢٠ (البيت الثاني)، ص ٤٠ (الثالث)، ص ١٢٠ (الرابع)، ص ٢٥٦.
٣ - الديوان، ص ١٤٩ ، وامثلة اخرى ص ٣٣١ (الثاني)، ص ٣٥٦ (الثالث)،
ص ٣٨٨ (السادس)، ص ٢٥٦ (الثالث والخامس)

لكم عندي مُشايعةٌ وشكرُ

الى مدح يَراح له النشيدُ

وفي مقابل ذلك، نادرة هي الحالات التي يتحدث فيها " جرير " عن موهبته الشعرية امام من يمدح^١. ولكي يؤكد على تأثير قيمة مدائحه وهدفها، كان يفضل التأكيد على موقفه الذي اتخذه بجانبهم وهو يعلم ان ذلك الموقف هو العملة المفضلة لدى هؤلاء الحكام.

وواحدة من المواضيع الرئيسية التي يطرقها دائماً، ما يتعلق بحاجاته المادية، فهو يطالب بالمنح والهدايا، وهو يقدم شكره وعرفانه بما قد حصل عليه؛ لا بل بما ينتظر منهم. وهو يقوم، لكي يثير شفقة الحكام، بشرح اوضاع اسرته المادية الصعبة^٢.

٢ - المواضيع السياسية

لقد كان ذلك النوع من الموضوعات يتردد دائماً وباستمرار في القصائد الموجهة الى أي حاكم اموي. ويهنيء الشاعر نفسه برؤية الامويين على قمة الملك^٣، وهو يتحدث دائماً عن حقهم الالهي في الخلافة. وبالنسبة لـ " جرير "، فالامويين وحدهم الاحق بذلك الواجب المقدس. وكانت تلك المفاهيم منتشرة جداً في ذلك العصر وتتمسك بها في عصره التحزبات المعارضة كما الشيعة والخوارج والذين كما رأينا يؤيدون تلك الاتجاهات لصالح قضيتهم.

١ - الديوان، ص ١١٩ (لبيت الثالث)، ص ٢٥٦ (السادس).

٢ - الديوان، ص ٤ (البيت الرابع)، ص ٣٦ (الثالث)، ص ١٢١ (السادس والسابع)، ص ١٨٢ (السادس)، ص ٢٢٤ (الاول والثاني)، ص ٢٧٤ (الثامن وما تبعه)، ص ٤٩٣ (الثامن والعاشر)، ص ٥١٠ (الثامن)

٣ - الديوان، ص ٣٦ (البيت الاول)، ص ١٣٦ (الاول)، ص ١٨٣ (الاول)، ص ٢٧٥ (العاشر)، ص ٥٠٧ (الثالث عشر).

وشاعرنا وهو يستلهم تلك المفاهيم، انما يرددها لصالح حكام دمشق ويستخدم للتعبير عن تلك الآراء تعابير ذات سمات دينية كما مثلاً: الله فضله ، الله قدر ان تكون خليفة ، الله طوقك الخلافة ، واخيراً تعابير اخرى كما الخليفة العادل ثبت الله ملكه^١.

وبالمثل، فهو حتى حين يهاجم اعداء الامويين، يصفهم بتعابير ذات صفة دينية دائماً، فيقول كيف ان اعدائهم قد ضلوا الطريق وهم ينكرون القوانين والالتزامات التي يفرضها عليهم دينهم؛ وهو يدعو وفي نفس الاتجاه الى تقديم فروض الطاعة للامويين، ومُحذراً المعارضين بانهم سيلاقون نفس مصير آل ثمود^٢.

ومع ذلك، لا ينسى شاعرنا مهمته القبلية امام الحكام. فغالباً ما ينتهز الفرصة لكي يمحو من ذاكرة الحكام ذكريات بعض المواقف المعادية التي كانت قد اتخذتها قبيلته تجاههم؛ بل واجهد نفسه في التأكيد على اخلاص قبيلته متحدثاً عن روابط الدم التي تربط قبيلته الاسرة الحاكمة^٣.

لقد تناول " جرير " دونما انقطاع في مدائحه تلك المواضيع التي عرضناها حتى الآن؛ وقد حاول ان يحتل مكانة الشاعر المفضل لدى حكام دمشق دون جدوى، وقد بينا ذلك ونحن نتحدث عن علاقاته معهم. لقد كان فقط شاعراً مدفوع الاجر، بل وحتى كانوا

١ - الديوان ص ٣٥ (البيتان الثاني والخامس)، ص ٢٥٥ (السابع)، ص ٣٣١ (السادس) و ص ٤٤٠ (الثامن)، ص ٤٧٤ (الثالث).

٢ - الديوان، ص ٩٠ (البيت السابع والثامن)، ص ١٤٩ (الخامس والسادس)، ص ٢١٩ (الاول والثاني والرابع)، ص ٣٥٦ (الثالث)، ص ٣٩٠ (الخامس والسادس)، ص ٤٤٢ (السادس).

٣ - الديوان، ص ٥ (البيت الثاني والرابع)، ص ٢٢٤ (السابع والتاسع)، ص ٤٣٢ (الرابع عشر)، ص ٥٠٨ (السادس والسابع).

يستقبلونه بلا مبالاة وبشكل لا يمكن ان يكون بطبيعته دافعاً لان يقدم مدائحه وان يضع فيها موهبته. وكان الشاعر في ذلك الجزء من نتاجه شاعراً شكلياً، وليس ذلك الفنان المبدع الذي نراه وهو يتناول المواضيع الاخرى وكما سنبين ذلك ونحن ندرس اسلوبه.

٣ - المراثي

تحتل المراثي المرتبة الثالثة من نتاج " جرير "، وتأتي بعد الهجاء والمديح. وهي نادرة فلا نعد منها سوى اربع قصائد وسبعة عشر مقطوعاً. ولا تتخطى القصائد نفسها الاثنى عشر بيتاً، فيما عدا تلك المراثية التي نظمها بمناسبة وفاة زوجته، والتي تحوي اثنتين وعشرين بيتاً.

ويمكن ان نميز اطاراً معيناً ذا شقين، كان قد طبقه بهذا الشكل او ذاك بخصوص ذلك الموضوع، فيتحدث الشاعر اولاً عن اختفاء المتوفاة، والاضطراب الذي سببه الخبر له. وفي الجزء الثاني يتغنى بقيم وصفات المتوفاة، مستخدماً نفس التعابير التي يستخدمها عندما يقوم بمدح أي فرد حي.

وهناك اربع مراثي قيلت بمناسبة وفاة بعض افراد أسرته^١، وكان يبكي شخصيات رسمية في ثلاث أخر^٢. وما تبقى كان موجهاً لانس لانعرفهم تماماً؛ ونعرف فقط الفرزدق من بينهم.

١ - مراثيتان في ابنه " سودة"، الديوان، ص ٢٦٧، ص ٤٣٠، ومراثية في زوجته " خالدة " (ومختلطة بهجاء ضد الفرزدق)، الديوان، ص ١٩٩، ومراثية اخرى في اخويه " حكيم " و " عامر "، الديوان، ص ٢٢٢.

٢ - الديوان، الصفحات: ٢٢٥، ٢٩٦، ٣٠٤ .

وكان " الوليد ابن عبد الملك "، وابنه الامير " عبد العزيز ابن الوليد "، ثم " عمر ابن عبد العزيز "، الشخصيات الاموية الوحيدة التي شعر " جرير " بالحزن لفقدانها. وفيما عدا هؤلاء، لا نجد اية مرثية تذكر وفاة الشخصيات الاموية الاخرى، والتي كان قد مدحها في حياتها. ويشرح ذلك الموقف، تلك الخلافات التي انبثقت بين مَنْ تتابعوا على كرسي السلطة، وبانه كان يحاول ان يتهياً للوافد الجديد عندما يمتنع عن ذكر حزنه على من توفي ومن لم يعد يأمل في شيء منهم.

ومهما يكن الامر، يجب ان نذكر تردد " جرير " في بكاء امرأته في عصر لم تكن المرأة فيه مع ذلك محور اهتمام رجل كهذا الرجل، وحيث كانوا ينظرون فيه الى المرأة كائناً في مكانة ادنى، خاصة في ذلك الوسط البدوي الذي يتصف بصرامة مفاهيمه. ومع ذلك، فقد ظهر " جرير " صدى لذلك الشعور ذاته حيث يبدأ مرثيته باعتذار عن الحرج الذي يشعر به والذي يمنعه من زيارة قبر زوجته. والفرزدق من جانبه، يأتي ليهزأ من عدوه لانه بكى امرأته^١. ويمكننا ان نشرح تلك العواطف المتناقضة بقولنا ان ذلك الشعور النبيل الذي اظهره " جرير " تجاه رفيقة حياته، ربما يعود الى ذلك الجانب الطيب الذي شهد له الجميع به واطهره انساناً رقيق الحاشية

لولا الحياء لعادني استعمارُ

ولزرتُ قبرك والحبيبُ يزَارُ

ولقد نظرت وما تمتع نظرة

في اللحد حيث تمكن المحفار

١ - نقائض " جرير " و " الفرزدق "، ص ٨٧٤ (البيت الرابع).

فجزاك ربك في عشيرتك نظرة
وسقي صداك مجلجل مدرار
ولهث قلبي اذ علتني كبرة
وذوو التمائم من بنيك صغار
ارعى النجوم وقد مضت غورية
عصب النجوم كأنهن صوار
نعم القرين وكنت علق مضنة
وأرى بنعف بلية الاحجار
كانت مكرمة العشير ولم يكن
يخشى غوائل ام حرزة جار
ولقد اراك كسبت اجمل منظر
ومع الجمال سكيئة ووقار

الاستهلال العاطفي

يمكننا ان نميز نوعين من شعر الغزل ظهر في القرن الاول الهجري: النوع الاول يتغنى به شاعر المدن وعلى وجه الخصوص في الحجاز، ويتحدث عن الحب والمغامرات العاطفية وملذات الحياة. ولا مجال هنا للتحدث بالتفصيل ولعرض مختلف العوامل التي ساهمت في ظهور وازدهار ذلك النوع من الشعر وفي تلك المنطقة. ولنقل باختصار، ان هو الا هدوء الحياة السياسية، وزيادة الثروة ووجود الاسر الارستقراطية التي تعيش حياة الدعة والهدوء من غير ان تهتم

كثيرا بالحياة العامة. كل ذلك ادى الى انتشار حياة الملذات والراحة والترف، هذا الى جانب انتشار حلقات الغناء والطرب. وقد اثرت تلك الحياة على الشعراء الذين عاشوا تلك الحياة والذين عبروا عن مختلف مظاهرها في نتاجهم^١.

والنوع الثاني وهو المعروف لدى شعراء الصحراء باسم النسيب والذي كان " جرير " من افضل ممثليه. فاذا ما كان ذلك النوع قد اتخذ المرأة موضوعاً رئيسياً تعبيراً عن المشاعر والذكريات، فقد كان في المقابل، يعبر عن دور فني وليس تعبيراً عن موقف حقيقي لقائله او للحياة.

وكثيرا ما استخدم " جرير " ذاته ذلك الشكل التقليدي في نسيبه، مع انه ولعدة مرات قد تقدم بآراء تكشف عن عدم اهتمامه ولامبالاته بقصائد الحب التي يدبجها شعراء الحجاز^٢؛ بل واكثر من ذلك، فقد كشف شاعرنا، وهو يتحدث عن شعر الغزل بانه لم يقيم مطلقا بمغازلة امرأة^٣. وهو اذ يتحدث هكذا، فهو يريد ان يدلل على انه لم يحس بأية مشاعر حب، كما يبدو، نحو اية امرأة جميلة، كما وان ابيات نسيبة قد الهمتها اياها شخصية خيالية.

١ - ولمعرفة نظرة شاملة مفصلة عن شعر الغزل في العصر الاموي، انظر دراسة (بلاشير Blachere)، المواضيع الرئيسية في الشعر الغزلي في العصر الاموي. الجزء الخامس، ص ٨٢-١٢٨. انظر كذلك (نالينو Nallino) ص ٨٦-١١٠ ؛ وحسين، الجزء الاول، ص ١٨٠-١٨٨.

٢ - انظر الاغاني، الجزء الثالث، الفصل الاول، ص ٧٦، ص ٨١.

٣ - انظر الاغاني (نفس المصدر)، الجزء الثالث، الفصل الثامن، ص ٤٣ ، وكذلك ابن قتيبة، ص ٢٨٤، العباسي، الجزء الاول، ص ٢٣٠.

ومع ذلك، فديوانه شاهد عليه. وخارج نطاق قصائد المديح او الهجاء، فلا نجد اية قصيدة موجهة بشكل خاص للتعبير عن اية مشاعر حب. اما الشكل التقليدي لشعر النسيب لديه، فهو لا يظهر فقط في الشكل، او لانه يحتل المكان المعروف في هذين النوعين؛ ولكنه يظهر كذلك في المحتوى طالما انه لا يتناول سوى المواضيع التقليدية.

ومهما يكن الامر، نلاحظ ان الاستهلال العاطفي لديه، لا يتناسب وعدد ابيات قصيدته، ولكنه بشكل عام ينتظم ما بين ستة ابيات الى خمسة عشر بيتاً. وهو يتغنى فيه غالباً بامرأة يذكر اسمها. وفي بعض الحالات، يوجهه الى الغواني^١. وعلى عكس ما يذكره ابن سلام والذي يقول بان " جريرا " لم يتغن سوى بنسائه^٢، فقد تردد اسماء ما يقارب عشرين امرأة في النسيب الذي يستهل به قصائده. ونحن بالتأكيد نصادف اسماء بعض من زوجاته، كما " أمامة " و " خالدة " و " ام نوح " ^٣ وبعض من بناته كما " جعادة " و " زينب " و " ام غيلان " ^٤. الا ان هناك اسماء اخرى كما " هند " و " سلمى " و " ليلي " و " سعاد "؛ وغيرهن ايضاً. ولكن تلك الاسماء الاخيرة هي اسماء تقليدية مصطنعة تغنى بها الكثيرون من الشعراء القدامى في شعر النسيب العائد اليهم.

١ - الديوان، ص ١٨ (البيت الثامن)، ص ٢٤ (السابع)، ص ١٧٥ (الثاني)، ص ٢٨٩ (الاول)، ص ٤٢٣ (السابع).

٢ - ابن سلام، ص ٣٩.

٣ - الديوان، ص ٣ (البيت الاول)، ص ٦٠ (الثامن)، ص ٨٣ (الثالث)، ص ١٦٠ (الحامس)، ص ٢٢٠ (الثامن).

٤ - الديوان (نفس المصدر)، ص ١٣ (البيت الثاني)، ص ١٤٧ (السادس والسابع) ص ٣٤١ (الثاني)، ص ٥٠٣ (الثاني عشر)، ص ٥٥٤ (الرابع).

وكما يشير صاحب " العمدة " فان شاعرنا قد تغنى في نفس مقطع النسيب^١ باكثر من امرأة.

ويمكننا ان نقسم المواضيع التي يتناولها في النسيب الى ثلاثة اقسام:

أ - المواضيع المتعلقة بالاماكن التي زارها.

ب - تلك المتعلقة بالمحبة.

ج - واخرى متعلقة بالشاعر نفسه

أ - المواضيع المتعلقة بالاماكن التي زارها

يتحدث " جرير " غالباً وفي معظم قصائده العاطفية تقريباً عن الاماكن التي خيمت فيها سابقاً محبوبته، ويتألم لحالة الفراغ والهجران حيث بقيت بعض الاطلال التي بقيت مع الزمن. ولكي يوضح موضوعه المكان لديه؛ فهو يستخدم دائماً التعابير التالية: (الا حيي) و (حيي) و (حيوا)^٢. ويستخدم احياناً شكل التساؤل عندما يقول مثلاً: (من كان يسكن تلك الاماكن) ، (لماذا ومتى تركناهم) ، الخ. اما الكلمات التي يستخدمها ليعني بها ذلك، هي بشكل عام كما يلي: (منزل) ، (ربيع) و (دار) و (رسوم) و (دمن) و (الاطلال) وكلها تعابير تعني : الاطلال او الاثار^٣.

١ - العمدة، الجزء الثاني، ص ١١٦، الديوان، ص ١٣ (الثاني والثالث) ص ١٠٧ (الاول والثاني)، ص ١٥٦ (السابع والتاسع)، ص ٢٧٧ (الاول والثالث)، ص ٥٥٤ (الثالث والرابع).

٢ - الديوان، ص ٢٥ (البيت السادس)، ص ٥٧ (الخامس)، ص ١٣٣ (الاول) ص ١٣٩ (السادس)، ص ١٤١ (الرابع)، ص ١٥٨ (الاول) .

٣ - الديوان (نفس المصدر)، ص ٢٦ (الاول)، ص ٥٢ (الاول)، ص ٥٧ (الرابع او الخامس)، ص ٩٩ (البيت الاخير)، ص ١٢٠ (الاول) ص ١٥٦ (السادس).

وعندما يصف الاطلال الباقية في تلك الاماكن فهو يستخدم
احياناً الافعال التالية ومشتقاتها:

(اَقْفَر) و (عَفَى) و (دَرَسَ) او (بَلَى)^١.

ب - المواضيع المتعلقة بالمحبة

وهو ان يتحدث عن محبوبته، يثير الشاعر ذكرياته واللقاءات
القصيرة معها، بل واحلامهما المتبادلة. واخيراً، مايشعر به من عذاب
في غيابها، والفراغ الاليم الذي يتركه غيابها عنه. وفي هذا السياق
يحاول " جرير " ان يقدم صورة لمحبوبته الجميلة واصفاً شكلها
واخلاقها. وهو يقدمها لنا سميحة وممتلئة، بحيث يصبح من المستحيل
تحريك حبلها من ساقها^٢. اما العيون فهي حوراء، كما انه يستخدم
كذلك في وصفه للعيون تعابير اخرى مُشتقة من الجذر (ضَنَى)^٣.
ويصف " جرير " محبوبته برائحتها الطيبة، وهي موضوعة يتناولها
غالباً مستخدماً كلمة مسك^٤. كما انها بيضاء كما الكواكب، وتشبه
القمر او الشمس^٥.

١ - الديوان (نفس المصدر) ، ص ٨ (البيت الاول)، ص ٥٧ (الخامس)، ص ١٥٨

(الاول)، ص ١٨٤ (الرابع)، ص ٣٢٨ (السادس)، ص ٤٠٩ (السابع).

٢ - الديوان، ص ٢٦ (البيت الخامس)، ص ١٨١ (السادس)، ص ٢٩٣ (الاخير)، ص

٣٨٦ (السابع)، ص ٥٩٥ (الاخير).

٣ - الديوان، ص ٣٤ (السادس)، ص ١١٠ (الرابع)، ص ١٥٨ (الرابع)، ص ٥٧٠

(السادس)، ص ٥٩٥ (العاشر).

٤ - الديوان، ص ١٦ (البيت الخامس والسادس)، ص ٣٨٣ (الثاني)، ص ٥٢٦ (الحادي

عشر)، ص ٥٩٦ (الاول).

٥ - الديوان، ص ٢٦ (البيت الثالث)، ص ٣٣ (الخامس)، ص ٥٢ (الرابع)، ص ٤٥٨

(الاول).

وينصب اهتمام "جرير" على وصف اخلاقيات المحبوبة اكثر من وصفه لجمالها.

اما اهم عوامل ذلك الوصف بالنسبة لـ "جرير" فهي على وجه الخصوص تلك الجدية المحببة في مشيتها، مقرونة ببطء الخطوات ورزانة الحركة، كما انها لها كرامتها التي تبعث على الاحترام، كما انها لا تتواجد مع رفقة سيئة السمعة. وهي محتشمة لا تبوح ابدا بسر تعرفه، مؤدبة جدا، لاتهين جيرانها او تجرحهم، وخفها يأتي ليكمل جمالها.^٢

ومن جهة اخرى، يتحدث الشاعر بالمثل عن مختلف مظاهر تفكير النساء، وعلاقاتهن غير المستقرة والتي دائماً ما تنقطع. وهو يستخدم لوصف تلك الحالة، مشتقات من الفعل (قَطَعَ) و (وَصَلَ) و (صَرَمَ). وفي نفس الاتجاه يتحدث عن مواعيد لم تنجز او عن دلالهن بهذا الخصوص. وهنا نجد كلمات تتكرر لديه، كما (وَعَدَ) و (خَلَفَ) و (بَخَلَ)^٣.

ج - المواضيع المتعلقة بالشاعر

ويشغل " جرير " مكاناً خاصاً في نسيبه ليعبر فيه عن مشاعره، ويتحدث عن عواطفه وعن ذكرياته، وعن الالم الذي يحس به

١ - الديوان، ص ٥٦ (البيت الثاني)، ص ٤٥٧ (الثاني).

٢ - الديوان، ص ١٦ (البيت الرابع)، ص ٣٣ (السابع)، ص ٦٥ (السابع)، ص ١٠٠ (البيت الاخير)، ص ١٦٠ (الثاني)، ص ٢٨٣ (الثامن)، ص ٥٩٨ (الاول).

٣ - الديوان، ص ١٠ (البيت الثالث)، ص ١٨ (الثامن والتاسع)، ص ٦٠ (الثامن)، ص ٦٥ (الرابع)، ص ١٥٢ (البيت الاخير، ص ١٥٦ (السابع والتاسع)، ص ١٧٠ (الاول والثامن)، ص ١٧٥ (الثاني).

غداة أي فراق. وفي التطور الذي يشعر به الشاعر عند تعبيره عن قوة وشدة عواطفه، ووصول عاطفته الى ذروتها. وهو يستخدم كلمات اصبحت تعابير لازمة مشتقة من افعال كما: (شغف) (كَلَف) و (تيم)^١. وهو يشرح اثاره عواطفه الجياشة، فهو يستخدم دائماً ذلك التعبير (هاج الهوى)^٢.

ولا يتحدث " جرير " فقط عن مشاعره العميقة، وذكريات صداقته والامال التي كان يتبادلها مع حبيبته، واثار البعد؛ بل انه كذلك يتحدث عن الاحلام التي يراها فيها. وللتعبير عن تلك الفكرة التي غالباً ما يرددها باستخدامه الافعال (زار) و (طَرَق) و (الم) وغالباً ما تقتزن تلك الافعال بتعبير " الخيال " ^٣. واخيراً، وعندما كان يفكر بالمحبة فهو يستخدم الفعل (طار)^٤ للتعبير عن دقات قلبه.

ولكي يترجم الشاعر مشاغله العاطفية فهو يقول انه لا ينام وان الليالي طويلة^٥. ولكي تكتمل اللوحة، يذكر " جرير " اخيراً، تلك الملامة التي يوجهها له رجل تقليدي يسميه (العذول)، ويلومه على حبه وعلى اصراره وتمسكه بتلك العاطفة^٦.

١ - الديوان، ص ٣٤ (السابع)، ص ٨٩ (الثاني)، ص ٢٤٠ (الخامس)، ص ٢٥٣ (الخامس) ٣١ (الاول).

٢ - الديوان، ص ٢٢ (السادس)، ص ٦١ (٢)، ص ٦٥ (١)، ص ٨٩ (١)، ص ١٨١ (١، ٢)، ص ٢٨٣ (٧).

٣ - الديوان، ص ١٢٠ (٣)، ص ١٦٠ (١)، ص ٢٢٢ (٥)، ص ٤٤٩ (٩)، ص ٥٢٦ (٩، ١٠).

٤ - الديوان ص ٥٢ (٥)، ص ٢٢٦ (الاخير)، ص ٢٨٣ (٢)، ص ٣٠٠ (٦)، ص ٣٦٢ (٨).

٥ - الديوان ، ص ١٧ (٢)، ص ١٧٠ (١١)، ص ٤٧٣ (٥).

٦ - الديوان، ص ٦٤ (٤)، ص ١٤١ (٦)، ص ١٤٥ (٢، ٣)، ص ١٧٠ (٧)، ص ١٨١ (١٢).

ومع ذلك لا يتوقف الشاعر بعاطفته عند حدود المحبوبة وحدها. فهو يحب اقاربها معها، بل والمكان حيث تقيم^١.

وهناك موضوع آخر من مواضيع النسيب تطرق اليه "جرير" وهو الشكوى من الشيخوخة، والعذاب الذي يترتب على ابتعاد الجميلة بسبب من تلك السن المتقدمة والتي يتناولها الشاعر تقريباً في كل ابیات النسيب^٢. وتكرار ذلك الموضوع من جهة، الى جانب اننا نراه في احدى قصائده يتحدث عن آلام الشيخوخة وهو مازال في الثلاثين ولم يكن قد عانى بعد تلك الآلام، كل ذلك يدفعنا للاعتقاد بان مثل ذلك الموضوع كان تقليدياً مطروقاً في عصره، اكثر من كونه تقليداً للشعر القديم^٣.

ويتحدث "جرير" كذلك عن الاحتياطات الدقيقة وجانب الجذر الذي يتوخاه دائماً لكي لا يعرف احد بعلاقاته مع صديقه^٤. وهو لا يزورها خوفاً من النظرات الفضولية، واذا ما حدث وراها صدفة، فهو يوميء لها باشارة حانية من بعيد خوفاً من إثارة غيرة اقاربها^٥. وتلك الموضوعات نابعة من حياتي خلقتها الاختلاطات في حياة البدو والتي تفرض على المحبين التخفي دائماً حتى لا يثيروا انتباه الاهل او الجيران^٦.

١ - الديوان، ص ١٣ (البيت الثاني)، ص ٢٨٠ (الثاني)، ص ٤١٩ (١٢، ١١)، ص ٤٧٨ (الثالث والخامس)، ص ٥٣٨ (الثاني).

٢ - الديوان، ص ١٦ (الاول)، ص ٣٢ (الاخير)، ص ٣٧ (الخامس)، ص ٦١ (السادس)، ص ٩٦ (الثاني)، ص ١٠١ (الثاني).

٣ - بهذا الخصوص، انظر " بلاشير Blachere "، الموضوعات الرئيسية، ص ٩٠.

٤ - الديوان، ص ١٠٨ (البيت السادس)، ص ٣٠١ (الاول)، ص ٣٤١ (السابع).

٥ - الديوان، ص ٣٤ (البيت الرابع)، ص ٥ (الثالث والعاشر)، ص ٦١ (الثالث)، ص ١٥٢ (السابع)، ص ٢٨٠ (الثامن).

٦ - بلاشير " Blachere "، الموضوعات الرئيسية، ص ٩٦.

وكما نعتقد، فقد ألهمت حياة الصحراء تلك مواضيع أخرى نجد لها أمثلة في ديوان " جرير ". منها قبل كل شيء، موضوع " الفراق "، حيث كان البدو مجبرين على حياة الترحال. وهكذا يرى الشاعر دائماً حبيبته تنتقل مع ذويها. ويتناول شاعرنا المحب تلك الفكرة بأشكال مختلفة كانت سائدة في عصره، كما مثلاً: (بان الخليلط)، (نادى المُنادي)، (نادى اميرك)، ومستخدم أيضاً بهذا الخصوص مشتقات من الفعل (بكر)، وذاكراً أحياناً تعبيراً كما (غراب البين)^١.

والموضوعة الأخرى التي تناولها الشاعر والتي تتصل لحد ما بالموضوعة السابقة، ومُستلهمة بدورها من حياة الصحراء. وفي واقع الأمر، كان التنقل الدائم الذي يقوم به البدو الرحل، بحثاً عن الماء؛ أحد أهم عناصر الحياة في الصحراء. فالشعراء القدماء، وأولئك الشعراء الذين اتخذوهم مثلاً يُحتذى، و"جرير" من بينهم، لم يكونوا يتمنون للمحبة شيئاً أفضل من تلك الهبة الثمينة. وهكذا لم يكن شاعرنا يأمل فقط أن تروي الأمطار تلك الأرض التي خلفتها المحبوبة وراءها، أملاً في عودتها ربما؛ وإنما أيضاً أن تروي تلك الأماكن حيث تقيم. وهنا نجد الفعل (سقى) والتعابير المشتقة منه وقد أصبحت كلها كلمات تتردد دائماً^٢.

١ - الديوان، ص ١٨ (البيت السادس والسابع)، ص ١٢١ (التاسع)، ص ٢٥٣ (الرابع)،

ص ٢٩٣ (التاسع)، ص ٢٩٧ (التاسع)، ص ٣١٤ (الرابع)، ص ٤٢٥ (الثامن).

٢ - الديوان، ص ١٦ (البيت الأخير)، ص ١٩٣ (الأول والثاني)، ص ٢١٦ (العاشر)، ص

٢٥٧ (الثالث والرابع)، ص ٣١٤ (الرابع)، ص ٤٢٥ (الثامن).

وتعتبر الموضوعات التي ذكرناها توا في مظاهرها المتنوعة لدى " جرير " من العناصر الاساسية في الاستهلال العاطفي. ونلاحظ من جهة اخرى انها لا تتغير مهما كان الشخص الذي يدور حوله ذلك الاستهلال. بل، ويتكرر الاسلوب والطريقة والمحتوى قي ذلك النسب سواء كرّسه لزوجاته او لصديقاته. ويمكننا مع ذلك الاحساس ببعض النعومة والرقّة في الابيات الموجهة الى زوجاته، مما يشرح ربما تلك المحبة التي يكنها لهن. فالرثاء الموجه لزوجته " خالدة " شاهد على ذلك. وربما يكون " جرير " في نهاية الامر قد اتخذ واحدة من زوجاته ملهمة له عندما يتغزل بواحدة من صديقاته الوهميات. كما اننا نجد كل تلك الرقة وكل ذلك الحنان في مجمل شعر النسب.

ونتمسك هنا بتقديم قصيدة من نسيبه، جمعت معظم العناصر التي تميز ذلك النوع من الشعر:

أخالدَ عادَ وعدَّكم خِلابا

ومُنيتِ المَواعِدَ والكِذابا

ألم تتبيني كلّفي ووجدي

غداة يردُّ أهلكم الركابا

أهذا الودُّ زادك كلَّ يوم

مُباعدةً لإلفك واجتنابا

لقد طربَ الحمامُ فهاجَ شوقاً

لقلب ما يزال بكم مُصابا

ونرهبُ أن نَزوركُم عِوناً
 مُصانَعَةً لأهلك وإرتقاباً
 فما باليتَ ليلتناً ينجِدِ
 ودمعُ العينِ ينحدرُ انسكاباً
 لذكركِ حينَ فوزتِ المطايا
 على شركٍ تخالُ بهِ سبايا
 ألا يا قلبُ مالكِ إذ تصابى
 وهذا الشيبُ قد غلبَ الشبابا
 كما طردَ النهارُ سوادَ ليلِ
 فأزَمَعَ حينَ حلَّ بهِ الذهابا
 سأحفظُ ما زعمتِ لنا وأرعى
 بإيابِ الودِّ إن لهُ إيابا
 وليلٍ قد أبیتُ بهِ طويلِ
 لِحُبِّكَ ما جزيتُ بهِ توابا
 أخالدُ كانَ أهلكِ لي صديقاً
 فقد أَمسوا لِحُبِّكُم حِرابا
 بِنَفْسِي من أوزٍ فلا أراه
 ويضربُ دونهُ الخَدَمُ الحجابا
 أخالدُ لو سألتِ عِلْمَتِ انيَ
 لقيتُ بِحُبِّكَ العَجَبَ العُجابا

تقسيم قصائده حسب الانواع الرئيسية:

الانواع	القصائد	المقاطع
الهجاء	١١٤	١١٥
المديح	٤٩	٣١
الرشاء	٤	١٧

ويحتوي الديوان على ثلاثمائة واربع واربعين قصيدة. وفيما عدا ما هو مذكور في اللوحة السابقة: فهناك ثلاث قصائد (واحدة في النسيب، واحدة في الشكوى، وواحدة في الوصف)، وكذلك يوجد احد عشر مقطعا تدور حول مواضيع مختلفة.

الفصل الثالث

فن جرير

الفصل الثالث

فن " جرير "

اللغة والمفردات - تأثير القرآن - الاسلوب وأهم مميزات شعره -
البلاغة - العروض

لقد رأينا في الفصل السابق كيف ان "جريرا" كان يستلهم المثل العليا للشعراء القدامى في الاطار والنوع. ومع ذلك فقد كان تقليده على الشكل فقط، تاركاً لـ "جرير" حريته الكبيرة لكي تظهر اصالة اللغة لديه. وبشكل عام، فان لغته رغم عدم تنوعها فهي مفهومة نسبياً وتصل الى الجميع. وبالتأكيد، نجد فيها فخامة وقوة معروفة في اللغة القديمة الا انها احتفظت ببساطة وقوة وعفوية ميزت اشعاره. وقد اعلن الفرزدق حسده من رقة تلك اللغة^١. وبالمثل، فان صاحب كتاب الاغانى، وهو يلخص مختلف الآراء التي قيلت حول " جرير"، يحدثنا بان اولئك الذين يميلون الى الشعر السلس والى مذاقه، والى اللغة السهلة الملائمة جعلوا من "جرير"^٢ الافضل بين الشعراء.

ومن جهة اخرى، لم تستطع بساطة الجمل وصفاء اللغة، ان تشير اعجاب علماء اللغة وعلماء علم القواعد في العراق في القرنين الثاني والثالث للهجرة (القرنين الثامن والتاسع الميلاديين)، والذين كانوا يبحثون عن تلك المفردات القديمة وعن تلك الامثلة التي تُضرب

١ - ابن قتيبة، ص ٢٨٥ .

٢ - الاغانى، الجزء الثاني، الفصل التاسع عشر، ص ٤٨ .

في قواعد اللغة، حيث وجدوا ضالتهم في الفرزدق وتمتعوا بنتاجه المعروف بتعقيد جملته وتذوقه لذلك النوع من المفردات^١.

فاذا ما كانت لغة "جرير" قد حرمته من تقدير تلك النخبة له، فانها في المقابل قد اكسبته حب الجمهور وحماسه وساهمت في نشر شعره الذي يقدره حتى اخطر اعدائه "الاخطل"^٢.

ويظهر ذلك التميز اولا في نسيبه. فلغته رقيقة عاطفية سواء في مفرداته او في طريقة تعبيره، وبحيث لا يبدو انه "جرير" ذلك البدوي الذي يجهد نفسه في اضعاف بعض الصرامة او الشدة على ابياته العاطفية وقد اتفق النقاد القدامى على ابراز تلك الرقة وذلك الحنان في نسيبه الذي لقي نجاحاً كبيراً في اوساط الحجاز المتميزة بتلك الطريقة، وليقدم لنا شهادة اخرى، فهو يلقبه بالحنون، رقيق الحاشية، والذي احتضنته دائرة الطرب بنفس الحماس الذي يستقبل به غزل اهل المدن^٣.

وفي مديحه او هجائه، تبقى لغته مع ذلك بسيطة نسبياً، ولكن التعابير القديمة تظهر على وجه الخصوص في الهجاء. ومع ذلك، نرى ان شاعرنا لا يستغله كثيراً لدرجة ان يجعله سمة سائدة في جميع قصائده الهجائية. ولنقل بهذا الخصوص ان قصيدة واحدة مثلاً من هذا النوع يستقبلها جميع نقاد عصره باهتمام تام. وعندما نتقحصها

١ - الاغاني، الجزء الثاني، الفصل التاسع، ص ١٥ و ص ٤٨؛ وكذلك المرزباني،

معجم الشعراء، ص ١١٨، والمحاضرات، الجزء الاول، ص ٢٦.

٢ - الاغاني، الجزء الثالث، الفصل الثامن، ص ٧٩، ص ٣١٨.

٣ - الكامل، ص ٣٩١، ٣٩٢؛ وكذلك ابن قتيبة ص ٣٠٧.

عن قرب، سنرى وبشكل واضح تماماً بانها مليئة بتلك التعابير القديمة المتميزة جداً والتي تتعارض مع كل ما كان قد نظمته من ذلك النوع من قبل^١.

ومهما كان الامر، فليست القضية هنا هو ذكر جميع التعابير من هذا القبيل، والتي تملأ شعر "جرير"، ولنقتصر على ذكر بعض الامثلة كما عَصَبَصَبَ^٢،

قَمَقَام^٣ ، الامليس^٤، العتريس^٥، قَدَمُس^٦، ضَغْبُوس^٧، مَلَطَس (مَلَطاس)^٨، خَوْلَع^٩، هِبَلَع^{١٠}، إِسْمَال^{١١}، عَشَوَزَن^{١٢}.

ويضاف الى تلك التعابير القديمة عدد كبير من التعابير المتداولة في ذلك العصر. وسوف نقتصر كذلك على بعض الامثلة التي تدل على انها مُستقاة من الحياة الجديدة التي عاشها المجتمع العربي

-
- ١ - الديوان، ص ٣٢١؛ الاغاني، الجزء الثالث، الفصل الثامن، ص ٥٢.
 - ٢ - الديوان، ص ١٣ (البيت الرابع).
 - ٣ - الديوان، ص ١٤ (البيت الثاني).
 - ٤ - الديوان، ص ٣٢٣ (البيت الاول).
 - ٥ - الديوان، ص ٣٢٣ (البيت الخامس).
 - ٦ - الديوان، ص ٣٢٣ (البيت الثامن).
 - ٧ - الديوان، ص ٣٢٤ (البيت الخامس).
 - ٨ - الديوان، ص ٣٢٤ (البيت السادس).
 - ٩ - الديوان، ص ٣٤٤ (البيت الخامس).
 - ١٠ - الديوان، ص ٣٤٥ (البيت الثاني).
 - ١١ - الديوان، ص ٣٥٣ (البيت الرابع).
 - ١٢ - الديوان، ص ٥٨٢ .

بعد ظهور الاسلام: سن^١ ، سيرة^٢ ، جهاد^٣ ، بايع^٤ ، رعية^٥ ، ولي العهد^٦ ، عامل^٧ ، منبر^٨ ، عطاء^٩.

فاذا ما كان "جرير" قد ظل بدوياً في مفرداته ولا يتقبل الا عدداً محدوداً من المصطلحات المتعلقة بالحياة الجديدة في المجتمع العربي، فقد كان تأثيره واضحاً جداً بالقرآن. ويعبر ذلك التأثير القرآني عن نفسه لديه في تلك المصطلحات وتلك البلاغة وذلك التعبير والمُسْتَقاة جميعها من كتاب الاسلام، القرآن، وحيث يذكرها نصاً في شكل الآية وهو يحاول احياناً ان يشرح وجهة نظره.

ولنذكر اولا مختلف اسماء الذات العلية التي نلتقيها في الديوان: الله ، ذو المعارج ، ذو العرش ، الرحمن^{١٠} ، ويعبر عن الجنة بالكلمات: (جنة)، (خُلْد)، (فِرْدَوْس)^{١١} وكذلك يعبر عن القرآن (الوحي) و (الفرقان) واخيراً (كتاب الله)^{١٢}. ويذكر كذلك الكتب المقدسة بالكلمات: (التوراة) و (الزبور)^{١٣}.

١ - الديوان، ص ٥١١ (البيت الاول).

٢ - الديوان، ص ٥١١ (البيت الاول).

٣ - الديوان، ص ١٣٦ (البيت الاخير)، ص ٤٤٠ (البيت السادس)

٤ - الديوان، ص ٩ (البيت الثامن).

٥ - الديوان ، ص ٩ (البيت الثاني)، ص ٣٤ (الحادي عشر)، ص ١٣٦ (الخامس).

٦ - الديوان، ص ٩ (الخامس والثامن)، ص ٣٤ (التاسع).

٧ - الديوان، ص ١٥٤ (السادس)، ص ٤٤١ (الثالث).

٨ - الديوان، ص ٢٠ (الثاني)، ص ١٢٦ (الرابع).

٩ - الديوان ، ص ٤١ (السابع).

١٠ - الديوان، ص ١٧ (البيت السادس)، ص ٣٥ (الثالث)، ص ٢٤٢ (الثاني).

١١ - الديوان، ص ٣٦ (البيت الاول)، ص ١٥٩ (الثامن).

١٢ - الديوان، ص ٣٥٥ (التاسع)، ص ٤٨٥ (الثاني)، ص ٥٧٦ (الحادي عشر).

١٣ - الديوان، ص ٣٥ (الثالث).

واسماء الانبياء المذكورة في القرآن، نقرأها كذلك في ديوان " جرير " في مناسبات عدة: فهو يذكر محمداً (صلى الله عليه وسلم) بقوله رسول الله؛ وملتقى كذلك باسماء المسيح، موسى، يعقوب، يوسف، سليمان، ابراهيم، هود، نوح، لوط^١.

وعديدة في الديوان، المصطلحات المستلهمة من القرآن. وليس القصد هنا ان نقوم بتعدادها؛ وسوف نقتصر على بعض الامثلة: حلال و حرام^٢، الحد، مستخدماً الفعل رَجَمَ بهذا الخصوص، ومركزاً على ان عقاب اللصوص حسب شريعة القرآن هو قطع الايدي^٣. و ذكرت قوانين اخرى: الصوم، الصلاة^٤، الحج واتمام العمرة^٥؛ او مصطلحات تحوي مجمل القوانين: احكام (جمع حكم)، والفرائض (جمع فريضة)^٦.

ويظهر تأثير القرآن لدى " جرير " ايضاً، باستخدامه نص التعبير كما هو في القرآن: (الحمد لله)^٧ (لعل الله)^٨.

-
- ١ - الديوان، ص ٢٦٣ (الثاني)، ص ٥٧٦ (الحادي عشر).
 - ٢ - الديوان، ص ١٧ (السادس)، ص ٣٥ (الرابع والخامس)، ص ٧٢ (الرابع)، ص ١٢٠ (السادس)، ص ٢٤٣ (السادس والسابع والثامن)، ص ٣٢٤ (الثاني).
 - ٣ - الديوان، ص ٤٩٧ (البيت العاشر)، ص ٥٠٥ (الثالث).
 - ٤ - الديوان، ص ٢٩ (البيت الاخير)، ص ١٦١ (السادس).
 - ٥ - الديوان، ص ٦٣ (الثالث والرابع).
 - ٦ - الديوان، ص ٥٠٥ (التاسع)، ص ٥٣٩ (التاسع).
 - ٧ - الديوان، ص ٢٨١ (البيت الاخير).
 - ٨ - الديوان، ص ٣٥٥ (التاسع)، ص ٥٠٦ (الرابع)، ص ٥١١ (الاول).
 - ٩ - الديوان، ص ٤ (البيت الاخير).
 - ١٠ - الديوان، ص ٣٨ (الثالث).

وعديدة كذلك ترجمات لسور القرآن في نتاج الشاعر. فهو يستقي الفكرة من الآية او من عدة آيات ويحللها في بيت او عدة ابيات مستخدماً احياناً مصطلحات مذكورة في الآية، او مشتقات من تلك المصطلحات حسب ماتقتضيه ضرورة الشعر. وهكذا يلخص لقاء يوسف واخوته والحوار الدائر بينهم كما ذكر ذلك في القرآن^١:

(٤) كونوا كيوسف لما جاء اخوته

واستعرفوا قال ما في اليوم تثريب

ونحن نؤكد هنا على الجملة الاخيرة لذلك البيت، ما في اليوم تثريب، لكي نقارنها بالجملة التالية من الآية^٢: لاتثريب عليكم اليوم. وذلك المثل الآخر المستلهم من الآية: " ولسوف يعطيك ربك فترضى "٣، وحيث نظم " جرير " ذلك البيت^٤:

(٨) اعطاك ربي من جزيل عطائه

حتى رضيت فطال زعم الحاسد

ولنأخذ بنظر الاعتبار كذلك التعابير الثلاثة لتلك الآية التي اختارها الشاعر: اعطى ، رضي ، والرب. ولنقتصر على تلك الامثلة ونرجعها الى تعابير اخرى بنفس ذلك الاتجاه ونفس الالتزام الحرفي في استخدامها^٥.

١ - الديوان، ص ٣٥

٢ - بلاشير (Blachere)، القرآن، الجزء الثاني، ص ٤٧٩ (الاية ٩٢).

٣ - بلاشير، الجزء الثاني، ص ١٤، (الاية الخامسة).

٤ - الديوان، ص ١٢٦.

٥ - الديوان، ص ١٥٠ (البيت التاسع والثاني عشر)، ص ١٥٣ (الثامن والثاني عشر)

كما وان ذلك التأثير القرآني في نتاج "جرير" لا يترك لدينا أي شك في ان الشاعر يعرف القرآن عن ظهر قلب، كتاب الاسلام المقدس الاسلام (القرآن)، ان لم يكن الجزء الاكبر منه. وعلى أي حال، فان ذلك التغلغل للتأثير القرآني في نتاج "جرير" لم يستطع كما يبدو، ان يخفف من حدة وفضاظة تلك اللغة التي استخدمها في هجائه على وجه الخصوص. ولا يجب ان نقارن ذلك المظهر الاخير للغته في علاقته بالتأثير القرآني على نتاجه.

ويجب علينا ان نتذكر دائماً بان "جريرا" بدوي. والبدوي حتى ايامنا هذه، لا يعرف من دينه سوى انه مسلم. ومن جهة اخرى كان "جرير" شاعراً هجاءً في المقام الاول. ولانه كذلك، فهو يستخدم أي سلاح يطاله لكي يصل الى اعدائه. ولكي نفهم تلك اللغة بشكل افضل، فهي غير متحفظة لا بل فجّة. ومع ذلك، يجب ان نأخذ في الحسبان كذلك، الوسط الذي يعيش فيه من يستمع اليه: انها البصرة، وحيث الوسط لم يكن في ذلك العصر تماماً، مكاناً يهتم بنقاء الاخلاقيات^١. وبالرغم من المظهر الحافظ لذلك الوسط، فلا يبدو ان تكون قد صدمته لغة "جرير" الفاحشة. واستناداً الى المعلومات التي لدينا، لا يوجد خليفة واحد، زاره "جرير" قد لامه على ذلك الفحش على ما يبدو. كما وان الشعراء المعاصرين الذين كانوا الحُكم بينه وبين اعدائه لم يعتبروا ابداً تلك الفاحشة معياراً للتعبير عن آرائهم فيه.

ومن جهة اخرى، فلا يجب ان ننظر لاي تلك الخصوصية في اسلوبه وفقاً لمفاهيم عصرنا. انها تعود الى فترة معينة كما انها تعبر عن تلك الفترة. وما يهمنا في نهاية الامر، تلك الوثائق الهامة.

١ - حول الاخلاقيات العامة لمجتمع البصرة في القرن الاول للهجرة، انظر بيلا Pellar ، الجاحظ' ص ٢٥٥ .

اسلوب واهم مميزات شعر " جرير "

تظهر شخصية "جرير" بوضوح من اسلوب شعره، ومن الطريقة التي يشرح بها افكاره؛ واخيرا من تلك المهارة في اختيار المفردات القادرة على منح القوة لافكاره والوضوح لاسلوبه.

ولنحاول اول الامر، ان نلاحظ بعض الصفحات العامة المميزة جدا لمجمل نتاجه. وكلما حاول الشاعر ان يطيل في الهجاء، فانه يتمسك في المقابل، بان تكون قصيدة المديح قصيرة. فالرثاء بدوره لديه لايتعدى اطار المقطع الشعري. وفي النوعين الاولين المذكورين يتعلق الامر بمفهوم شاعرنا اذا ما اخذنا بنظر الاعتبار رواية ذكرها صاحب كتاب " العمدة "، وتحدثنا عن نصيحة " جرير " لاولاده بعدم الاطالة في قصيدة المديح لانه كما قال يمكن ان تنسى البداية، ولايمكن احتواء النهاية. اما بالنسبة لقصيدة الهجاء، فيجب دائماً وتبعاً لنفس الرواية ان يعملوا العكس^١.

ونلاحظ من جهة اخرى تغير طريقته في تناول ذلك النوع الشعري من حيث العلاقة مع الشخص موضوع القصيدة. فعندما يمدح الحجاج مثلاً، تأخذ اشعاره شكلاً رزيناً، وتصبح اللهجة حازمة، شديدة الجدية بل وتحمل نبرة تهديد اذا ما تعلق الامر بسكان العراق على الاكثر، فهم اعداء الوالي. ونشعر هنا بان "جريرا" كان يستلهم نفس الاسلوب الشديد والقاسي الذي يتميز به خطاب الوالي لاهل العراق^٢.

١ - العمدة، الجزء الثاني، ص ١٢٢ .

٢ - انظر الجاحظ، البيان والتبيين، الجزء الثاني، ص ١٣٠-١٤٠، حيث نقرأ خطابين.

وفي المقابل، عندما يتعلق الامر بعمر ابن عبد العزيز، الخليفة
التقي الورع المسالم، يتغير اسلوب "جرير" وجَرسه ويصبح هادئاً،
ناعماً، عبقاً بل ويبدو عاطفياً. وذلك بالطبع هو الاسلوب الملائم
لمخاطبة طيبة القلب وكرم اخلاق الخليفة^١.

ولقد وصلنا الآن بذلك الى دراسة تحليلية. وهنا تتميز
خصائص شعر "جرير" بشكل واضح. فاذا ما اراد ان يشرح افكاره،
فهو يقوم بذلك في تأثير كبير ووضوح اكبر. ولتحقيق ذلك الهدف كان
يلجأ للكثير من الوسائل: فكان يوجه عناية فائقة لاختيار التعابير التي
تقدم لنا ماذا يريد قوله: والرأي الذي يريد ان يطرحه في معاني تلك
التعابير المختارة.

و "جرير"، ذلك الرجل الجُدي المتزن، يختار التعابير ذات
الجَرس القوي في قصائد المديح وفي شعره الملحمي. وفي هذا المجال
يمكننا ان نذكر امثلة كما قُرِمَ^٢ (جمع قَرَمَ بمعنى عملاق)، وخَضَارِمَ^٣
(جمع خَضَرَمَ بمعنى رئيس)، والجَحَاجِحُ^٤ (جمع جحجج بمعنى
رئيس).

اما في الابيات التي تعنيه ويتحدث فيها عن معركته الخاصة، او
عندما يهدد اعداءه، او حتى عندما يصف مغزى ابياته نلتقي بمثل تلك
الكلمات، اصطلى^٥، صك^٦، صدع^٧، صاعقة^٨.

-
- ١ - الديوان، وعلى وجه الخصوص القصيدتين في الصفحات، ص ١٣٤، ٢٧٤.
 - ٢ - الديوان، ص ١٩ (البيت الثالث)، ص ٣٥ (السادس)، ص ٧٧ (الخامس).
 - ٣ - الديوان، ص ٥ (البيت الاول)، ص ١٣٦ (البيت الاخير).
 - ٤ - الديوان، ص ١٠٢ (التاسع)، ص ٢٢٨ (الخامس).
 - ٥ - الديوان، ص ٦٠ (السادس)، ص ٣٤٣.
 - ٦ - الديوان، ص ١١٠ (السادس)، ص ٣٤٤ (الثاني)، ص ٥٤٩ (الثامن).
 - ٧ - الديوان، ص ٣٨ (السابع)، ص ١٤٧ (السابع).
 - ٨ - الديوان، ص ٧١ (الاخير)، ص ٢٥٠ (الاول)، ص ٣٩٦ (السادس).

ولكي يصف ضعف اعدائه وعدم اهليتهم تظهر عبقرية "جرير" في اختيار التعابير التي تقدم صورة واضحة للصفات التي تحط من قدر الشخصية التي يهجوها حتى تبدو ضعيفة، منهرة بل وقاصرة. ونذكر بهذا الخصوص مافي ديوانه من كلمات مثل ناخب^١ (بمعنى جبان)، وكذلك مشتقات من الفعل خَارَ^٢ (بمعنى جبان)، وكذلك الفعل فَايَشَ^٣ (بمعنى يهدد دون لن ينفذ)، وايضاً كلمات مثل تنابله^٤ (جمع تنبل بمعنى كسول).

ونحن نلاحظ ايضاً ان ذلك خط سائد في ديوانه. فـ "جرير" يحب ان يكرر في احدى اجزاء قصيدته، بل واحياناً في نفس البيت تعبيراً ما، او حتى مشتقات من ذلك التعبير بل وحتى احياناً ايضاً جملة كاملة من بيت ما. ويأخذ احياناً ذلك التكرار مظاهر عديدة. ونحن نجد نفس التعبير المذكور سواء في بداية الشطر الاول من البيت، او في النهاية، او يتكرر في العديد من الابيات المتتالية التي تذهب احياناً الى ستة ابيات دون ان يتغير الموضوع. ونلاحظ ان الشاعر يتمسك على وجه الخصوص بذلك اذا ما تعلق الامر باسم شخص معين في قصيدة هجاء^٥. ففي تلك الحالة يعني ذلك رغبة الشاعر في تقوية رأيه باظهار المزيد من الشعور بانه ينقض بضراوة على الشخص موضوع الهجاء. بل واحياناً نجد ايضاً ان الكلمة تتكرر مرتين دون ان يفصلهما حرف العطف "و"^٦. بل ويوجد ذلك التكرار

١ - الديوان، ص ٢٩ (البيت الثالث)، ص ٢٢٨ (الثاني)، ص ٢٢٩ (الخامس).

٢ - الديوان، ص ٢٠٨ (الاول)، ص ٢٢٩ (الخامس)، ص ٥٦١ (الخامس).

٣ - الديوان، ص ٢٠٧ (الاخير)، ص ٣٤٦ (الحادي عشر).

٤ - الديوان، ١٢٥ (الثاني).

٥ - الديوان، ص ٧٣-٧٤ (التعبير بني النُمير)، ص ١٩٨ (الكلمات: ياشَبَ).

٦ - الديوان، ص ٣٦ (البيت الرابع)، ص ٤٧ (الاخير)، ص ١٣٣ (الاول والرابع)، ص ١٩٨ (الخامس).

ايضاً للكثير من المشتقات لنفس الجذر حيث نجدها في البداية في بعض الابيات، ومن ثم نراها تتكرر اربع او خمس مرات^١.

وغالباً ما يجمع شاعرنا في بيت واحد^٢ كلمتين او ثلاث من نفس الشكل، او مشتقات من نفس الجذر، واحياناً يستخدمها في شطر واحد. واحياناً اخرى يصل به التطرف ليجمع مشتقات اربع او خمس في بيت واحد^٣ فقط .

وقد حمل ذلك الميل لدى "جرير" ابياته اكثر مما تحمله بل وعقدها، كما انه لم يحرمها فقط من الجمالية بسبب ذلك التكرار الممل الرتيب، بل ولايضيف شيئاً الى المعنى كما سنجد في الابيات التالية مثالا على ذلك.

انظر الشطر التالي^٤:

..... (٩)

وإن وقعت فما وقع كما تقع

او ذلك البيت^٥

تزود مثل زاد أبيك فينا

فنعم الزاد زاد أبيك زادا

١ - الديوان، ص ٢٠٨ (كلمة: الدهيم الابيات الرابع والسادس)، ص ٢٣٢ (مشتقات الفعل خَبَثَ، الابيات الاول والثالث) ص ٢٥٥ (مشتقات الفعل استعبر، الابيات)، ص ٢٥٨ (مشتقات الفعل ابتكر، الابيات السادس والثامن).

٢ - الديوان، ص ٢٤٠ (كلمة دار- البيت الرابع)، ص ٢٥٧ (كلمة زمان-الخامس)، ص ٣٨٥ (كلمة نجيب-البيت الرابع).

٣ - الديوان، ص ٢٣٠ (كلمة دار-التاسع)، ص ٢٩١ (كلمة بحر، البيت الرابع).

٤ - الديوان، ص ١٣٥.

٥ - الديوان، ص ١١٨ (البيت الرابع)، ص ٤٢٤ (الاخير)، ص ٥٢٩ (العاش).

ولا يقنع الشاعر هنا بذلك النوع من التردد، فهو يتمسك أحياناً
أن يذكر في الشطر الثاني جملة تكون موجودة أصلاً في الشطر الأول.^١
ونجد أيضاً تلك الجملة نفسها في البيت الذي يليه والمكان المناسب
له^٢، ويهدف إلى إعطاء قوة أكثر للفكرة التي يقصدها دون شك.

وهناك ملاحظة أخيرة: فـ "جرير" يحاول دائماً أن يرفد اسم
الشخص في أبياته بصفة مناسبة وهكذا مثلاً من اسم "ابن سعيد"
يشق كلمة سعادة^٣، ومن صفيح^٤: صفائح (جمع صفيحة: المظهر
الجانبى للوجه)، وأخيراً من منظور يعطي الفعل انتظر^٥.

وبالرغم من ذلك، فقد عرف "جرير" بعقلية المؤلف- الفنان
يعطي لأبياته الهجائية على وجه الخصوص، ذلك التأثير الذي يتوقعه
كما وأن نجاحه لم يتوقف فقط على أدواته، كما اللغة والمفردات وإنما
كذلك يعود لتلك العبقرية التي ينظمها بها.

وهكذا فهو أولاً يثير الاهتمام باستخدامه التأثيرات التي يريد
خلقها. وفي اللحظة الأخيرة يلقي بالفكرة الرئيسية التي يريد أن تعبر
عنها أبياته. فيقول مثلاً وهو يتحدث عن ضعف أقارب الفرزدق^٦:

ولو فرجت قص مجاشعي

لتنظر ما وجدت له فؤادا

١ - الديوان، ص ٨٤ (الأبيات الثامن والتاسع)، ص ٤٥٠ (السابع والثامن)، ص ٥٢٣ (التاسع والعاشر).

٢ - الديوان، ص ٤١ (الثالث).

٣ - الديوان، ص ٤١ (الثالث).

٤ - الديوان، ص ١٠٤ (الثاني).

٥ - الديوان، ص ٢١١ (الرابع)، ص ٢٣٦ (الأخير)، ص ٣٠١ (الخامس) و ص ٤٣٠ (الثاني).

٦ - الديوان، ص ١٤٤.

او انظر لذلك البيت عندما يريد ان يدلل على وضاعة قبيلة "
عمر ابن لجأ^١

وأنتك لو لقيت عبيداً تيم
وتيماً قلت ايهم العبيد

او عندما يوجه حديثه الى " الفرزدق "^٢:

ماكنت تنزل يا فرزدق منزلاً

التركك به لقومك عار

واذا كان " جرير " كغيره من شعراء عصره يعبر احياناً عن رأيه
في بيت واحد، فهو احياناً يطور ذلك الرأي ليشمل عدة ابيات، حيث
نحس بوحدة تجبر القاريء على اتباعه حتى نهاية الفقرة، والتي
يقدمها " جرير " مع ذلك في اسلوب حازم، منتقص جيداً وغالباً ما
ينتهي ببيت يكون خاتمة لرأي الشاعر. ونحن يمكننا ان نلتقي بفقرات
كهذه في شعر الهجائي^٣

وهناك وصفة اخرى مميزة لشعره الهجائي ولكنها تختلف
تماماً؛ وهي تتركز في فكره اللاذع والسخرية التي يبديها هنا وهناك
في اشعاره. ولا توجد طريقة في الواقع افضل من تبديد ملل المستمعين
خلال بيت يحوي الدعابة ممزوجة بالسخرية. وهنا يبدو ان شاعرنا
يستلهم هنا مفهوماً يحبه بشكل خاص تماماً. واذا ما استندنا الى
رواية صاحب العمدة، يكون " جرير " قد نصح بضرورة اثار الضحكة

١ - الديوان، ص ١٦٥.

٢ - الديوان، ص ٢٢٧.

٣ - الديوان، ص ٢٨ (البيت الثالثو السادس)، ص ٢٢٨ (الخامس والتاسع)، ص ٢٨٢
(الثامن والثاني عشر).

عبر الهجاء^١. وهنا كذلك، وفي عبقرية تامة يحتفظ "جرير" بعنصر المفاجأة في دعابته للجزء الاخير من شعره، وذلك لاعطائه التأثيرات الاخرى؛ ونذكر هنا امثلة على ذلك^٢

(٤) قَوْمٌ اِذَا حَضَرَ الْمُلُوكَ وَفُودَهُمْ
نُتِفَتْ شَوَارِبُهُمْ عَلَى الْاَبْوَابِ

او مثلاً^٣:

وَلَوْ يَدْفَنُ التَّيْمِيُّ ثُمَّ دَعَوْتَهُ

الى فَضْلٍ زَادٍ جَاءَ يَسْعَى مِنَ الْقَبْرِ

وعندما عَلِمَ بان مربعا زاويته قد هددته "الفرزدق" بالموت انشد متهمكاً^٤:

(٣) زَعَمَ الْفَرَزْدَقُ اَنْ سَيَقْتُلُ مَرْبَعاً

أَبْشِيرَ بَطُولِ سَلَامَةِ يَامْرِئِغَ

وهو ان ينكر الاصل العربي على الشاعر سُرَاقَة من قبيلة بارق، ويصله باليهود، قال له^٥:

(٩) وَلَقَدْ هَمَمْتُ بَانَ أَدْمُرُ بَارِقاً

فَرَقَبْتُ فِيهِمْ عَمْنَا اسْحَاقَا

١ - العمدة، الجزء الثاني، ص ١٦٤.

٢ - الديوان، ص ٥٦.

٣ - الديوان، ص ٢١٢.

٤ - الديوان، ص ٢١٢.

٥ - الديوان، ص ٣٦٩، ص ٢١٤ (البيت الرابع)، ص ٣٢٥ (الرابع)، ص ٤٥١ (الاول).

ص ٥١٨ (التاسع).

ولكن "جريرا" عندما يصبح اكثر جدية واتزاناً فهو يبدو
شخصاً حازماً، ونشيطاً ينثر تهديداته، ويأمر عدوه الراعي بالسكوت
ونراه كيف يصمه بالانتماء الى النمير^١:

فَغَضُ الطرف انك من نمير

فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

او عندما يهدده بذلك البيت الذي يلي:

اليك اليك عبد بني نمير

ولما تقتدح مني شهاباً

وسواء كان "جرير" مازحاً او غاضباً، فهو شديد ورصين،
ويبقى دائماً ذلك الهجاء الذي يخشاه الجميع. وعديدة هي تلك
الشواهد على الخوف الذي يثيره والضرر الذي يصيب من يقع بين
يديه. ورغم عداوة "ذي الرمة" لجرير^٢ فقد كان يخشاه، ولا
يستطيع ان يظهر عواطفه تجاهه علانية كما يروي لنا "ابو عبيدة"^٣.
وقد اورد كذلك بان النميريين الذين يهجوهم "جرير"، لا يجرؤون
مطلقاً على الاعتراف علانية باصلهم النميري^٤. واخيراً، لم يستطع
"الفرزدق"، اكثر اعداء "جرير" صموداً، لم يستطع الا الاعتراف
بـ "جرير" هجاءً لاذعاً.

ومع ذلك، لا يبدو "جرير" في مديحه بنفس الصفات. واستناداً
الى حكاية يرويها عكرمة وله، حيث يقرُ بافضلية واليه على الاخطل
في ذلك الميدان. ومع ذلك لانملك رواية واحدة تحمل نقداً يتحدث عن

١ - الديوان، ص ٨٠.

٢ - الاغانى، الجزء الثالث، الفصل الثامن، ص ٥٥.

٣ - الجاحظ، البيان والتبيين، الفصل الرابع، ص ٣٥.

٤ - العباسي، الجزء الاول، ص ٢٢٨.

وجود فكرة ما فيما يتعلق بشعر المديح لديه. فنحن لانشعر بذلك الحماس الذي نحس به في شعر الهجاء. واذ نقرأ مدائحه فاننا نشعر على الاكثر بانه يتمسك فقط بكيفية نظم اشعاره وليس بترجمة عواطفه. وليست قصائده في مدح حكام بني امية، سوى نماذج متشابهة يمكن توجيهها لاي من هؤلاء الحكام.

وبالتأكيد يلجأ "جرير" الى مفاهيمه السياسية والدينية التي تدخل السرور على قلوب المسؤولين في ذلك العصر؛ كما رؤساء دولة؛ والى مفاهيم عائلية تشبع غرورهم كما رؤساء عائلة وقبيلة، وذلك عندما كان يتغنى دونما كلل بنبلهم وكرمهم. وغالباً ما نراه لاينجح دائماً في التعبير عن تلك الافكار بشكل موهوب. وهو ان يؤكد على الحق الالهي للامويين في الخلافة يقول:^١

يا آل مروان إن الله فضلكم

فضلاً عظيماً على من دينه البدع

وفي هذا البيت، لكي يظهر افضليتهم التي باركها الله، فانه يقارنهم باولئك الذين يعتبرهم من الهراطقة. وهكذا نراه وهو يعتقد انه يرتفع بهم فهو يقلل من مكانتهم. ولنلاحظ اخيراً ضعف اسلوبه عندما يستخدم تعبير "عظيماً" كما لو ان هناك مراتب ممكنة في المقارنة بين من يتحدث عنهم. وهو اذ يمدح خليفة ما، يقول له^٢

أمير المؤمنين قضى بعدلٍ

أحلّ الحلّ واجتنبَ الحرّاما

١ - الديوان، ص ٣٥٦.

٢ - الديوان، ص ٥٠٥.

وان يحكم خليفة ما بالعدل ويجتنب الحرام، فذلك شيء طبيعي من لدن الحكام، ولا يستحق كل ذلك الجهد الذي بذله "جرير" لكي يوضح ذلك، طالما أن الشطر الثاني لا يحوي سوى شروحات فائضة طالما أنه ذكر عدل الخليفة في الشطر الاول.

وبالمثل، لنرى كيف يتغنى بكرم اموي آخر:

إذا ما أناخ الراغبون ببابكم

مع الوفد لم ترجع عيائبهم صيفرا

ولم ينجح شاعرنا هنا، في اعطائنا ادنى فكرة عن كرم من يمدح، ولأنه كما هو معلوم، حتى لو عاد مع اقل العطايا فإنه لم يرجع صفر اليدين على أي حال!

ومهما يكن الامر، لا يبدو "جرير" ذلك الفنان المبدع المقنع بما يفعل وهو يمدح، او أنه يحاول ان يمنح اشعاره أي بريق. كما ان دوره الذي لعبه بحماس ونجاح فهو الهجاء الذي يرى فيه مجده الشخصي والقبلي.

البلاغة

لم يكن لدى شعراء القرن الاول الهجري الميل الى الاستخدام المنهجي للصور البلاغية. واذا ما صادفنا بعضها في نتاجهم فهي نادرة وعفوية، بل ان صورهم تبدو في اشكال بسيطة وبدائية دائماً.

اذن، فإننا لانتظر ان نجد في اسلوب "جرير" عديدا من الصور البلاغية، التي غمرت في المقابل شعر شعراء القرن التالي. وليس لدينا هنا اذن مجال لمناقشة تلك الوسيلة الاسلوبية، ولا

لمناقشة الجمالية التي ندّعي وجودها، وانقل فقط بان لكل عصر مفهومه الشعري، وقواعده، وادواته اللغوية.

اما الصور البلاغية في ديوان "جرير" فتظهر في الاشكال التالية: المقارنة ، الكناية ، الطباق ، والبديع الذي يتعلق بالجناس واخيرا الاقتباس من القرآن الكريم.

ولقد رأينا سابقاً ونحن ندرس التأثير القرآني على نتاجه، كيف يقتبس "جرير" العديد من سور القرآن، ولنحاول ان نرى اذن الآن كيف يستخدم "جرير" المظاهر الاخرى من بلاغة العرب.

ولم يمارس "جرير" الوصف المنهجي، ولكنه كان يشعر احياناً بالحاجة الى استخدام المقارنة، في النسب عندما كان يريد ان يصف مثلاً تلك الاماكن حيث تعيش المحبوبة، او جمالها مثلاً؛ وكذلك في المديح عندما يريد ان يُبرز صفات من يمدح وفي الهجاء عندما كان يُعَدُّ اخطاء اعدائه.

والمقارنة بكل عناصرها نادرة جداً في الديوان. وفيما يلي بعض الامثلة:

(٦) كأنها مَزْنَةٌ غَرَاءُ واضحة

أو دُرَّةٌ لا يُـواري ضوؤها

الصَدَفُ

او ايضاً:

ووجدتُ مَسْلَمَةَ الكَريمِ نجارة

مثل الهلالِ أغَرَ غيرَ بهيم

ونرى ايضاً ندرة ذلك النوع من الوصف الذي تعنيه البلاغة

العربية بذلك التعبير: التشبيه البليغ؛ وحيث يمكن التعبير في ذات

الوقت بوصف الاشياء المقارنة واستخدام الاداة الخاصة بقواعد اللغة.
ولدينا ذلك المثل من شعر المديح:

وانتَ لنا نورٌ وغيثٌ وعصمةٌ

ونبتٌ لمن يرجو ندادك وريقُ

يستخدم "جرير" دائماً وبذكاء خارق تشبيه "التمثيل"
والذي يتطلب المقارنة بين صورتين. ونحن نُقر بنجاحه ومهارته في
استخدام ذلك الشكل من البلاغة، وعلى وجه الخصوص في اشعاره
الهجائية والعاطفية. ولم يكن ذلك غريباً على خيال "جرير" الخصب
دون شك. فهو يتحمس في شعر الهجاء ونراه رقيق الحاشية في شعر
النسيب.

وعندما يصف احدى الغزوات، يقدم صوراً فيها حركة الخيل
والغبار المتصاعد وراءها، كما شآبيب الصيف تتلوها ريح عاصفة
قادرة حتى على رفع الحصى^١.

صَبَحْنَاهُمْ جُرْداً كَأَنَّ غُبَارَهَا

شَآبِيبُ صَيْفٍ يَزْدَهِيهِنَّ

حاصب

اما حين يتكلم عن اعدائه في علاقتهم به فهو يشبههم بالثعالب
في مواجهة الاسد؛ تاركاً بذلك تصور الشعور بالخوف والاضطراب من
جهة، والقوة والسيطرة من الاخرى^٢.

١ - الديوان، ص ٤٤.

٢ - الديوان، ص ٥١٣.

كَأَنَّهُمُ الثَّعَالِبُ حِينَ تَلْقَى

هَزَبَرًا فِي الْعَرِينِ لَهُ انْتِحَامٌ

ولكي يرسم صورة لحالة الفراغ والوحشة التي تسود الاماكن التي كانت تقيم فيها المحبوبة، فهو يشبها بالورق^١ :

(١) أَمَا تَنْفَكُ تَذَكُّرُ أَهْلِ دَارِ

كَأَنَّ رَسُومَهَا وَرَقَ الْكِتَابِ

او يشبها بحبة الجمال، بسبب دقتها^٢:

(٦) مَحْتَهَا الرِّيحُ وَالْأَمْطَارُ حَتَّى

حَسِبْتَ رُسُومَهَا فِي الْأَرْضِ شَامَا

ويستلهم "جرير" دائماً صورته من اشياء محسوسة، ولكننا نجد احياناً صورة محسوسة بجانب حالة فكرية، وهي حالة نادرة. وهكذا ولكي يدلل على قيمة الحكمة يشبها بالجبال^٣:

أَحْلَامُنَا تَزِنُ الْجِبَالَ رِزَانَةً

.....

او، وهو يتحدث ايضاً عن نفسه، يقول بانه خالد كما الزمن^٤:

أَنَا الدَّهْرُ يُغْنِي الْمَوْتَ وَالدَّهْرُ خَالِدٌ

١ - الديوان، ص ٢٦.

٢ - الديوان، ص ٥٣٧.

٣ - الديوان، ص ٤٤٦.

٤ - الديوان، ص ٤٨٣.

فجئني بمثل الدهر شيئاً يطاوله

ويستخدم شاعرنا بالمثل الكنية نوعاً من الاستعراض، وفي إشارة تصل الى نوع من التورية. وهكذا يصف التمرد كما النار، في قوله للحجاج^١:

(٥) وأطفأت نيران العراق وقد علا

لهن دخان ساطع وحريق

ولكن مهارته تبدو افضل في استخدام الكناية في الهجاء، وعلى وجه الخصوص عندما يريد التحدث عن نساء اعدائه. وهنا يرمي "جرير" بشكوكه فيما يتعلق بتصرفاتهن وذلك في إشارة اسوأ من التعبير الصريح عن حقيقة ذلك الرياء الذي تغلفه الرصانة، مما يثير الفضول والارتياح.

ولنحاول ان نرى كيف يرمي بتعريضه لهن في ذلك البيت^٢:

(٣) اذا قامت لغير صلاة وتر

بعيد النوم أنبحت الكلابا

او عندما يتحدث عن تلك التي تسحب قطيعها في وقت متأخر من الليل^٣:

سقط الجليد وهبت الصرار

١ - الديوان، ص ٣٩٩.

٢ - الديوان، ص ٧٢.

٣ - الديوان، ص ٢٠٩.

او، وهو يتحدث اخيرا عن تلك النسوة اللواتي يتخذن السحر مهنة، لتكون غطاء وحجة يسمح لهن بالتنزه ليلا في الحقول^١:

وخليتُم يامُستنيرُ فتاتكمُ

تميمةً حتى أركضت أم رابع

وصورة اخرى من البلاغة العربية وهي الطباق، ونادرا ما يستخدمه شاعرنا. وفيما يلي بعض الامثلة^٢:

تَندى أَكْفُهُمُ بخير فاضل

قدماً إذا يَبَسَتْ أَكْفُ الخَيْبِ

او ايضا^٣:

وان التيم قد خَبثوا وفَلّوا

فما طابوا ولاكثَرُ العَديدُ

اما فيما يتعلق ببعض الزخارف اللفظية كما الجناس، فيمكننا ان نقول بانه لم يكن لدى "جرير" ميل خاص لاستخدام مُحسنات الشكل تلك، وسنجد بالتأكيد بعض الامثلة في نتاجه، ولكنها نادرة ولايمكن ان نلاحظها.. فلنذكر تلك الامثلة^٤:

مَعْقُولاً عَقَالَ.... محبوساً حابسُ

١ - الديوان، ص ٣٦٦.

٢ - الديوان، ص ٢٠.

٣ - الديوان، ص ١٦٦.

٤ - الديوان، ص ٣٢٦.

او ايضاً

(٨) موقاةً مُلقاةً

او كذلك ايضاً^١:

(١١) تعلقة تعية

ان المحسنات الشكلية تلك هي تلاعب بالكلمات لم تسمح
المواضيع الجديدة الرصينة التي تناولها شعر القرن الاول الهجري، لم
تسمح لها بان تكون صفة للاسلوب.

ومع ذلك نجح شاعرنا في استخدام تلك الادوات الاسلوبية:
اللغة - الصورة - والاسلوب، ليقدم الافكار التي اراد التعبير عنها. انه
اسلوب هاديء موزون وموسيقي اذا ما تحدث عن الحبيبة؛ وهو رصين
قوى الجرّس عندما يريد ان يرسل صواعق الهجاء. وفي مدائحه يبدو
الشاعر مخلصاً لنفسه، فهو داعية دونما يقين ثابت، ولذلك فان شعر
المديح يظل مجرد شعر بلا حرارة.

العروض

ليست بحور الشعر التي استخدمها "جرير" بالعديدة. ولا
يتعدى عددها الستة بحور فقط؛ هذا اذا ما اهمانا ذكر " المنصرح"
الذي طبقه مرة واحدة في مقطع واحد^٢. و"جرير"، كما كان الحال مع
معاصريه من الشعراء^٣ قد اهتم بتلك البحور التي تحوي وحدات

١ - الديوان، ص ٤٣٧.

٢ - الديوان، ص ٨٢.

٣ - " فاديه Vader"، بحور الشعر العربي، " ارابيكا Arabica"، الجزء

الثاني، ص ٣١٣، ص ٣٢١.

لقواعد اطول البحور، بل انه يفضلها. وهكذا نجد غلبة بحر " الطويل" في ديوانه حيث توجد خمس وخمسون قصيدة من ذلك البحر وثلاثة وستين مقطعاً ايضاً. ويأتي "الوافر" في الدرجة الثانية حيث نظم به اثنتين وستين قصيدة واربعين مقطعاً. ثم يأتي "الكامل" حيث نظم به ثماني وثلاثين قصيدة وخمسة وعشرين مقطعاً؛ في حين تصل القصائد التي نظمها بحر "البسيط" الى ست وعشرين قصيدة وسبعة وعشرين مقطعاً. ومن ثم "الرجز" في ست قصائد وتسعة عشر مقطعاً؛ واخيراً "المديد" في ثلاث قصائد وثلاثة مقاطع.

ووفقاً لذلك الاحصاء نرى ذلك المكان المتواضع الذي خصصه "جرير" في ديوانه للبحرين الاخيرين "الرجز" و "المديد". ولم يكن لهذين البحرين مكاناً بارزاً في النتاج الشعري للقرن الاول للهجرة. ومع ذلك، لم يكن "جرير" يميل كثيراً الى "الرجز"

وتستجيب البحور التي استخدمها "جرير" في شعره لمتطلبات المواضيع المطروقة في نتاجه. ولأن معظم مائمه من قصائد كان تقريباً فقط في الهجاء والمديح؛ فكان من الطبيعي اذن ان يلجأ لاستخدام تلك البحور ذات الامكانية المحسوسة والقوية والقادرة على منح ابيات قصائد المديح والهجاء ذلك الشكل والاتجاه المتماسك والبلغ في ذات الوقت.

وهكذا فان اطول قصائده التي اتصفت بالحزم قد نظمت في بحر "الطويل"، حيث بلغت القصيدة مائة واثنى عشر بيتاً؛ وبلغت في "الوافر" مائة وخمسة عشر بيتاً؛ وفي "الكامل" خمسة وتسعين بيتاً. ونلاحظ في نفس الوقت ان تلك القصائد قد نظمها في قافية "الباء" او في قافية "الراء".

١ - الغاني، الجزء الثالث، الفصل الثامن، ص ٤٣، قصيدة "جرير" في "الرجز" التي جمعها الطرايشي، ص ١٦٦-١٩٦.

وقد كان شاعرنا يعي تماما كما يبدو، جمال وافضلية ورفعة قصائده بتلك القوافي. فقد وصف بـ "الجَوْزُغ" رأيته التي نظمها بعد وفاة زوجته؛ كما مُعبرا عن قصيدة الهجاء التي نظمها ضد "الراعي النميري" بالدامغة وواصفا قافيته البائية بالمنتصرة^٢.

وعلى أي حال، يُفضل "جرير" القافية ذات "الجرس" ودونما جفاف او شدة. وهكذا نجد في ديوانه ثمان وثلاثين قصيدة بقافية الراء، وتسع وعشرين بـ "قافية الميم"، وأربع وعشرين بقافية "اللام"، وأثنى عشر بقافية "الذال"، وتسع عشر بقافية "الباء"، وأربع عشرة بقافية "النون"، وأربع عشرة بقافية "العين"، وعشر بقافية "القاف"، وأربع بقافية "السين"، واثنان بقافية "الالف" وواحدة بقافية "الكاف"، وواحدة بقافية "الهمزة"، وواحدة بقافية "التاء"، ومقطعان بالقوافي التالية: "الصاد"، "الطاء"، "الحاء". في حين أننا لانجد القوافي التالية: (الظاء)، (الذال)، (الزاي)، (الشين)، (الظاء)، (الغين).

ويبدو أن "جرير" لم يجد في تلك القوافي الأخيرة ذلك التناسق والجرس الموسيقي اللازمين لاشعاره. ومن جهة أخرى، فإن شاعرنا قد اقتترف بعض الأخطاء التي لا تسمح بها البحور العربية، فمثلاً: التصريف المخالف في بحر بيت ما بالنسبة لأبيات باقي القصيدة^٣. كما و يُخبرنا المرزباني مع ذلك، بأن أخطاء كتلك كان يقتربها شعراء الصحراء الذين يتخذون "جريرا" مثالا لهم^٤.

١ - ابن قتيبة، ص ٣٠٨.

٢ - البغدادي، الجزء الأول، ص ٧٦.

٣ - الديوان، ص ٥٧٧ (مقطع هجائي موجه الى فضالة) حيث ان القافية كانت

"ني" وقافية البيت الثالث "نا"

٤ - المرزباني، معجم الشعراء، ص ٢٢.

وكما نرى ايضا، لم يخضع "جرير" للقاعدة التي يفرضها بحر الشعر والتي تتطلب عدم تكرار الغاية النهائية التي استخدمت قبل البيت السابع الذي يلي؛ كما ونلاحظ بان "جريرا" لم ينتظر البيت الثاني لكي يقترب ذلك التشويه الذي تحدثنا عنه توأ. وقد اقترب ذلك في عدة مناسبات.

وتدفعنا تلك الامثلة للافتراض بان الشعراء البدو كانوا يتمتعون بالحرية امام القواعد التي فرضتها مدارس العراق الشعرية عليهم؛ مظهرين بذلك اصالة ميولهم وتذوقهم.

ولكن ملاحظات كتلك، لاتؤثر ابدا على تلك المميزات الاساسية التي تميز شعر "جرير" أي صفاء الافكار ووضوحها، وتلك العبقريّة في النظم وبساطة الاسلوب السائدة.

١ - الديوان، ص ٨٤٠ البيت السادس والآخر)، ص ٨٦ (الخامس والاول من ص ٨٧
(، ص ١٣٤ (البيت السابع والآخر).

تقسيم البحور حسب النوع:

النوع	عدد القصائد	العدد الاجمالي	البحر
الهجاء	٨٧	١١٨	الطويل
المديح	٢٣		
الرثاء	٨		
الهجاء	٥٦	٨٢	الوافر
المديح	٢٤		
الرثاء	٢		
الهجاء	٤٢	٦٣	الكامل
المديح	١٤		
الرثاء	٧		
الهجاء	٣٢	٥٣	البسيط
المديح	١٧		
الرثاء	٩		
الهجاء	١٦	٢٥	الرجز
المديح	٥		
متنوعة	٤		
الهجاء		٦	المديد

الفصل الرابع

جرب في النقد القديم والحديث

الفصل الرابع

" جرير " في النقد القديم والحديث

آراء معاصريه - آراء من جاء بعدهم - "جرير" في اعمال
جامعي ودارسي الشعر - النقد والدراسات الحديثة حول "جرير".

لقد عرف شعر "جرير" في الوسط القبلي، كما في الوسط
السياسي والادبي في عصره انتشارا يمكننا ان نتعرف عليه عندما نذكر
مختلف العوامل التي خلقتها تلك الاوساط نفسها لكي تنعش وتثير
موهبة ذلك الشاعر الكبير. ومنذ ان عُرف، لم يتوقف اسمه عن احتلال
الصدارة في الوقت الذي يريد فيه أي كان دراسة الحياة الادبية
العربية. واذا ما كان قدره ان يولد في عصر كانت فيه الحياة في جميع
مظاهرها من انشط مراحل المجتمع العربي؛ فقد اراد قدره ذاك ان
يقترن اسمه بشاعرين كبيرين لا يقلان عنه مكانة او قدرة: "الاخطل" و
" الفرزدق". وهكذا نرى ان اسماء ذلك الثلاثي من شعراء بني امية
لاتنفصل. فاذا ما ذكر اسم احدهم، سرعان ما تذكر اسماء الشاعرين
الآخرين

وعلى أي حال، يبدو ان الآراء التي قيلت عن اعمالهم خلال
القرنين الاولين للهجرة، قد تأثرت بالحماس الذي خلخته صراعاتهم
المتبادلة. ويقول " يونس ابن حبيب " عالم قواعد اللغة المعروف "
انني لم اجد أي اتفاق في أي اجتماع حضرته ودار فيه الحديث عن
"الفرزدق" و"جرير"؛ علما بان " ابن حبيب" من انصار الفرزدق مع
ذلك.

ولم يكن سبب اختلاف الآراء حول قيمة كل من "جرير" و "الفرزدق" و "الاخطل"، لم يكن مجرد التذوق الادبي. وقد راينا سابقاً كيف ان المشاعر القبلية والسياسية قد فرضت تلك الاحكام التي اوردها اولئك الشعراء الذين نصبوا حكماً على قيمة شعر "جرير" واعدائه.

لقد اردنا الآن ان نواجه بعض الآراء التي عبر عنها النقاد المعاصرين لـ "جرير"، ونحن نحاول ان نجعل منها توليفة توضح لنا المكانة التي يضعون فيها شاعرنا.

وجواباً على سؤال وجهه "الحجاج" الى قائده "قتيبة ابن مسلم" المعروف بعلمه كما اورده ياقوت، قال بانه يفضل "الفرزدق" في شعره الملحمي، و "جريرا" في هجائه، و "الاخطل" في شعر الوصف.^١

وقد اورد "عمرو ابن العلاء"، حكماً غامضاً حول "جرير" و "الفرزدق"؛ حيث يقول بان الاثنين قادران على تقديم نتائج جيد جدا في الوقت الذي يقدمان فيه كذلك نتائجاً سيئاً.^٢

في حين اعرب الشاعر "بشار" في مرات عديدة عن اعجابه الكبير بشاعرنا وتقديره العظيم له. وقد اظهر ذلك الاعجاب في البداية برغبته في مهاجمة "جرير" رغبة منه وحسب رأيه ان يأتي رد "جرير" ليكون شاهداً على التعريف به، وبمن هو: "جرير". وفي سؤال لـ "ابن سلام"، اعرب عن رأيه عندما لم يتردد في تفضيليه "جريرا" على "الاخطل" ومضيفاً الى ان قبائل ربيعة قد بالغت في

١ - ياقوت الحموي، "ارشاد الارب الى معرفة الاديب"، الجزء الاول، ص ٣٠.

٢ - العمدة، الجزء الاول، ص ٧٩.

٣ - ابن قتيبة، ص ٢٨٤.

٤ - ابن قتيبة، ص ١٢٩.

تقييم "الاخطل" اعراباً عن تضامنهم القبلي، ولم يتردد كذلك في تفضيل الشاعر "جرير" على "الفرزدق" الذي لا يظهر بنفس التنوع الذي يظهر فيه نتاج "جرير"؛ وذلك باستناده على الحجج التي يوردها بخصوص شعر الرثاء لدى "جرير"^١. وبعد ان فقد بشار احد ابنائه، لم يجد شاعر البصرة الكبير العاطفي ان الدواء الكافي للتخفيف عن حزنه، ان يقرأ قصيدة الرثاء التي كان "جرير" قد نظمها في مثل ذلك الموقف^٢

يتمتع ما قاله "بشار" حول تضامن ربعة بأهمية خاصة في ذلك المعنى الذي تدلل لنا فيه كيف ان ذلك الشعور يتداخل حتماً في تقييم الشعراء. هذا ويعطينا اصله الفارسي الضمانة الكافية بان ذلك الرأي لصالح "جرير" لم يأت بناءً على موقف مُتَّخَذ سلفاً، وانما هو رأي يقرر بانه شاعر قد احتل مكانته المرموقة في الشعر العربي.

وبعد ان تعرفنا على اراء معاصري "جرير" لنستعرض الآن تلك الآراء التي عبر عنها من جاء بعد "جرير" من العلماء.

يورد "ابو عبيدة" ان اعجاب من تناقل الشعر كان يذهب الى "الفرزدق"، في حين ان الشعراء يفضلون "جريرا" وبأنه ينضم اليهم^٣. ويورد من جهة اخرى بان من يفضل "جرير" كان بسبب تنوع مواضيعه التي تناولها، وبسبب بساطة مفرداته، وعفويته ورقة وعذوبة نسيبه^٤.

ويفضل الاصمعي "جرير" ان يرى فيه شاعرا فحلا قد نظم ثلاثمائة قصيدة من غير ان نجد فيها أي انتحال فيما عدا مقطع

١ - الاغاني، الجزء الثالث، الفصل الثامن، ص ١٠.

٢ - الاغاني، نفس المصدر، الجزء الثالث، الفصل الثالث، ص ٢٢٠.

٣ - نقائض "جرير" و "الفرزدق"، ص ١٠٤٩-١٠٥٠.

٤ - الاغاني، الجزء الثالث، الفصل الثامن، ص ٥.

صغيراً^١. ويتأتى اعجاب الاصمعي كذلك من حقيقة ان ثلاثة واربعين شاعراً قد انقضوا على "جرير" ولكنه استطاع ان ينتصر عليهم الواحد تلو الآخر^٢.

ويرى ابن منذر، وهو شاعر ولغوي^٣، يرى في "جرير" افضل شعراء العصر الاسلامي، حيث ركز قيمته في قدرته على التعبير بمهارة تليق بالموضوع الذي يتناوله، خفيفاً كان ام جاداً، وحسبما يريد هو^٤.

ويورد "ابن سلام"، ودون ان يدلي برأيه الشخصي، بان شعراء الصحراء وسكانها يفضلون "جريراً" على الاكثر^٥. ويجب هنا ان نضيف ما أورده "ابن سلام" حول اعجاب الناس بشاعرنا الى ما أورده "ابي عبيدة".

وركز الجاحظ بدوره على النسيب الذي نظمه "جرير"، وحيث رأى انه افضل ما قيل في هذا النوع^٦.

ويرى غمارة، حفيد ابن لـ "جرير" بان جزءاً من شعر جده الاكبر لا يتمتع باهمية كبيرة، ولكنه يقر بانه لا يوجد من يطاوله في شعره^٧.

١ - الاصمعي، ص ١٣، ص ٣٨.

٢ - الاغاني، الجزء الثالث، الفصل الثامن، ص ٨.

٣ - شاعر من البصرة، في القرن الثاني الهجري. حوله، انظر الاغاني، الجزء الثاني، الفصل السابع.

٤ - الاغاني، الجزء الثالث، الفصل الرابع، ص ٥٧.

٥ - ابن سلام، ص ٣١٦.

٦ - الجاحظ، البيان والتبيين، الجزء الاول، ص ٢٠٩.

٧ - المرزباني، معجم الشعراء، ص ١١٩.

ويرى " ابن قتيبة " بدوره في " جرير " واحدا من افضل شعراء النسيب والهجاء^١. واخيرا، يتحدث " ابو الفرج " بدوره عن عفوية وسلاسة شعر " جرير " واسلوبه السهل وصبغته العاطفية^٢.

ونستنتج من كل ذلك النقد، ان استحقاق " جرير " يتركز في النسيب حيث الرقة والعذوبة قد انتزعت الاجماع على افضليته، وبالمثل كذلك في هجائه الذي يرى فيه من مدحه ان ذلك قد جعل منه افضل الهجائيين. وقد تمسك النقد بشكل عام بالتأكيد على سهولة وانسيابية اسلوبه.

و " جرير " كما شاعر بدوي، احبه سكان الصحراء الذين كانوا يفهمون انه لا يوجد افضل من طريقته في التعبير وفي ترجمة عواطفه. وقد نشأ شاعرا مؤهلا، قدره الوسط الشعري تقديرا عالياً، فقد كان يهتم اكثر ما يهتم بالهجاء في نتاجه.

والآن، وبعد ان استعرضنا الآراء الموالية لـ " جرير "، سنحاول ادراج بعض الآراء التي جاءت في غير صالحه.

ويجد " مسمع ابن عبد الملك "، العالم البصري، متعة في شعر " الفرزدق " المعقد، حتى لو تعلق الامر بابيات خالية من المعنى. فهو يقول انه يجد في ذلك ما يساعد على اعمال الفكر، في حين ان " جريرا " لا يقدم له مثل تلك المتعة^٣. في حين يفضل " عمر ابن صبة " " الاخطل " على عدويه بسبب عفة وطهارة اسلوبه^٤.

١ - ابن قتيبة، ص ٢٨٥.

٢ - الاغانى، الجزء الثاني، الفصل التاسع، ص ٤٨.

٣ - المرزبانى، معجم الشعراء، ص ١١٨.

٤ - ولد في البصرة (١٧٣/٧٨٩م) وتوفى في سامراء حوالي (٢٨٢/٨٧٥م). انظر حوله " بلاشير Blachere ".

٥ - الاغانى، الجزء الثالث، الفصل الثامن، ص ٣٠٠.

وكان ذلك اول معيار اخلاقي نواجهه في مجرى النقد الموجه للشعراء الثلاثة. كما وان معيار كهذا، يمكن ان ينسب الى ذلك التغير في الاخلاقيات العامة مع مسيرة الزمن، علماً بان " عمر ابن صُبة " قد عاش في القرن الثالث الهجري.

واخيراً، نلتقي بشخص آخر من ذلك القرن، يقف بدوره ضد " جرير "؛ انه " البُحتري ". فهو يفضل عليه " الفرزدق " الذي يقول عنه " بانه يُغير المواضيع ويطورها من جديد في كل قصيدة، في حين لاثير " جرير " في هجائه لـ " الفرزدق " سوى قضية " الزبير "، و " جعثن " و " الموالي "، معاتباً اياه كونه دائماً حداد " المجاشعي ".

ونرى ان ذلك الرأي الذي اورده " البحتري " حول " جرير "، قد انصب على جزء فقط من نتاجه الشعري؛ كما لو ان " جريراً " لم ينشد هجاءً سوى في " الفرزدق "، وكما لو انه لم يتناول او يطور سوى تلك المواضيع التي ذكرها البحتري تأييداً لمقولته عن " جرير ". واذا ما كان شاعرنا قد ركز كثيراً على تلك المواضيع فلان مصادر مواضيع الهجاء في ذلك العصر كانت : التقاليد، الشرف، والاعمال اليدوية التي يحتقرها البدو تماماً.

واهمية شاعرنا لاتعبر منها فقط المناقشات التي تثار في الاوساط الادبية في عصره، او في القرن الذي يليه؛ وانما تلك المكانة المفضلة التي يحفظها له جامعو الشعر القدامى في اعمالهم؛ والتي تؤكد لنا زيادة على ذلك احقيته وقيمة شخصية الاسرة.

واهمية شاعرنا لا تعبر عنها فقط المناقشات التي تثار حوله في الاوساط الادبية في عصره، او في القرن الذي يليه، وانما تلك المكانة

المفضلة التي يحفظها له جامعو الشعر ودارسوه القدامى في اعمالهم،
تؤكد لنا زيادة على ذلك احقية قيمة شخصيته المهيبة.

وقد خصص له " ابن سلام" الذي توفي عام (٢٣٢هـ/٨٤٦م)
جزءاً من عمله، واضعاً اياه على رأس اول فئة من شعراء العصر
الاسلامي ويذكر له بعض الامثلة من ابياته^١.

و "ابن قتيبة" (الذي توفي عام ٢٧٦هـ/٨٨٩م) يقدم له اكثر
من ذلك، فهو يكيل المديح لاشعاره الهجائية ولشعر المديح لديه^٢. و
"المبرد" (الذي توفي عام ٢٨٥هـ/٨٩٩م) يذكر بعض قصائد النسيب
لدى "جرير" على وجه الخصوص، وبعض الابيات مثالا للمقارنة^٣. و
"ابو الفرج" كذلك، والذي توفي عام (٣٥٦هـ/٩٦٧م) يحتفظ له بمكانة
كبيرة، مع تقديمه للعديد من اشعار "جرير"^٤.

والعسكري، الذي توفي بعد (٣٩٥هـ/١٠٠٤م) يذكر "جريرا" في
اعماله: الصناعتين^٥، وديوان المعاني^٦، في عدة اماكن وهو يذكر له
بعض الابيات كمثال على رأيه.

و " ابن رشيق " (الذي توفي في ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) في العمد
قام بنفس الشيء^٧. لقد ارتأينا، ونحن نقدم هذه القائمة من الاعمال

١ - ابن سلام، ص ٢٤٩، ٣١٥-٣٨٦.

٢ - " ابن قتيبة "، ص ٢٨٣.

٣ - الكامل، ص ٣٩١، ص ٣٩٢.

٤ - الاغاني، الجزء الثالث، الفصل الثامن، ص ٩٩-٢.

٥ - الصفحات، ٣١٠، ٣٠٥، ٢٤٩، ٣٦، ٢٣.

٦ - الصفحات، الجزء الاول، ص ٢٣٨، ٢٣٥، ٢٠٦، ١٨١، ٧٩، ٣١، الجزء الثاني، ص

١٠٧، ١٨١، ١٥٧.

٧ - الجزء الاول، الصفحات، ٣٦-٣٧، ١٨٣، ١٨٠، والجزء الثاني، ص ١٦٢، ص

١٦٥، ص ١٧٢.

التي تضع "جريرا" في مقدمة الصفوف، إلا نذكر سوى أهمها في "جرير" حاضر ابدا في معظم الدراسات العربية حول حياة الشعراء. وليس هنا مجال تكرار ذكر اعمالهم حيث ظهرت أهمها في دراستنا هذه.

الدراسات الحديثة والنقد الحديث حول "جرير"

أ- في العالم العربي

في عصرنا، كما في العصر الوسيط، يبرز اسم "جرير" في كل مرة يتعلق الامر فيها بدراسة الادب العربي.

ومع ذلك، فرغم الدور الهام الذي لعبه شاعرنا والمكانة التي لايمكن مناقشتها في الشعر العربي، فقد تحددت الدراسات التي تخصه في شكل آراء عامة، سطحية، او على شكل ملاحظات في كتب موجز تواريخ الادب، وبعض المقالات المختصرة.

وعلى أي حال، فقد حاول بعض المؤلفين في السنوات الاخيرة، ان يقدموا لنا دراسات حول الشاعر احيانا، و احيانا اخرى حول بعض مظاهر شعره ومن يحاولون ان يقدموا دراساتهم في صفة شمولية واكثر جدية، بل واكثر موضوعية وتفصيلية من تلك الدراسات السابقة التي نجدها حول "جرير" في موجز تاريخ الادب العربي.

ولسوف نشير الى تلك الثغرات التي تحويها تلك الدراسات والتي تتقدم على الدراسات الاخرى ذات الصفة الشمولية.

من بين تلك الدراسات يمكن ان نتحدث اولا عن دراسة "البستاني" التي انجزها حول "جرير" في كتاب "ادباء العرب".

١ - بيروت، الطبعة السادسة للبستاني، ١٩٥٣ ص ٤٣٧-٥٩؛ وكان البستاني قد

توفي في بيروت عام ١٨٨٣.

ويتتبع البستاني حياة الشاعر مقدما لنا صورة اخلاقية، ثم يستعرض علاقاته مع الامويين ونزاعاته مع اعدائه (ص ٤٣٧-٤٤٨)؛ ومن ثم يتحدث عن نتاجه وعن خصائص شعره (ص ٤٤٨-٤٥٩) لكي يختتم دراسته اخيرا بقوله " انه شاعر يتبادل الهجاء مع اكثر من اربعين عدوا منتصرا عليهم الواحد بعد الآخر، دون ان يتراجع امام اعداء يتمتعون بنفس الاهمية؛ هما "الاخطل" و"الفرزدق"، اللذان اتحدا ضده. ان ذلك الشاعر يتمتع بالموهبة الاكثر خصباً من الجميع والاقدر على خلق المواضيع وتغييرها، كما انه الشاعر الاقل تصنعاً. فاذا لم يكن قد تساوى مع "الاخطل" في قصيدة المديح والوصف، او مع "الفرزدق" في شعره الملحمي، فقد تقدم عليهما في الهجاء والغزل والرثاء، انه ودون منازع، ارفع منهم جميعا في جميع الانواع الشعرية التي تناولها". ص ٤٥٩.

ولكونه قد نظم في جميع الانواع الادبية، هي حقيقة تمنح له افضلية معينة عليهم جميعا دونما جدال.

فاذا ما كان البستاني قد نجح في تقديم ما يجب ان نعرفه بشكل عام عن حياة ونتاج "جرير"، فما زالت هناك مع ذلك بعض النواقص في دراسته، وهكذا، لم تقدم تلك الدراسة توضيحا تاما لفترة شبابه؛ كما انه قد حدد علاقاته الرسمية يتلك التي ربطته بـ "عبد الملك" الى جانب انه كان يثق جدا بالروايات المتناقلة والتي تعمم آراءه من جهة اخرى. وبالنسبة لـ "البستاني"، فان اعداء "جرير" لم يهاجموه الا من اجل الشهرة. واخيرا، تحدث باعتقاد راسخ عن تلك الصفات المعنوية والدينية للشاعر.

واذا ما كان هناك بعض الاعداء الذين يعملون على اشارة "جرير" بهدف الحصول على بعض الشهرة، يمكننا ان نؤكد على ان

الامر لم يكن كذلك ابدا على أي حال. لقد كانت الاسباب السياسية والقبلية في اساس نزاعه مع معظم اعدائه. وبالمثل، لم تكن تقوى الرجل كما رأينا الا مظهراً مصطنعاً.

ويقدم "زيدان"، في تاريخ آداب اللغة العربية، نبذة مختصرة عن حياة الشاعر مُخصّصاً حيزاً كبيراً لعلاقاته مع اعدائه، في الوقت الذي لم يقدم فيه أي تعليق على شعره. وفي بضعة الاسطر التي خصصها لعلاقاته مع الامويين، يتحدث "زيدان" على وجه الخصوص عن العلاقات التي تربطه بـ "يزيد ابن معاوية"، عندما كان اميراً. ودون ان يذكر الكاتب مصادره، يدعي انه بعد تقديم الشاعر للامير، لم ينقطع "جرير" عن تكرار الزيارة. (ص ٢٥٨).

ولم نجد في أي مكان ما يشير الى ان الشاعر كانت له علاقات مع "يزي"، عندما كان اميراً؛ ولكن المعلومات التي لدينا تقرر بان "جريرا" لم يقم إلا بزيارة واحدة فقط الى "يزيد" الخليفة.

وبنفس المعنى كانت تلك النبذة التي قدمها "الزيات" في كتابه "تاريخ الادب العربي"^١. ويؤكد الزيات على ان "جريرا" (عندما قَدِمَ الى البصرة بحثاً عن العطايا من قبل كبار المسؤولين، قد رأى بان "الفرزدق" قد حاز القبول والعطايا بسبب شعره. وقد احس بالحسد، وقرر ان يقيم في تلك المدينة عدوا لـ "الفرزدق"). (ص ١٤٤). ويرى الكاتب كذلك ان سبب المعركة التي اعلنها اعداء "جرير" ضده، كانت بسبب الغيرة من المكانة التي احتلها شاعرنا في قصر الخلافة. (ص ١٤٤).

١ - القاهرة، السنوات (١٩١١-١٩١٣)، الجزء الاول، الصفحات (٢٥٨-٢٦٢). (جرجي

زيدان- تاريخ آداب اللغة العربية).

٢ - القاهرة، ١٩٣٠/٥١٣٤٩م (ص ١٤٣-١٤٧).

وفي معرض تعليقه على شعره، يقرر عذوبة اسلوبه، جمال غزله، وحدة هجائه ونجاحه في رثائه كما في جميع الانواع الشعرية التي تناولها (ص ١٤٥).

واذا ما كان الزيات يؤكد في ثقة كبيرة على مميزات شعر "جرير" وخصائصه، فانه لم يكن دقيقا تماما على أي حال، عندما أقرّ بانه قد قصد البصرة ليجامل الكبار، او انه اقام فيها حسدا وغيره من "الفرزدق": ففي اللحظة التي اندلع فيها ذلك النزاع، لم يكن "جرير" على علاقة طيبة مع السلطات، ومع جمع غفير من الاعداء الذين قاموا ضده وذلك حتى قبل ان يلتحق بالحاشية وحيث لم يحصل مع ذلك على تلك الحظوة والمكانة التي كان يريجوها.

ويقدم البستاني في ملزمتين من روائعه، صورة عن حياة ونتاج "جرير". وتعتبر دراسته افضل تعميم تاريخي-ادبي ظهر في العالم العربي حول الشاعر. وبعد عرض مختصر للوسط، للشخصية، وللصفات والمميزات الخاصة لتلك الشخصية؛ يحاول البستاني ان يكون رأيه حول شعر "جرير" وعدوّه الكبيرين: "الاخطل"، و "الفرزدق". ونراه وهو يعترف بافضلية شاعرنا في الهجاء، فهو ينسب الفضل في ذلك " الى قوة الملاحظة الشديدة لاططاء الناس، ثم القدرة في اعادة ابراز تلك الاخطاء مع خيال واسع، وبلا تأنيب للضمير، ويكتب في حماسة فورة يساعده في ذلك لغة ساسة ونفس طويل، ولكل ذلك، فهو يعتبر أفضل هجاء عرفه العصر الاموي". (ص ٥٨٧-٥٨٨).

ويرى البستاني، وهو على حق في ذلك، ان "جريرا" قد تغنى بمدح الامويين مجبرا على ذلك (ص ٥٨٥)، ولذلك، فهو لا يمكنه هنا ان

١ - بيروت، ١٩٤٢- الملزمة ٣٩: المدائح، الغزل، اللثناء.
الملزمة ٤٠: الهجاء، والملاحم (الحماسة).

يصل بذلك الى مرتبة "الاخلط"، داعية الامويين، ونصيرهم السياسي المؤمن بهم (ص ٥٨٥).

وفي المقابل، يضعه المؤلف في المقام الاول في الرثاء. وفي النهاية، فـ "جرير" هو شاعر الغزل الذي لايجارى باسلوبه الجزل السلس وتعابيره العذبة والمثيرة، كما يراه.

وفي المقابل، يضعه المؤلف في المقام الاول في ميدان الرثاء. وفي النهاية، فـ "جرير" بالنسبة له، شاعر الغزل الذي لايجارى بسبب اسلوبه الجزل السلس، وتعابيره العذبة والمثيرة. (ص ٥٩١).

ويخص "البصير" مقالة عن شاعرنا ونتاجه بعنوان: "عصر القرآن"؛ حيث يستعرض حياته معلقا على شعره. واذا اراد الكتاب الحديثون ان يؤكدوا على الصفات الاخلاقية، وطهر وتقى "جرير"، فان "البصير" يرى في تلك الصفات نوعا من التحايل والمكر لكي تكون له الافضلية على "الفرزدق"، المعروف بسلوكه السيء، (ص ١٦٧). وعند التحدث عن شعره، ومن غير ان يعترض على عذوبة نسيبه، فهو يلومه على عدم اصالته (ص ١٦٩) وعلى المظهر التقليدي لشعره والذي لاينسبه "البصير" لخصوصية الانواع التي يتناولها، وانما للحقيقة التي تقول ان "جريرا" لم يعرف الحب. ومع ذلك، يعترف البصير لـ "جرير" باحساسه المرهف جدا وبحساسيته المفرطة وعقليته المتفتحة وهي صفات قد ساعدت على ان يكون لشعر النسيب لدى "جرير" تلك الرقة وتلك العاطفة الجياشة التي ينضح بها لدرجة نظن فيها ان حبا عميقا قد الهمه ذلك النسيب (ص ١٦٩). وذلك بالنسبة لنا، صفة مميزة لشخصية "جرير"، وهو الشاعر الذي استطاع ان يجعل لنسيبه التقليدي في شكله، ذلك الطابع الرقيق الذي لايمكن لحب حقيقي حتى ان يلهمه.

ولا يخفى "البصير" اعجابه بشعر "جرير" في الرثاء، أو اعجابه الأكبر بالهجاء الذي منحه شهرة كبيرة وجعل منه الشاعر الأكثر خطورة في عصره (ص ١٧٣). وأخيراً، يقر المؤلف أخيراً بأن الشاعر في مدائحه قد نجح في أن يقدم لنا صورة عن حياة الكبار وعن قوتهم. كما أنه يرى كذلك " أن رغبته في الحصول على العطايا هي التي املت عليه اشعار المديح، فلا مجال للبحث عن أي اخلاص لديه "، (ص ١٧٦). وهو يؤكد هنا وبشكل مباشر على هشاشة قصائد المديح لديه.

وفي كتابه " الهجاء والهجاؤون "، يخصص محمد حسين مقالة عن شاعرنا، مؤكداً على شعر الهجاء لديه؛ وكما يدل على ذلك عنوان المقال. وهو يقدم صورة لحياته على ضوء الاحداث السياسية والقبليّة في صلة بالموقف الذي اتخذته قبيلته في ذلك العصر. واذ يذكر المؤلف انه لم يتحدث عن الزبيريين في ديوانه، فهو يؤكد على ان "جريرا" زبيري ولكنه يقنع بتأييد قضيتهم بقلبه، (ص ١٤٨). بل اننا لانشهد اية اشارة تؤكد مقولة المؤلف تلك. ولانجد في ديوانه ولا في أي مكان آخر، أي اثر لاية مشاعر تجاه " ابن الزبير".

ويؤكد محمد حسين، وهو يعلق على القصيدة لديه، يؤكد على تلك " البساطة السائدة في نتاج "جرير"، فهي انعكاس لمزاجه الهاديء الذي لا يعرف التصنع والذي جعل منه واحداً من احسن شعراء الغزل والرثاء في عصره " (ص ١٥٧). ولكنه يضيف، " بان ملكة وموهبة "جرير" الشعرية تظهران بقوة ووضوح في شعر الهجاء. وقد ساعده خلقه الهاديء، كما ساعدته برودة اعصابه على ان يجابه في سيطرة وثقة، اربعة وعشرين شاعرا" (ص ١٥٩). واعترف بان كل

" تلك الصفات قد أمنت لشعره الانتشار والشعبية، وجعلت منه الأكثر مهارة الذي عرفه الادب العربي " ، فلم نعرف في ذلك الادب شاعرا غيره هُوجِمَ من قِبَل ذلك العدد الكبير من الاعداء، واستطاع ان يقاومهم ويتصدى لهم دونما كلل. ويبدو ان موهبته الشعرية لم تستطع ان تتفتح او تعطي ثمارها الا في الهجاء " ، (ص ١٦٨).

وفي سلسلة اخرى من المقالات، نشرها "مردم بك"، يقدم لنا عرضا تاريخيا-ادبيا حول "جرير" وتستحق تلك المقالات اهتماما خاصا، فهي تؤلف مع مكرمتي "البستاني" افضل النماذج التي ظهرت حتى الان عنه في الوسط الادبي العربي.

ومع ذلك فيجب ان نشير الى ان النزاع بين شاعرنا ورفيقه "الفرزدق"، لم يندلع في سنوات حكم "معاوية" الاخيرة، كما يذكر "مردم بك" (في المقالة رقم ١١، ص ١٧٩)، ولكنه بدأ، كما حاولنا ان ندلل على ذلك، بعد عشر سنوات من انقضاء ذلك العهد.

وهو ان يرى في شاعرنا اكبر هجاء في العصر الاموي، فهو يضيف على أي حال قائلا " بانه اذا ما خلت قصيدة الهجاء لدى "جرير" من ذلك التطرف في السباب، لاصبحت قراءتها متعة وسرورا بل وفائدة بسبب ذلك الاسلوب الرصين والفكر الثاقب وحدة الذهن والسخرية التي تحتويها، (انظر الجزء الرابع، ص ٩٣٣).

ونحن نجد هنا تحفظاً في النقد تجاه فُحش وقذاعة لغة "جرير"، ومع ذلك فهو لا يمحو تلك المميزات التي يؤكدُها ذلك النقد من جهة اخرى.

ويعترف "مردم بك" اخيرا، بان "جريرا" في شعر النسيب، واحدٌ من ارق شعراء العصر الاسلامي، (المقالة الرابعة، ص ٥٣٦)

والى جانب تلك المقالات، لدينا دراستان: الاولى قدمها "سلطان"، والاخرى لـ "الزهيري". وتنقسم دراسة "سلطان" الموسومة "جرير، حياته ودراسة اشعاره"، الى جزئين: الاول في (الصفحات ٧-١٢٣) حيث يستعرض حياة الشاعر في اسرته وفي وسطه، في علاقاته السياسية وفي عداواته، ثم يعرض آراء "جرير" السياسية والفنية، مقدماً في آخر الامر صورة اخلاقية للشاعر. وفي الجزء الثاني من دراسته (ص١٢٧-٢١٦) يدرس سلطان الانواع الشعرية التي تناولها "جرير" ومميزات شعره، ثم ينهي دراسته بذكر بعض العيوب واللوم الذي ذكره النقد القديم، ومضيفاً بعض المقاطع التي اختارها من نتاج "جرير".

ولندل هنا اول الامر، على تلك السطحية والذاتية التي اتسمت بها دراسة سلطان مما جعلها تبدو قصة اكثر منها تأريخ ادب. واما ما يؤكد من معطيات حياتية وتاريخية تصدم القاريء لغياب أي مرجع يستشهد به. وهو يورد كذلك بان "جريرا" قد شبّ في حجر (ص٢٥)، بعد عشر سنوات من بداية نزاعه مع "الفرزدق"، وبأنه قصد البصرة ليبقى فيها سبع سنوات (ص١٨)، وكلها معلومات تفتقر الى تأكيد الوثائق التي بحوزتنا.

ويدعي ان الحجاج قد قدم الشاعر الى "عبد الملك" ويذكر ان ذلك اللقاء الاول قد حدث عام (٧٠هـ / ٦٩٠م)، (ص٣٧)؛ في حين اننا نعرف جيداً ان "الحجاج" قد تسلم منصبه في العراق عام (٧٥هـ / ٦٩٤م)، أي بعد عشر سنوات من ذلك اللقاء الذي حدث.

وان يتعرض لشعره، يرى فيه شاعراً موهوباً وجد نفسه في وسط شعري دفعه لكتابة الشعر. (ص١٢٧). ويعترف سلطان بأفضلية

"جرير" في الهجاء، ويعتقد ان ذلك يعود الى سبابه الجارح، والى حقيقة ان الشاعر لا يتسنى اية خطيئة لدى الشخص المهجو، بل انه يختلق عند الحجة الاكاذيب، وذلك حتى يرى المهجو نفسه مُحاصراً من جميع الجهات، (ص ١٣٠).

ويتحدث سلطان كذلك عن اعجابه بالنسيب والرتاء. ويتحدث عن تلك المشاعر التي تنبعث من ابياته مؤكداً عن التعابير العذبة واللفظة السهلة وذلك الطرح العبقري لموضوعه، (ص ١٤١). ومع ذلك فهو لا ينسى ان يشير الى ان النسيب لديه تقليدي بسبب المكان الذي يحتله في القصيدة والموضوعات التي يتناولها.

ومع ذلك يرى المؤلف ان تلك التعابير ذات التأثير الديني والتي تحتويها قصائد المديح تأكيد يبرهن على المشاعر الدينية لدى "جرير"، (ص ١٥٣). وذلك منطقي جداً، ان ينسب ذلك كما نعتقد، الى اختلاط الآراء السياسية بالفكر الدينية فيما يتعلق بالخلافة، والتي كان "جرير" يستلهمها لكي يقوم بدوره كداعية لدى الحكام.

وفي عبارات عامة وغامضة، لا يتوقف المؤلف في دراسته عن اظهار اعجابه المتزايد للشاعر، بل محاولاً حتى ايجاد الذرائع لخطائه الشخصية والفنية. اذن، فذلك الكرم الذي يميز دراسة "سلطان" من جهة، وذاتيته من جهة اخرى لم يتركها مجالاً لكي تظهر حقيقة شخصية "جرير". ويقترح "الزهيري" في دراسته المعنونة: "نقائض جرير والفرزدق- دراسة ادبية تاريخية"، يقترح دراسة ذلك الجزء من شعر "جرير" المشابه لشعر "الفرزدق" والمعروف باسم "النقائض"، وان يتم ذلك وفق ترتيب زمني جديد للنصوص.

وفي البداية، يرى " الزهيري " في النقائض مرحلة جديدة في تطور الشعر ما قبل الاسلام، والخاضع لعوامل العصر الاسلامي، (ص ١٠). وهو هنا لا يقوم لال بمتابعة في اخلاص، فكرة اطلاقها "الشايب" حديثاً، وهو كاتب مصري، يعتبر النقائض نوعاً من الشعر حاول ان يجد اصوله في الشعر القديم، والذي وصل ذروة تطوره لدى شعراء " النقائض " في العصر الاموي ^١.

وتنقسم دراسة " الزهيري " الى جزئين: الاول يحدد المبادئ التي دفعته لترتيب النقائض خارج المجموعات الشعرية. وتتلخص تلك المبادئ في انه يعتبر كما " النقائض " كل قصيدة تم تبادلها بين المتنافسين وتتشابه في البحر والقافية؛ او حتى بدون ذلك التشابه، كل قصيدة تقدمها رواية ما على انها قصيدة قد تم تبادلها بين الشعارين (ص ٤٦).

وبالنسبة لترتيب النصوص، نرى ان المؤلف يثق بالروايات والى مختلف الاشارات الموجودة في القصيدة، (ص ٦٣). ثم يستعرض الظروف التي احاطت بنظم النصوص، مقدماً في النهاية القائمة التي يقترح ترتيبها.

وفي الجزء الثاني من دراسته، يدرس الوسط في البصرة في جميع مظاهره: السياسي، الاجتماعي، والثقافي حتى يوضح ذلك التأثير الذي مارسه ذلك الوسط على " جرير " و " الفرزدق ".

١ - الشايب، النقائض.

المؤلف هنا، لا يعجبه ان يرى في النقائض نوعاً شعرياً، يحاول ان يجد له اصولاً في الشعر القديم. ولكنه يعتبر كذلك من النقائض كل نوع من النزاع ولو كان من النثر، (ص ١٠). وبالنسبة للشايب، توجد النقائض حتى في القرآن وهو يعني تلك المحاورات التي تبادلها النبي (ص) مع معارضيه من اصحاب الديانات الاخرى، (ص ١٣٥).

وكما نعتقد، فليس صحيحا ان نرى في النقائض نوعا منفصلا عن ميدان الهجاء. ومع ذلك، لا يشرح "الزهيري"، او اولئك الذين يشاطرونه الرأي، لماذا لم يستطيع ذلك "النوع" الشعري الاستمرار كغيره من الانواع الادبية بعد وفاة شعرائه الكبار الامويين.

والنقائض كما اشرنا الى ذلك، جزء من الهجاء، والتشابه في البحر والقافية لتلك القصائد تمنحهم فقط صفة خاصة لاعلاقة لها بالشكل او الموضوع.

كما وان ذلك المنهج الذي اتبعه "الزهيري" لم يقدم سوى نتيجة بائسة. مثلا، لكي يذكر تاريخ قصيدة ما، يركز على حقيقة تاريخية يجدها فيها: اغتيال شخص ما، او معركة يحلو للشاعر ان يتفاخر بها امام عدوه. وهو ان يجد تاريخا لمثل تلك الاحداث، يختتم "الزهيري" رأيه ويقول ان القصيدة التي يذكرها قد نُظمت في نفس ذلك التاريخ، واثقا تماما من ذلك، (الصفحات ٧٠-١٠٠، ٨٢، ٧١). واذا لم تقدم له القصيدة معلومات كتلك، فانه ياجأ الى الروايات من غير ان يشغل نفسه كثيرا بالتأكد من صحتها، (الصفحات: ١٠٠، ٨١).

وليس من نافلة القول بان شاعر الهجاء لا يتوقف وفي مناسبات عدة عن ان يذكر في اشعاره ذلك الحدث المؤلم او ذاك والذي عاشه اعداؤه. ولكن ذلك الشعر يأتي بالطبع بعد وقوع هذا الحدث او ذاك.

و"الزهيري" من جانب آخر، وفي ذلك الجزء الادبي من دراسته؛ يجد في النقائض انعكاسا لجميع مفاهيم حياة العصر: الثأر، سلالة النسب، الاحلاف، الجيرة، الكرم، الشجاعة، الشرف والدين. وكلها بالنسبة له، لها تأثيرها الواضح في النقائض لان الشاعر يستقي منها مواضع.

وكما نعتقد، فالامر لا يتعلق هنا بالتأثير، وانما هي الموضوعات التي يتناولها دائماً وابدأ شعر الهجاء في القرن الاول الهجري كما في الشعر القديم.

وعندما يريد " الزهيري " ان يشير الى تأثير الوسط الثقافي على شعراء النقائض، فهو يؤكد على ذلك بتلك الحقيقة البسيطة التي تجد في امثلة الشعر التي يتخذها علماء قواعد اللغة مثالا لآرائهم؛ يؤكد على ان لهؤلاء العلماء نصيبهم في التأثير، وان الشعراء بدورهم يستجيبون لمتطلباتهم، (ص ٣٠٧)

ويضيف " الزهيري " كذلك بالقول، بان شعراء النقائض قد تأثروا بالنقد الادبي ذاكرة آراء في النقد، تعود للقرن الثاني الهجري لكي يدلل من جهة، على ان الوسط البصري كان يفضل الشعر المحافظ على الشكل القديم؛ ولكي يختتم دراسته من جهة اخرى قائلاً بان " جريرا " و " الفرزدق " لم يقلدا القدماء الا لرغبتهم في اشباع ذلك الميل لديهم، (ص ٣١٤). وهكذا، فان شعراء القرن الاول الهجري قد جاهدوا، كما يرى الكاتب، من اجل اشباع ذوق الوسط الادبي في القرن الثاني!

وجاءت نتيجة دراسة " الزهيري " خادعة، والنتائج التي توصل اليها كانت بدورها هشة هشاشة المنهج الذي اتبعه في دراسته.

وتظل جميع تلك الدراسات التي ذكرناها لتونا، فيما عدا دراسة " البستاني " و " مردم بك "، تظل بسيطة وسطحية. ويعتمد الجزء الذي يتحدث عن تواريخ الحياة على الروايات التي لا يتحققون من صحتها غالباً، والتي يتقبلونها في مجملها كما حقائق تاريخية لا يرقى اليها الشك. وذلك تأكيد وتعميم في الجانب النقدي يفتح الطريق دائماً تقريبا امام الاجتهادات الذاتية.

ب - " جرير " في دراسات الغرب

ورغم ان المبادرة لنشر ديوان "جرير" قد جاءت من الغرب، فشاعرنا كان مع ذلك، مجرد موضوع لمقالات وملاحظات يتقاسمها غالباً مع الاخطل والفرزدق.

يقول " كوسان دو برسفال " Caussin de Perceval " في ملاحظاته حول شعراء العرب الثلاثة : الاخطل والفرزدق وجرير، والمنشورة عام ١٨٣٤^١، يقول : " ان نتاجهم هو ما اقترح التعريف به وليس حياتهم " ^٢. ومع ذلك فقد قام بذلك في اختصار عندما قدم نبذة عن حياة شاعرنا، وعن علاقاته مع السلطات، ومع بعض من اعدائه. وهو يذكر على أي حال بانه " لم يوجد شاعر كان هدفاً للهجوم اكثر مما كان عليه "جرير". ويمكننا القول بان حياته كانت صراعاً متواصلاً^٣.

وخصص الاب " لامانس Lammens " في دراسته حول الاخطل (داعية الامويين)، عام ١٨٩٤^٤؛ يخصص الفصل السابع لعلاقات "جرير" مع الاخطل. ويتحدث عن الصراع الذي اندلع بينهما في عهد " بشر ابن مروان "، بايعاز لديه من قبل اهل الفرزدق طالبيين منه ان يقول رايأ في صالح شاعرهم، (ص ٨٥-٨٧).

وفي مكان آخر يتحدث عن لغة الهجائيين العرب ويختتم بقوله " بان جريرا والفرزدق، ولكي لا نذكر سوى تلك الاسماء المعروفة، قد تركوا في ذلك النوع الادبي اكثر الامثلة كآبة. انها قوة العادة، حيث نسي "جرير" نفسه حتى وهو في اردل عمره تماماً تحت وطأتها...

١ - الجريدة الاسيوية، عام ١٨٣٤، العدد ص ٢٨٩، والعدد الرابع عشر ص ٥ .

٢ - نفس المصدر، العدد الثالث عشر، ص ٢٩١.

٣ - نفس المصدر، العدد الرابع عشر، ص ١٣.

٤ - باريس، ص ١٨٩٤.

ولكن، اذا ما كانت التعابير الفظة والبذيئة قد أساءت الى موهبة "جرير" ورفاقه المسلمين، فان الفرزدق ، نفسه، قد تخطى جميع الحدود" ص٦٢.

ونحن ان نشارك الاب لامنس رأيه فيما يخص بذاءة لغة جرير، فاننا نعتقد ان لامجال هنا للخلط بين لغة "جرير" وموهبته. فطهارة لغة الاخلل مثلاً، لم تقدم كثيراً لموهبته ولم تساهم في الارتفاع بالمستوى الفني لهجائه.

وهناك ملحوظة اخرى قدمها " بيريه Perier " في دراسته حول الحجاج (١٩٠٤)، عن "جرير"، وهو ان يقارنه بـ"الاخلل"، الداعية الذي احتضنه " عبد الملك " يرى في "جرير" " الشاعر المفضل والمداح الاكثر طلاقة لحاكم العراق " ، (ص ٢٨٧-٢٨٨)؛ ويقدم نبذة عن حياته ويختتم بقوله " بان اناقة تعابير الشاعر وجمال قصيدته (ص ٢٨٨) كانا السبب في تلك الخطوة التي نالها الشاعر لدى حاكم العراق ".

ويرى " شادي Shaa de " في شاعرنا " اكبر الهجائيين العرب في العصر الاموي، والذي يظهر في قصائده بدويًا حقيقياً " ثم يواصل تأكيده على مزايا واستحقاقات شاعرنا " الذي لم يكن يعتاش من قصائده في الهجاء كما يفعل غيره من الشعراء، وانما كان يعتاش على قصائد المديح التي نظمها في السادة الكبار "

ويدرس " نالينو Nallino " شعر جرير انموذجاً كما نماذج كبار شعراء ما قبل الاسلام، (ص ١٠٠)^٢. ويقدم رؤية شاملة حول

١ - الانسيكلوبيديا الاسلامية، الجزء الاول، ص١٠٥٤، "جرير".

٢ - الادب العربي، باريس، ١٩٥٠ (الترجمة الفرنسية قام بها " بيلا Pellar " ص

الشاعر وهو يلاحظ بان " القسم الاعظم من مدائحه على غرار نماذج المديح ما قبل الاسلام والمخصصة لرؤساء القبائل والاشراف" (ص ١٣١).

اما بالنسبة لـ " هوارت Huart " (الادب العربي ١٩١٢)^١ كان "جرير" مناضلاً قويا قضى حياته في غمار المعارك الشعرية، (ص ٥١). ويؤكد عبد الجليل في (مختصر تاريخ الادب العربي-١٩٤٧)^٢ على فظاظ لغة جرير ولكنه يلاحظ " في قصائد المديح وفي تقريره، وشعره العاطفي يؤكد "جرير" نفسه بتميزه، ورقته، وبساطته، مما يضعه في مرتبة الرفع من اعدائه "، ولم يستثن حتى الاخل " الذي يراه متصنعاً قليلاً، والفرزدق متصنعاً جداً؛ ولكن "جرير" كان طبيعياً: لغة غير معقدة، غير مترددة انما سلسة، متناسقة دون اية مصاعب، وبسيطة " (ص ٦٤).

ويركز "بيلا Pellar " في دراسته (الوسط البصري وتكوين الجاحظ - ١٩٥٣)^٣ ، على الدور الذي لعبه جرير ومواطنه الفرزدق في البصرة بقوله : " ان تأثير شاعر كما "جرير" او آخر كما "الفرزدق"، ظل باقيا محسوساً. ولم يكن نتاجهما فقط مثالا للشعراء الآخرين من الدرجة الثانية، وانما كان بالنسبة لتميم على وجه الخصوص، إرثاً شعرياً حفظوه بعناية، مقدمين لعلماء اللغة وثائقاً ذات قيمة رفيعة " (ص ١٥٨).

١ - باريس، عام ١٩١٢ (ص ٥١).

٢ - باريس، عام ١٩٤٧ (الصفحات: ٦٣-٦٤).

٣ - باريس، ١٩٥٣، الصفحات ١٥٦-١٥٧.

في المقالات التي أتينا على ذكرها، نرى ان الخطوط العامة التي تميز شخصية شاعرنا تقدمه بوضوح: مناضلاً قوياً، هجاءً لاذعاً وخطيراً، وسيدا اصبح نتاجه مثالا يحتذى.

ولكن هناك سؤال يطرح نفسه اخيراً: ألم يكن هناك مُريدون للشاعر التميمي الكبير؟ انهم هناك في الوسط البصري ، وحيث يجب ان نبحث عنهم بين ذلك الجمع الغفير الذين يتجمعون في " المرید " للاستماع الى كبار الشعراء لمدة تزيد على النصف قرن من الزمان. ونحن نعتقد بان افضل من يمثل هؤلاء هو " بشار ابن برد " . وفي واقع الامر كما رأينا، عبر " بشار ابن برد " وهو مازال شاباً يافعاً عن اهتمامه الكبير بالشاعر اليربوعي. فذلك البصري الشاب والذي كان يميل الى الهجاء، والذي اصبح بعد ذلك الهجاء اللاذع في القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي)، لم يستطيع البقاء بلامبالاة امام ذلك المثال الذي يقدمه له شقيقه الاكبر التميمي. كما ان بذاءة لغة " بشار " والالاحاح في توجيه سهامه الى شرف عدوه، كلها حقائق تدلل على ذلك التأثير الكبير الذي مارسه عليه " جرير " .

ومن جهة اخرى، كان " بشار " الشاعر العاطفي يستطيع بالمثل مجارة المثال الذي يقدمه نسيب " جرير "؛ والذي اجمع الكل مسبقاً في ذلك العصر على رفته وعذوبته. واذا لم يكن لدينا من معلومات تلقي الضوء على ذلك؛ فاننا نعرف في المقابل ان رأي " بشار " حول شعر شاعرنا يثمن عالياً ابياته في الرثاء التي لا تختلف عن شعره العاطفي والذي يترجم العواطف في جميع مظاهرها.

ويتبقى مع ذلك، ان شاعر البصرة كان يميل الى التحديث. ويمكن ان نعتبره ان صلة الوصل بين القدماء والمحدثين، مقدماً مرحلة انتقالية في الشعر العربي في العراق.

خاتمة

يمكن للآراء التي تطلق حول "جرير" ان تتنوع الى ما لا نهاية كما في الماضي، تبعاً لامتزجة ومفاهيم كل عصر. كما وان ارتباط اسمه بالاخلط والفرزدق قد عمل على توسيع ميدان ذلك الجدل الدائر حوله.

ولنحاول ان نتبين مكانة "جرير" في الشعر العربي خارج نطاق ذلك الجدل المتحمس على الاغلب، وخارج نطاق تلك الاحكام حول القيمة التي غمرت هذا او ذاك من اعدائه. ولنحكم عليه، انطلاقاً من الرسالة التي حملها على عاتقه؛ ومن مميزات نتاجه.

لقد لاموا "جريرا" بسبب تلك المبالغة في لغته البذيئة، وذلك الاحاح في افتراءاته التي تغمر اعداءه بقاذع السباب، وذلك الاندفاع الذي يبديه اذا ما اراد ان يتحامل على شرف ضحاياه. ومع ذلك، فان مثل ذلك اللوم يجب ان يوجه على الاكثر الى ذلك الوسط الذي يستمع اليه ويصفق له.

ويعترضون على ذلك بالقول بان "جريرا" كان يجب عليه الا يخضع لتيار العصر، او يخضع لضغوط ذلك التشجيع العدواني. ولكن يجب علينا ايضاً ألا ننسى بان شاعرنا ومنذ البداية قد وجد الاعداء يتجهرون ضده. ومنذ ذلك الحين، كان صراعاً متواصلاً ضد جمع بلغ الخمسين شاعراً يركزون عليه الهجوم. ففي كل مكان يتواجد فيه، اكان في البصرة ام في بلده، ام في دمشق لم يلتق "جرير" إلا باعداء متحمسين ضده. ويمكننا ان نفهم ذلك التطرف في لغته اذا ما عرفنا انه يجب عليه ان يدافع في غمار تلك المعركة الوحشية عن قبيلته وعن سمعته الفنية، لا بل عن نصيبه المادي في ثروات ذلك العالم طالما ان البعض من اعدائه كانوا يعملون حتى على منعه من الوصول الى الكبار.

ونرى ان نتاج "جرير" في مجمله، هو ذلك النتاج الذي يقدم لنا انموذجا مخلصا للشعر القديم. وهنا لا يختلف شاعرنا عن الاخطل او الفرزدق. فجرير، كما هو حالهم، قد تناول فقط الانواع الكلاسيكية الثلاثة: الهجاء، القصيدة، الرثاء؛ والتي نظمها وفقا للشكل التقليدي المعروف في نظم مثل تلك الانواع. وتتأكد تلك الاكلاسيكية مع ذلك، باستخدام تلك البحور الشعرية التي استخدمها القدماء كما معاصره.

وفي الشكل كما في الموضوع، يظل "جرير" بدويا تقليديا الى درجة كبيرة. كما ان المواضيع التي طرقها في شعره، هي بقايا تلك الموضوعات التي تناولها شعراء عصر ما قبل الاسلام. ولكنه تميز بسهولة ويسر في الاسلوب عمل على تميزه كذلك عن الشاعرين الكبيرين المعاصرين له.

وكان شعره الهجائي لاذعاً، منظوماً في مهارة، وجيد التوثيق، مطرزا بالسخرية، ومتميزا بحدة في الذهن. واخيرا مستلهماً في براعة كل ما يمكن ان يجرح المشاعر البدوية. وفي ذلك الجانب، يتفوق "جرير" على الاخطل والفرزدق.

ويبدو شاعرنا في شعر المديح، اكثر شكلية وتكلفاً. ولانجد لديه صبغة الفنان الاصيل. ونحن نعرف انه قد قضى حياته تقريبا بعيدا عن البلاط الاموي. وخلال تلك المرحلة من حياته اقتنع بكتابة هجائه. كما ان اجمل فترات حياته، واغوى مظهر من عبقريته قد تكرر للهجاء. وعندما استطاع الوصول اخيرا الى الامويين وجد امامه "الاخطل"، الذي استقبلوه في البلاط منذ زمن، والذي كان مرافقاً للخلفاء والامراء منذ شبابه.

وفي ذلك الوقت الذي انشغل فيه "جرير" بالهجاء، كرّس الاخطل نفسه تماما الى شعر المديح مما يدل على نجاحه في ذلك النوع الشعري، كونه شاعرا تعرف الى، ولاحظ عن قرب كبار

الشخصيات. في حين ان "جرير" الذي وصل متأخرا لينظم في ذلك النوع لم يستطع ان يقول غير ما كان لاي شاعر غيره ان يقوله؛ دون ان يبذل أي جهد، ودون ان يبحث عن الحذق او المهرة.

اما شعره في الرثاء، والنسيب فكان السبب في ان يحب الشرق العربي نتاجه. ونسيبه على وجه الخصوص، رغم بداوته السائدة، يستطيع ان يوقظ الاحساس ويثير العواطف لدى القاريء. كما ان السخرية وحدة الذهن الذي يميز الهجاء لديه، جاءا بدورهما صفة مضافة. وزيادة على ذلك، لا تفتقر اشعاره ابدا الى ذلك التأثير الذي اراده الشاعر.

وتتركز اهمية ديوان "جرير" في نهاية الامر في القيمة التوثيقية وتلك الميزة التي تعرض لنا نتاج شاعر بدوي. انه ديوان غني بالمعلومات من كل نوع والتي تتصل بحياة العرب ليس فقط في القرن الاول الهجري، بل وكذلك في عصر ما قبل الاسلام.

ومن منطقة في قلب بلاد العرب، تحتضن في غير عاداتها وتقاليدها؛ يأتي شاعر اليمامة بجميع الاشارات المتنوعة والعديدة لنوعية تلك الحياة، والسلوك والعادات والمشاكل اليومية ليقدم لنا شرحا كافيا للحياة المتوارثة من عصور ما قبل الاسلام في جميع مظاهرها.

وهو ان شارك بفعالية في جميع احداث عصره، يقدم لنا شاعرنا في ديوانه مصدرا تاريخيا هاما حول الحياة السياسية في القرن الاول للهجرة، وتاركاً لنا معلومات عديدة تخص التجمعات السياسية وتحزباتها، والصراعات الداخلية، ومؤتمرات السلطة، ومفاهيم الخلفاء المتنوعة والثورات واصحابها والاسرة الحاكمة وممثليها.

ويعود الفضل لجريير بمعرفتنا العديد من الشعراء وبوصول اسمائهم اليـنا. ان مجرد حدوث مبارزة واحدة معه تكفي لان تُذكر وتُذكر معها شذرات من اشعار من يـنازله.

وانه بفضل ذلك المناضل الذي لم يقبل ابدا بالتسليم، نشاهد تلك الحركة الادبية النقدية التي دارت حوله وحول اعدائه في الوسط الثقافي في العراق خلال القرون الثلاثة الاولى للهجرة.

ولكن قيمة نتاج "جريير" تعود بالمثل الى استعادته التقليد الشعري ما قبل الاسلام وباخلاص. ويمكن لذلك النتاج الذي نظمـه شاعر بدوي يستلهم تلك التقاليد، والذي تم جمعه دون ان يتأثر كثيرا باخطاء من يمكن ان يشوّهه؛ يمكن ان يتخذ مثلاً لدراسة الشعر ما قبل الاسلام.

وهو وقد بدأ حياته الشعرية بالهجاء دفاعاً عن قبيلته؛ نرى ان الشاعر قد حمل رسالته في حب وقوة حتى اواخر سني حياته. فقد هاجم، ورد على جمع غفير من الشعراء المندفعين في حماسة ضده. وتلك حقيقة لم يواجهها غيره من الشعراء العرب. ويستحق "جريير" بسبب تقدير الجميع لشعر الهجاء لديه، ان يحتل واحداً من امكنة الصدارة في الشعر العربي.

أهم الاحداث التي دارت خلال القرن الاول الهجري (القرن السابع الميلادي)

- ١١هـ / ٦٣٢م الردة في اليمامة والقضاء عليها بقيادة " خالد ابن الوليد "
- ٣٣هـ / ٦٥٣م؟ ولادة "جرير"
- ٣٦هـ / ٦٣٦م معركة الجمل في البصرة
- ٤٠هـ / ٦٦٠م نهاية الخلافة الدينية وتولي " معاوية ابن ابي سفيان " مؤسس الدولة الاموية مقاليد السلطة (٤٠-٦٠هـ / ٦٦٠-٦٧٩م) - محاولات "جرير" الشرعية الاولى في ظل تلك الخلافة.
- ٦٠هـ / ٦٧٩م وفاة معاوية، وتولي ابنه "يزيد ابن معاوية" (٦٠-٦٤هـ / ٦٧٩-٦٨٤م) - ثورة "الحسين ابن علي" الشيعية في الكوفة (٦١هـ / ٦٨١م) - زيارة "جرير" للخليفة "يزيد" ثورة المدينة لصالح عبد الله ابن الزبير (٦٣هـ / ٦٨٣م) - يتوجه الجيش الاموي نحو مكة لمجابهة ثورة الزبير.
- ٦٤هـ / ٦٨٤م وفاة "يزيد" - اعلان خلافة "عبد الله ابن الزبير في الحجاز - اعتزال معاوية الثاني الحكم - معركة مرج راهط، وانتصار الامويين تحت قيادة مروان ابن عبد الحكم - اضطرابات البصرة وانتصار الزبيريين.

٦٥هـ/٦٨٥م وفاة "مروان" وتولي ابنه "عبد الملك" (٦٥-٨٥ هـ/٦٨٥-٧٠٤م) - وقوع العراق تحت السلطة الزبيرية - "جرير" في البصرة فيما بين (٦٥-٦٧ هـ/٦٨٥-٦٨٧م) واول مجابهة له مع الفرزدق - عودة "جرير" الى اليمامة.

٧٢هـ/٦٩٢م استعادة السيطرة الاموية على العراق - وفاة "مصعب ابن الزبير" - تعيين "بشر ابن مروان" والياً على الكوفة، و"خالد ابن عبد الله" والياً على "بشر" والياً عاماً على العراق في آخر سني ولايته (٧٤هـ/٦٩٤م). وجود "جرير" مرة اخرى في البصرة في ظل ولاية بشر ويدخل في نزاع مع "الاختل" و"سراقة ابن مرداس".

٧٣هـ/٦٩١م حملة بقيادة الحجاج ضد عبد الله ابن الزبير - وفاته ونهاية حكمه.

٧٥هـ/٦٩٥م "الحجاج" والياً على العراق - وصول "جرير" الى العراق، واستقبال "الحجاج" له بعد فترة من الزمن - اضطرابات الخوارج في العراق: مقتل شبيب الشيباني عام (٧٧هـ/٦٩٧م) ، ثم مقتل القطري ابن الفجاءة عام (٦٨هـ/٦٩٨م)، ثم وفاة "عبد الرحمن ابن الاشعث" عام (٨٢هـ/٧٠١م) - الحجاج يقدم "جريرا" الى الخليفة عبد الملك (٨٠هـ/٦٩٩م).

٧٠٤/هـ ٨٥م وفاة "عبد الملك" وتولي ابنه "الوليد" -
"جرير" يبقى الشاعر المفضل لدى الحجاج والي
العراق . يمدح الشاعر ايضا الامير " عمر ابن
عبد العزيز" الوالي على المدينة (٨٧ - ٩٣ هـ /
٧٠٦-٧١٢م).

٧١٥/هـ ٩٦م وفاة الحجاج - وفاة الوليد وتولي اخوه
"سليمان" سدة الحكم - اضطرابات في خراسان
واغتيال واليها " قتيبة ابن مسلم " على يد "
وقيع " من قبيلة يربوع - تعيين "يزيد ابن
المهلب" والياً على العراق وخراسان.

٧١٦/هـ ٩٩م تولي "عمر ابن عبد العزيز" الحكم خلفاً
لسليمان الذي توفي في تلك السنة - القاء
القبض على " يزيد ابن المهلب " - تعيين " عدي
ابن ارطاة " واليا على البصرة.

٧٢٠/هـ ١٠١م وفاة "عمر ابن عبد العزيز" وتولي " يزيد ابن
عبد الملك" الحكم - هرب " يزيد ابن المهلب الى
البصرة، واعلانه العصيان في البصرة. القضاء
عليه وعلى عصيانه عام (١٠٢هـ/٧٢١م).

٧٢٤/هـ ١٠٥م تولي "هشام ابن عبد الملك" الخلافة بعد وفاة
اخيه يزيد. تعيين خالد القصري والياً على
العراق - لأول مرة يقوم "جرير" بمدح " المهاجر
الكلابي" والي اليمامة - تمرد في اليمن بقيادة
"عماد الرعيني" الذي يمجّد "جرير" هزيمته.

٧٣٣/هـ ١١٤م وفاة الشاعرين التميميين " الفرزدق " و " جرير ".

القصائد الموجهة للمسؤولين الامويين

أ - الخلفاء:

الاسم	عدد القصائد	الصفحة	ملاحظات
عبد الملك ابن مروان ٦٥-٨٥هـ/٦٨٥-٧٠٤م	٣	٩٦ (٢٢ بيتاً) ٣٥٤ (٢٩ بيتاً) ٤٧٢ (٧٠ بيتاً)	اول قصيدة موجهة للخليفة اربعون بيتا هجائية ضد الاخطل يكونون جزء من تلك القصيدة
الوليد ابن عبد الملك ٨٥-٩٦هـ/٧٠٤-٧١٥م	٤	٨ (١٥ بيتاً) ٢٩٦ (ست ابيات) ٣٨٢ (٣٣ بيتاً) ٤٩١ (٣٤ بيتاً)	تم ذكر عبد العزيز، ابن الخليفة رثاء اشارة الى تدمير كنيسة "سان جون بابتست" بأمر من الخليفة.

اشارة الى طغيان الحجاج	٤٣١ (٢٧ بيتاً)	١	سليمان ابن عبد الملك ٩٦-٩٩هـ/٧١٥-٧١٨م
قصيدة في مدح عمر عندما كان واليا على المدينة رثاء	١٣٤ (٢٦ بيتاً) ٢٧٤ (٢٩ بيتاً) ٣٠٤ (ثلاثة ابيات) ٤١٥ (خمسة ابيات) ٥٠٩ (٣٠ بيتاً)	٥	عمر ابن عبد العزيز ٩٩-١٠١هـ/٧١٨-٧٢٠م
القصيدة الوحيدة التي لم يهاجم فيها المهلبين	٢١٦ (٣٩ بيتاً) ٢٥٢ (٤٦ بيتاً) ٣٥٩ (٣٠ بيتاً) ٣٨٥ (٥٧ بيتاً)	٤	يزيد ابن عبد الملك ١٠١-١٠٥هـ/٧٢٠-٧٢٤م
	٣ (٣٣ بيتاً) ١٤٦ (٤٨ بيتاً) ٥٠٢ (٥٥ بيتاً) ٥٠٦ (٢٤ بيتاً)	٤	هشام ابن عبد الملك ١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٥-٧٤٣م
في هذه القصيدة ثمانية ابيات هجاء ضد	٩٩ (٣٣ بيتاً) ٢٦٢ (٢٦ بيتاً)	٢	عبد العزيز ابن مروان (٦٥-٨٥) ٦٨٥-٧٠٤م

الاخطل			
قصيدة هجاء ضد الشاعر سراقة، وستة ابيات منها موجهة لمدح ذلك الامير	٣٠٠ (٤٢ بيتاً)	١	بشر ابن مروان ٧٢-٧٤هـ/٦٩٢-٦٩٤ م
فيها اشارة الى تمرد عبد الرحمن ابن الاشعث	١٦ (٢٧ بيتاً) ٨٩ (٢١ بيتاً) ١٢٠ (١٨ بيتاً) ٣٧٩ (٢٢ بيتاً) ٤٣٩ (٤٢ بيتاً)	٥	الحجاج
اشارة الى انتصارات الحجاج ضد الخوارج، شبيب، والقطري			
	٥٢٠ (تسعة ابيات)	١	الحكم ابن ايوب ٧٥-٨١هـ/٦٩٥-٧٠١م
منها احد عشر بيتاً هجاء ضد تسعة شعراء ذكر جرير اسماءهم	٩ (٢٤ بيتاً) ١١٦ (٢٩ بيتاً) ١٢١ (١٢ بيتاً) ٢٢٥ (٩ ابيات)	٦	عبد العزيز ابن الوليد (تم مدحه في حياة ابيه)

رثاء	٣٦٦ (٩ ابیات) ٤٣٤ (١٥ بیتا)		
فیه اشارات الی انتصارات الامیر علی الأتـرک والبیزنطیین			
یشیر جریر الی اختیار الخلیفة معلنا بان الامیر سیکون وریتا له	٣٢ (٤٢ بیتا)	١	ایوب ابن سلیمان توفی عام ٧١٨/٥٩٩ م
	١٠٤ (بیتان)	١	مسلمة ابن عبد الملک الذی انتصر علی یزید ابن المهلب فی (٧٢١/٥١٠٢ م
یتغنی الشاعر بمآثر الامیر منذ ان اندلعت ثورة یزید ابن المهلب	١٨ (١٦ بیتا) ١٥٨ (١٩ بیتا) ٢١٩ (٢٦ بیتا)	٣	العباس ابن الولید قائد عمه مسلمة عام ٧٢١/١٠٢
هلال ابن احوز قائد ٧٢١/٥١٠٢ م	٢٤٠ (١١٢ بیتا)	٢	(١٣) بیتا فی مدیح الفرس، و (٧١) بیتا

هجاء ضد الفرزدق هريم ابن طخمة، قائد آخر في ذلك العصر، انضم الى هلال يشاركه قصيدة المديح	٥٣٧ (٥٩ بيتا)		
يحدث الشاعر عن انتصار الامويين ضد تمرد اليمن اي ضد في ٧٢٧/١٠٧	١٥٢ (٥٠ بيتا) ١٨٠ (٣٨ بيتا)	٢	معاوية ابن هشام (تم مديحه في عصر والده ١٠٥-١٢٠هـ/ ٧٢٤-٧٣٨م
	٥٣٠ (٤١ بيتا)	١	مسلمة ابن هشام شقيق معاوية ابن هشام
يطالب جرير والي العراق بتحرير الفرزدق الذي كان قد القي عليه القبض	١٧٤ (٦٨ بيتا)	١	خالد القصري ١٠٥-١٢٠هـ/٧٢٤- ٧٨٣م
	٣٩ (١٩ بيتا) ١٢٥ (١٠ ابيات)	٢	المهاجر الكلابي ١٠٥-٧٢٤هـ/؟

قصائد الهجاء ضد اعداء الشاعر المذكورة في الديوان
وفقا لاعداد القصائد

ملاحظات	الشعر القصائد المقاطع		الاسم
انظر الحاشية رقم (١)	٢٠	٥٨	الفرزدق
ووجه اليه قسم هجائي في قصيدة كانت موجهة لعبد الملك. انظر الديوان، ص ٤٧٢	٢٠	٢٢	الاخطل
انظر الفهرست تحت اسم التيم، وعمر ابت لجأ	٥	١٥	عمر ابن لجأ
شارك الفرزدق كذلك في خمسة قصائد هجاء، وكلها جمعت تحت اسم البعيث	٣	٤	خداش ابن بشر (البعيث)
انظر الفهرست تحت	١٤	٢	غسان ابن ذهيل

اسم بنو سليط وغسان			
	١	٢	سراقة ابن مرداس
		٢	عياش ابن الزيرقان
		٢	المستنير ابن صبرا
		١	مرار ابن منقذ
انظر الفهرست تحت اسم الراعي النميري		١	عبيد ابن الحسين (الراعي)
		١	عباس ابن يزيد الكندي
		١	ذو الرمة
انظر الفهرست تحت اسم الاعور النبهاني		١	نعيم ابن شريك
انظر الديوان، ص ١٣٩		١	عقبة ابن سنيع
		١	غحدب
	١		مثغوب ابن غيلان
	١		خبيد العينين
انظر الفهرست تحت اسم الصلتان العبدى	١		قثام ابن خبية
ذكر جرير الاثنيين في قصيدة هجاء ضد			منقع حكيم ابن مطايا

غسان الذهيل، انظر الديوان، ص ٢٩٤ (البيت السابع)			
نكرهما جرير في قصيدة هجاء ضد عمر ابن لجأ. انظر الديوان، ص ٢٨٨ (البيت السابع والثامن)			علقة سرندا
اشترك مع الفرزدق في قصيدة هجاء واحدة، انظر الديوان، ص ١٨٤.			عبيدة ابن غاذرة

قائمة بالاعمال المذكورة كمراجع

العباسي
معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ،
القاهرة (١٣٢٦هـ / ١٩٠٨)، مجلدان في اربعة
اجزاء.

عبد الحليل
ملخص تاريخ الادب العربي - الطبعة الرابعة،
باريس (١٩٤٧)؛ مجلد واحد في ثمانية
اجزاء.

ابو الفرج الاصفهاني ١- كتاب الاغاني، طبعة بولاق (١٢٨٥)، عشرين
جزءاً في اربعة مجلدات.

٢- كتاب الاغاني، القاهرة (١٣٢٢-١٣٢٣)،
عشرين جزءاً في اربعة مجلدات.

٣- كتاب الاغاني، دار الكتب، القاهرة (١٩٢٣-
١٩٤٧)، ١٣ مجلد. باريس، في اربعة اجزاء.

ابو تمام
نقائض "جرير" و "الاخطل"، طبعة الشلهاني،
بيروت، (١٩٢٢)، مجلد واحد ، اربعة اجزاء.

ابو عبيدة
١- نقائض "جرير" و "الفرزدق". طبعة بيفان
ليدو، (١٩٠٥-١٩١٢) (٣ مجلدات ، (اربعة اجزاء)
، وهي الطبعة الوحيدة التي استخدمناها.

٢- نقائض "جرير" و "الفرزدق"، طبعة
الصاوي، القاهرة (١٣٥٣هـ / ١٩٣٥م)، جزآن في
مجلد واحد، اربعة فصول.

الاعاني
نظر ابوا الفرج.

الخطي الديوان، طبعة الشلهاني ، بيروت(١٩٢٥) ، مجلد واحد - اربعة اجزاء.

العلي (صالح) التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، بغداد(١٩٥٣)، جزء واحد - ثمانية فصول.

الالوسي بلوغ الارب في معرفة احوال العرب . طبعة الاثري، القاهرة (١٣٤٢-١٣٥٣هـ/١٩٢٤-٥) ٣ مجلدات - ثمانية اجزاء.

الأمدي المؤتلف والمختلف ، طبعة كرنكوف ، القاهرة (١٣٥٤) ، مجلد واحد - ثمانية اجزاء.

امين (احمد) فجر الاسلام ، الطبعة الخامسة ، القاهرة (١٣٦٤ هـ/١٩٤٥م) ، جزء واحد - ثمانية فصول.

العسكري كتاب الصناعيين ، استنبول ، (١٣٢٠) ، مجلد واحد - اربعة اجزاء

العسكري ديوان المعاني ، القاهرة (١٣٥٢)، جزآن في مجلد واحد - ثمانية فصول.

الاصمعي فحولة الشعراء، طبعة الخفاجي، (القاهرة)(١٣٧٢ هـ/١٩٥٣م)، مجلد واحد، ١٢ جزء.

البغدادى(عبد القادر) خزانة الادب ، القاهرة (١٣٤٧) ، ٤ مجلدات، ثمانية اجزاء.

البغدادى(الخطيب) تاريخ بغداد، القاهرة (١٣٤٧هـ/١٩٣١م) ، ١٤ جزء ، في اربعة مجلدات حجم صغير

البكري معجم ما استعجم، طبعة وستنفلد، جوتنجن (١٨٧٦-١٨٧٧)، مجلدان حجم صغير في اربعة اجزاء.

البكري سمت اللآلي، في شرح امالي القالي، ميممي، القاهرة (١٣٥٤هـ - ١٩٣٦م)، مجلدان في اربعة فصول.

البلاذري انساب الاشراف ، الجزء الخامس، طبعة شلو سنجر، اورشليم (١٩٣٨)؛ الجزء الاول في اربعة فصول؛ الجزء الخامس ، طبعة جويتا، اورشليم (١٩٣٦) ، مجلد واحد في اربعة اجزاء.

البشير عصر القرآن ، بغداد ، الطبعة الاولى (١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م) ، مجلد واحد في ثمانية فصول.

بلاشير (ر) القرآن ، ترجمة وفقا لترتيب السور، باريس (١٩٤٧-١٩٥١) ،

Blachere(R) ثلاثة مجلدات من ثمانية فصول.

بلاشير تاريخ الادب العربي من البدايات وحتى نهاية القرن الخامس عشر، باريس، (١٩٥٢) مجلد واحد في اربعة فصول.

بلاشير المتنبي، شاعر عربي من القرآن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ؛ باريس (١٩٣٥) مجلد واحد في اربعة اجزاء.

بلاشير المواضيع الرئيسية لشعر الغزل الماحن في عصر بني امية، الجزء الخامس (١٩٣٩-١٩٤١).

بلاشير نظرة شاملة حول شعر العرب الكلاسيكي، باريس،
بنشر (١٩٣٨)، مجلد واحد ، حجم صغير في
اربعة اجزاء.

بروكلمان مجلة الآداب العربية - فايما، برلين (١٨٩٨هـ-
١٩٢٠م)، مجلدان وثمانية اجزاء، وملحق، لايدي
في ثلاثة مجلدات وثمانية اجزاء.

البستاني(ب) ادباء العرب ، الطبعة السادسة ، بيروت، (١٩٥٣)
، مجلد واحد في ثمانية اجزاء.

البستاني(ف) "جريد"، الروائع، الرقم ٣٩ ، ٤٠. بيروت (١٩٤٢).
كايتاني(caetani) حوليات الاسلام، ميلانو (١٩٠٥-١٩٢٦) ، عشرة
مجلدات في اربعة اجزاء.

كوسان دو برسفال ملاحظات حول الشعراء العرب الثلاثة: الاخطل ،
الفرزدق ، وجريد. في الجريدة الآسيوية، الجزء
الثالث عشر، والرابع عشر ، باريس (١٨٣٤).

الدهني تاريخ الاسلام ، طبعة القدسي؛ القاهرة،
(١٣٦٧-٩)؛ خمسة مجلدات في ٨ اجزاء.

الديوان انظر "جريد".

الانسكلوبيديا الانسكلوبيديا الاسلامية، لايدي، (١٩١٣)
والملحق في (٤)

الإسلامية مجلدات واربعة اجزاء ثم ملحق.

الانسكلوبيديا الاسلامية الانسكلوبيديا الاسلامية، الطبعة
الثانية تحت الطبع.

الفرزدق الديوان، طبعة الصاوي، القاهرة (١٣٥٤هـ) /
١٣٥٦هـ؛ الجزء الثاني ، في مجلد واحد وثمانية
فصول.

الفهرست ابن النديم.

الجاحظ البيان والتبيين ، طبعة هارون ، القاهرة (١٣٦٧ /
١٩٤٨-١٩٥٠/١٣٦٩)؛ ٤ مجلدات في ثمانية
اجزاء.

الجاحظ البخلاء، طبعة الهاجري؛ القاهرة (١٩٤٨)، المجلد
الاول في اربعة اجزاء.

الجاحظ كتاب التاج، طبعة احمد زكي باشا، القاهرة
(١٩١٤)، مجلد واحد في ثمانية اجزاء.

مجلة الآداب العربية مجلة الآداب العربية ، انظر بروكلمان.

"جرير" الديوان: ١- طبعة الشواربي ، القاهرة، (١٣١٣)
جزآن في مجلد واحد وثمانية فصول.

الديوان: ٢- طبعة الصاوي ، القاهرة ، (١٣٥٣)؛
مجلد واحد في ثمانية فصول. في دراستنا
الحالية استخدمنا طبعة الصاوي.

حبر (R) Geyer الطرايشي ، ليبزج ونيويورك، (١٩٠٨)، مجلد
واحد، حجم صغير في اربعة اجزاء.

الهاجري في تاريخ النقد والمذاهب الادبية ، الاسكندرية)
١٣٧٣هـ/١٩٥٣م)، مجلد واحد في ثمانية اجزاء.

الحمداني صفات جزيرة العرب ، طبعة مولر ، ليدي،
مجلدان في ثمانية اجزاء.

- حسين (طه) حديث العربية ، القاهرة (١٩٢٥) ، ثلاثة مجلدات في ثمانية اجزاء.
- ابن عبد ربه العقد الفريد ، طبعة امين (احمد) والابيارى، الطبعة الثانية، القاهرة، (١٣٦٧-١٩٤٨/٩-١٩٥٠)؛ ستة مجلدات في اربعة اجزاء.
- ابن ابي حديد شرح نهج البلاغة . القاهرة (١٣٢٩) ، ٤ مجلدات في ثمانية اجزاء.
- ابن الانباري نزهة الارب في طبقات الادباء ، القاهرة، (١٢٩٤) ، مجلد واحد في ثمانية اجزاء.
- ابن عساكر تاريخ دمشق ، طبعة بدران؛ دمشق (١٣٢٩-١٣٥١) سبعة مجلدات في اربعة اجزاء.
- ابن الاثير الكامل في التاريخ ، طبعة "تورنبرج، ليدي (١٨٥١-١٨٧٦)، خمسة عشر مجلدا في ثمانية اجزاء.
- ابن دريد كتاب الاشتقاق ، طبعة فوستنفلد ، كوتنجن، (١٨٥٤) ، مجلد واحد في اربعة اجزاء.
- ابن فقيه كتاب البلدان، طبعة جويجة، ليدي (١٨٨٥)؛ مجلد واحد في ثمانية اجزاء.
- ابن حجر تهذيب التهذيب ، حيدرآباد ، (١٣٢٥)؛ ١٢ مجلدا في ثمانية اجزاء.
- ابن خلدون المقدمة ، بيروت ، (١٨٧٩) ؛ مجلد واحد في ثمانية اجزاء، ترجمة "Slane" الفرنسية، الطبعة الثانية ، باريس (١٩٣٤-١٩٣٨)؛ ثلاثة مجلدات في اربعة اجزاء.

- ابن خلكان وفيات الاعيان، طبعة محي الدين عبد الحميد، القاهرة (١٩٤٨-١٩٤٩)؛ ستة مجلدات في اربعة اجزاء.
- ابن حزم جمهرة انساب العرب، طبعة ليفي بروفنسال، القاهرة (١٩٤٨)؛ مجلد واحد في ثمانية اجزاء.
- ابن خرداداذبة كتاب المسالك والممالك . طبعة جويجة ليدي، (١٨٨٩)؛ مجلد واحد في ثمانية ا اجزاء.
- ابن عماد العكري شذرات الذهب في اخبار من ذهب. القاهرة؛ (١٣٥٠)، ثمانية مجلدات في اربعة اجزاء.
- ابن منظور لسان العرب. بولاق، (١٣٠٧-١٣٠٠)؛ ٢٠ مجلد واربعة اجزاء.
- ابن النديم كتاب الفهرست. طبعة فلوجل، ليبزج، (١٨٧١، ١٨٧٢)؛ مجلد واحد واربعة اجزاء.
- ابن قتيبة الشعر والشعراء . طبعة جويجة "Goege" ليدي ، (١٩٠٤) مجلد واحد في اربعة اجزاء.
- ابن قتيبة كتاب المعارف. طبعة فوستنفلد؛ (جوتنجن Gutingen) ؛ (١٨٥٠) مجلد واحد واربعة اجزاء.
- ابن رشيق كتاب العمدة. طبعة محي الدين عبد الحميد؛ القاهرة، (١٩٣٤/١٣٥٣)؛ مجلدان في ثمانية اجزاء.
- ابن رسته كتاب الاخلاق النفيسة . طبعة جويجه، ليدي، (١٨٩٢) ؛ مجلد واحد في ثمانية اجزاء.

ابن شجري الامالي الشجرية . حيدرآباد ، (١٣٤٩) ، مجلدان
في اربعة اجزاء.

ابن سلام ١- طبقات الشعراء. طبعة هُلّ ، ليدي (١٩١٣) ،
مجلد واحد في ٨ أجزاء.

٢- طبقات الشعراء. طبعة حامد عجان ، القاهرة ،
(١٩٢٠) مجلد واحد.

٣- طبقات الشعراء. طبعة مكتبة صبيح ، القاهرة ،
بدون تاريخ ، مجلد واحد ، في ١٢ فصلا.

٤- طبقات الشعراء. طبعة شاكر (بعنوان طبقات
فحول الشعراء) ، القاهرة (١٣٧١هـ/١٩٥٢م) ؛
مجلد واحد واربعة اجزاء. قد استخدمنا تلك
الطبعة الاخيرة).

انظر ابن عبد ربه.

العقد

الجريدة الاسيوية (نسخة باريس).

ج . أ.

قبائل العرب. دمشق (١٣٦٨/١٩٤٩) ، ثلاثة
مجلدات في ثمانية اجزاء.

كحالة

انظر المبرّد.

الكامل

مهد الاسلام. روما ، (١٩١٤) ، مجلد واحد في
اربعة اجزاء.

الاب لامنس

"Lammens"

داعية الامويين ، باريس ، (١٨٩٤) ، مجلد واحد
في ثمانية اجزاء.

الاب لامنس

دراسة حول عصر الامويين. بيروت (١٩٣٠) مجلد
في اربعة اجزاء.

الاب لامنس

<u>الاب لامنس</u>	<u>دراسة حول معاوية الاول ، أول خليفة اموي في</u> <u>" مختارات الكلية الشرقية في بيروت " ، (١٩٠٨) ،</u> <u>مجلد واحد في اربعة اجزاء .</u>
<u>لسان</u>	<u>انظر ابن منظور .</u>
<u>مردم</u>	<u>جريس في مجلة الاكاديمية العربية بدمشق ،</u> <u>الجزء الثلاثون، العدد الاول، والثالث والعشرون،</u> <u>دمشق (١٩٣٥) .</u>
<u>المرزباني</u>	<u>معجم الشعراء . طبعة كرنكوف، استنادا الى</u> <u>الأمدي، ص ١٩٩ .</u>
<u>المرزباني</u>	<u>كتاب الموشح . القاهرة، (١٣٤٣) مجلد واحد</u> <u>في ثمانية اجزاء .</u>
<u>المسالك</u>	<u>انظر ابن خرداذبة .</u>
<u>المسعودي</u>	<u>مروج الذهب ، طبعة الصباغ ، بولاق، (١٢٨٣)</u> <u>مجلدان في اربعة اجزاء .</u>
<u>المسعودي</u>	<u>كتاب التنبيه والاشراف ، طبعة جويجة ، ليدي</u> <u>(١٨٩٤) ، مجلد واحد في ثمانية اجزاء .</u>
<u>م.ف.أ.ب</u>	<u>مختارات الكلية الشرقية في بيروت .</u>
<u>المبرد</u>	<u>الكامل في الادب . طبعة رايت، ليبزج، (١٨٦٤-)</u> <u>(١٨٩٢) مجلد واحد في اربعة اجزاء .</u>
<u>المحاضرات</u>	<u>انظر راغب الاصفهاني .</u>
<u>محمد حسين</u>	<u>الهجاء والهجأؤون في صدر الاسلام . القاهرة،</u> <u>(١٩٤٨) ، مجلدان في ثمانية اجزاء .</u>
<u>نالينو(س)</u>	<u>الادب العربي منذ البدايات حتى عصر الدولة</u> <u>الاموية . ترجمة بيللا Pellat ، باريس ،</u>

- (١٩٥٠) مجلد واحد في ثمانية اجزاء. Nallino (c)
- نقائض "جرير" و"الاخطل" . انظر :ابو تمام. ن.ج.أ.
- نقائض "جرير" و"الفرزدق" . انظر : ابو عبيدة. ن.ج.ف.
- السط البصري وتكوين الجاحظ. باريس، (١٩٥٣)،
مجلد واحد في اربعة اجزاء. Pellat
- بيريه (ج)
حياة الحجاج ابن يوسف . باريس (١٩٠٤)، مجلد
واحد في
اربعة اجزاء. Perrier(j)
- كتاب الامالي. الطبعة الثانية، القاهرة (١٣٤٤هـ/
١٩٢٦م)، جزآن في مجلد واحد وثمانية فصول.
القرشي
جمهرة اشعار العرب. بولاق ، الطبعة الاولى،
(١٣٠٨)، مجلد واحد في اربعة اجزاء.
- مجلة الاكاديمية العربية في دمشق. و.أ.أ.د.
- محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء، والبلغاء.
بدون تاريخ، جزآن في مجلد واحد، في اربعة
اجزاء. راغب الاصفهاني
- انظر ابن عماد العكري. الشذرات
- نكت الحميان في اخبار العميان. طبعة الاخ زكي؛
القاهرة، (١٣٢٩هـ/١٩١١م) مجلد واحد في
ثمانية اجزاء. الصفدي
- تاريخ الشعر السياسي . الطبعة الثانية، القاهرة،
(١٩٥٣) مجلد واحد في ثمانية اجزاء. الشايب
- مقالته حول "جرير" في الابسيكلوبيديا
الاسلامية؛ في الجزء الاول، (ص١٠٥٤). شادي Schaade

سلطان (جميل) "حريز" قصة حياته ودراسة اشعاره. دمشق ، بدون تاريخ، مجلد واحد ، حجم صغير من ثمانية اجزاء.

الطبري الحوليات . طبعة جويجة، ليدي (١٨٧٩-١٩٠١)، خمسة عشر مجلدا، حجم صغير في ثمانية فصول.

العمدة انظر ابن رشيق. فاديه Vadet العروض العربي. مداخل في تاريخ العروض العربي . في ارابيكا، الجزء الحادي عشر، (١٩٥٥).

وهبة (حافظ) جزيرة العرب في القرن العشرين . القاهرة ، الطبعة الاولى، (١٣٥٤هـ/١٩٣٥م)، مجلد واحد في ثمانية اجزاء.

فوستنفلد Wustenfeld جدول انساب العرب والاصول والاسماء. جوتنجن Gottingen ، (١٨٥٢)، مجلد واحد في ثمانية اجزاء).

اليافعي مرآة الجنان . حيدرآباد، (١٣٣٧) ، ٤ مجلدات في اربعة اجزاء.

ياقوت معجم البلدان، طبعة فوستنفلد ، ليبزج (١٨٦٦-١٨٧٣) ستة مجلدات حجم صغير في اربعة اجزاء.

ياقوت ارشاد الاريب الى معرفة الاديب. طبعة مارجوليون (Margoliouth) ، في القاهرة، (١٩٠٩-١٩٣١) في اربعة اجزاء.

زيدان

تاريخ آداب اللغة العربية. الطبعة الاولى ، القاهرة
(١٩١١-١٩١٣)، اربعة مجلدات في ثمانية
اجزاء.

الزهيري

نقائض "جرير" و"الفرزدق"، دراسة ادبية
وتاريخية. بغداد، الطبعة الاولى، (١٩٥٤) مجلد
واحد في ثمانية اجزاء.

مصادر تأريخ حياة الشاعر

يعتبر ديوان "جرير" اول المصادر لمعرفة تاريخ حياة صاحبه. ومع ذلك، فالاشارات والمعلومات التي نجدها فيه، لايمكن استحداثها بدون الاخذ بنظر الاعتبار المعطيات الحياتية التي قدمها مختلف الكتاب. وفيما يلي نقدم قائمة بدراسة مصادر تاريخ الشاعر والتي استطعنا ان نضعها رهن الاستعمال:

١- ابو عبيدة:

(توفي حوالي ٢١١هـ/٨٢٥م)، نقائض "جرير" و"الفرزدق" ، ص٢، ص٣١-٣٢، ص٢٠٣، ص٤٣٠، ص١٠٤٥، ص١٠٤٧. هناك معلومات تتعلق بشباب الشاعر وصفاته وزواجه بأمامة، واقامته في حجر ثم وفاته.

٢- ابن سلام:

(توفي عام ٢٣٢هـ/٨٤٥م) ، طبقات الشعراء ، ص٣١٥-٣٨٦. اشارات الى هدوء "جرير"، والى حياة الفقر التي عاشها في شبابه ويخله تجاه اسرته، نزاعه الطويل مع الفرزدق، زيارته الى الخلفاء يزيد ابن عبد الملك ، الوليد، سليمان، خلافاً مع الشعراء: غسان ابن ذهيل، البغيث، سُرّاقة، الاخطل، ابن الرقاع، الصلتان، خلود عيين، عمر ابن لجأ، الراعي، العباس ابن يزيد الكندي، احمر غَدَنّا.

٣- الجاحظ:

(توفي عام ٢٥٥هـ/٨٦٩م)، البيان والتبيين . الجزء الاول، ص ٢٠٩، ص٢١٣، الجزء الثالث، ص١٦٥، الجزء الرابع، ص٦٦. يذكر

المؤلف كنية "جرير"، متحدثاً عن طهارته، وعن بعض عاداته، ثم يقدم بعض الاشارات عن زوجته الفارسية.

٤- ابن قتيبة:

(توفي عام ٢٧٦هـ/٨٨٩م)، كتاب الشعر والشعراء، ص ٢٨٣-٩. يقدم تاريخاً أساسياً شاملاً عن حياته.

٥- المبرد:

(توفي عام ٢٨٥هـ/٨٩٨م)، الكامل في الادب، ص ٣٠١-٣٠٠. بعض المعلومات حول زواج الشاعر بزوجه الفارسية، واسماء اولاده من هذا الزواج، وكذلك معلومات أخرى عن علاقاته مع الحجاج.

٦- ابن دريد:

(توفي عام ٣٢١هـ/٩٣٣م)، كتاب الاشتقاق، ص ١٤١-١٤٢. يذكر اسم الشاعر ويتحدث عن ذريته في الإمامة.

٧- المسعودي:

(توفي عام ٣٤٦هـ/٩٥٥م)، مروج الذهب، الجزء الثاني، ص ١١٧. المؤلف الوحيد الذي تحدث عن تهديد الحجاج بأن يقتل "جريراً" وتدخل الوجهاء من قبيلته لصالحه.

٨- ابو الفرج

(توفي عام ٣٦٥هـ/٩٦٦م)، كتاب الاغانى، الجزء الثامن، الفصل الثالث، ص ٨٩-٣؛ الجزء التاسع عشر، الفصل الثاني، ص ٤٥. قدم تاريخاً أساسياً شاملاً عن حياته.

٩- الأمدي:

(توفي عام ٣٧١هـ/٩٨١م)، كتاب المؤلف والمختلف ، ص ٣٩،٥٦،٧١. ذكر فقط اسم شاعرنا مع بعض الاسماء الاخرى لشعراء يحملون نفس الاسم، ثم يتحدث عن نزاعه مع الشعراء: البغيث، نعيم ابن شريك.

١٠- المرزباني:

(توفي عام ٣٨٤هـ/٩٩٣م) ، معجم الشعراء ، الصفحات: ٢٢٩،٢٥٣،٢٦٣،٢٧٨،٢٨٠،٤٠٩،٤٧٧.

يشير الى خلافاه مع الشعراء: العباس ابن يزيد، عدي ابن الرقاع، عياش ابن الزبرقان، البردحت، مرار ابن منقذ، مطجور ابن غيلان، المستنير ابن عمر، الصلتان.

المرزباني:

الموشح في معاهد العلماء على الشعراء، ص ١١٨، ص ١٣٢. يذكر سلالاته واسماء بعض اولاده ويتحدث عن عداوته مع عمر ابن لجأ، ويذكر مختلف الاعمال النقدية حول شعره.

١١- ابن حزم:

(توفي عام ٤٥٦هـ/١٠٦٤م)، جمهرة انساب العرب، ص ٢١٤. يذكر المؤلف اسم الشاعر وسلالاته ويذكر اسماء بعض ابنائه.

١٢- ابن رشيق:

(توفي عام ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) ، كتاب العمدة . الصفحات: الجزء الاول ص ١٨٠، ٩١، ٧٩، ٧٨، ٧٧. الجزء الثاني، ص ٤٤، ص ١٢٢، ص ١٦٤. بعض المعلومات حول منهج عمل "جرير" وعن عاداته كما ان هناك دراسات نقدية حول نتاجه.

١٣- ياقوت:

(توفي عام ٦٢٦هـ / ١٢٢٦م) ، معجم البلدان ، الجزء الاول، ص ١٢١. يتحدث عن تجمع العطيفية في اليمامة، حيث يقيم "جرير".

ياقوت:

ارشاد الارب الى معرفة الاديب، الجزء السابع، ص ٢٦١. يذكر فقرة يتحدث فيها عن وفاة الشاعر

١٤- ابن خلكان:

(توفي عام ٦٨١هـ / ١٢٨٢م)، وفيات الاعيان ، الجزء الاول، ص ٢٨٦-٩١. تاريخ حياة الشاعر مستندا على ما اورده ابو الفرج (رقم ٨). ويضيف الى ذلك بعض الفقرات التي تتحدث عن وفاة الشاعر ذاكرة التاريخ والعمر الذي اورده ابن قتيبة (رقم ٤).

١٥- الذهبي:

(توفي عام ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) ، تاريخ الاسلام ، الجزء الرابع، ص ٩٥-٩٧. تاريخ حياة اختصارا لما اورده ابن سلام (رقم ٢) وابو الفرج (رقم ٨).

١٦- اليافعي:

(توفي عام ٧٦٨هـ/١٣٦٦م) ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ،
الجزء الاول، ص ٢٣٤-٢٣٨. تاريخ حياة نقل في معظمه عن ابي الفرج
(رقم ٨).

١٧- العباس:

(توفي عام ٩٦٣هـ/١٥٥٤) ، معاهد التنصيص على شواهد
التلخيص ، الجزء الاول، ص ٢٢٨-٢٣١. تاريخ حياة مختصر لما ذكره
ابو الفرج (رقم ٨). وهوان يذكر "ابن الجوزي" ، يصف فقرة عن
مكان، وعمر وتاريخ وفاة الشاعر.

١٨- ابن عماد العسكري:

(توفي عام ١٠٨٩هـ/١٦٥٨م) ، شذرات الذهب في اخبار من
ذهب ، الجزء الاول، ص ١٤٠-١٤١. يقدم تاريخ حياة للشاعر مستندا
على ما اورده اليافعي (رقم ١٦).

١٩- البغدادي (عبد القادر):

(توفي عام ١٠٩٣هـ/١٦٦٢م) ، خزاة الادب ، الجزء الاول، ص
٧٥-٨١. تاريخ حياة استند في معلوماته على ابن قتيبة (رقم ٤) ،
وابي الفرج (رقم ٨) و الامدي (رقم ٩) و ابن رشيق (رقم ١٢).
ويذكر تاريخ وفاة الشاعر وفقرة عن عمره.

مصدران فقط في تلك القائمة، يمكن اعتبارهما اساسيين، لانهما يقدمان معلومات اصيلة عن حياته. وهما المصدر (رقم ٤) (ابن قتيبة) والمصدر (رقم ٨) (ابو الفرج الاصفهاني)

١- حياة الشاعر في المصدر رقم ٤ :

ابو عبد الله ابن مسلم ابن قتيبة. مؤرخ ادب . ولد في الكوفة (عام ٢١٣هـ/٨٢٨م)، وتوفي في بغداد (عام ٢٧٦هـ/٨٨٩م). حوله انظر الانسيكلوبيديا الاسلامية، الجزء الرابع، ص٢٣٤، (مقالة بروكلمان Brookelmann) وكذلك انظر (بلاشير Blachere) في كتابه تاريخ الادب العربي ، الجزء الاول ، ص١٤٠-١٤١.

الشعر والشعراء، ص٢٨٣-٢٨٩، يقدم لنا سلالة "جرير" ، ويتحدث عن ولادته المبكرة ذاكرًا كنيته. كما ويقدم معلومات تتحدث عن اقامته المتكررة في اليمامة والبصرو، وعن علاقاته بالحجاج وعبد الملك. ولا يذكر المؤلف غالبا مصادره. ومع ذلك ، فالمصادر التالية تحمل المعلومات عن مزاجه، وبعض الاراء في شعره:

١- ابو عمرو ابن العلاء، توفي حوالي (١٥٤هـ/٧٧١م).

٢- الاصمعي ، توفي (٢١٥هـ/٨٣٠م).

٢- حياة الشاعر في المصدر رقم (٨):

ابو الفرج الاصفهاني، علي ابن الحسين ابن محمد ابن احمد القرشي. مؤلف كتاب الاغاني، ولد في اصفهان (عام ٢٨٩هـ/٨٩٨م) وتوفي عام (٣٥٦هـ/٩٦٧م) . حوله انظر الانسيكلوبيديا الاسلامية، الجزء الاول، ص٨٧-٨٨؛ وكذلك (بلاشير Blachere) ، تاريخ الادب العربي، الجزء الاول، ص١٣٣-١٣٨.

وهو يقدم معلومات كاملة عن سلالة الشاعر وعن أسرته وذاكره
العديد من أعضاء تلك الأسرة، وعن العلاقات بين "جرير" وذويه.

ويتحدث المؤلف كذلك عن علاقاته بالامويين وعن ظروف
لقاءاته الاولى مع يزيد ابن معاوية ن والحجاج وعبد الملك ابن مروان.
وكذلك عن زيارته الى الوليد وابنه عبد العزيز، والى سليمان ابن عبد
الملك وكذلك الى عمر ابن عبد العزيز.

ويشير الى اول الابيات التي نظمها ذاكره اسماء واحد وعشرين
من اعدائه، وواصفا ظروف نزاعاته معهم ويقدم لنا كذلك مختلف
الدراسات النقدية حول قيمة شعره والمكانة التي تضع فيها الشاعر.

ثم يذكر اخيرا بعض الفقرات حول تاريخ وفاة "جرير". وقد
استقى ابو الفرج المعلومات من المصادر التالية:

- ١- عمارة ابن عقيل حفيد "جرير"، توفي عام (٢٣٠هـ/٨٤٤م).
- ٢- ابو عمرو ابن العلاء، توفي حوالي (١٥٤هـ/٧٧٠م) (ذكرناه سابقا).
- ٣- عوانة ابن الحكم ، احد ناقلي شعر "جرير" من الكوفة وتوفي عام (١٥٨هـ/٧٧٥م) (انظر الفهرست ص٩١، الصفدي، ص٢٢٢ ، والشذرات ، الجزء الاول، ص ٢٤٣.
- ٤- بشار ابن برد ، توفي عام (١٦٧هـ/٧٨٤م) (انظر فيما سبق)
- ٥- ابو بكر الهذلي عبد الله ابن سلمى ، ناقل للشعر وقاريء للقرآن، توفي عام (١٦٧هـ/٧٨٤م). [انظر الجاحظ، البيان ، الجزء الاول، ص٣٢٤؛ والفهرست ص ٩٠].
- ٦- ابن دأب ابن عيسى ابن يزيد، احد ناقلي الشعر من البصرة. عاش في بغداد تحت حكم الهادي (١٦٩هـ-٧٠/٧٨٥-٧٨٦م).

[انظر الجاحظ، البيان، الجزء الاول، ص ٣٢٤؛ وكذلك
الفهرست، ص ٩٠].

٧- ابو اليقظان، سحيم ابن حفص، مختص في علم الانساب وناقل
للشعر، توفي عام (١٩٠هـ/٨٠٥م). [انظر الفهرست، ص ٩٤].

٨- ابو عبيدة معمر ابن المثنى، توفي حوالي (٢١١هـ/٨٢٥م) (انظر
فيما سبق اعلاه).

٩- مسحل ابن كسيب واخوه ايوب احفاد "جرير" ومعاصرين لابي
عبيدة (انظر فيما سبق اعلاه).

١٠- الاصمعي ، توفي عام (٢١٥هـ/٨٣٠م) انظر اعلاه.

١١- المدائني ابو الحسن علي ابن محمد ، صاحب دراسة أحادية
عن الشاعر ، ولد في البصرة عام (١٣٥هـ/٧٥٢م) وتوفي في
بغداد حوالي (٢٢٥هـ / ٨٤٠م). [انظر الانسيكلوبيديا
الاسلامية، الجزء الثالث، ص ٨٣؛ وبلاشير ص ١١٦ من الجزء
الاول من تاريخ الادب العربي].

١٢- العتبي محمد ابن عبد الله، احد مثقفي البصرة، توفي عام (٢٢٨هـ/٨٤٢م) [انظر الفهرست، ص ١٢١].

١٣- ابن سلام ، مؤلف طبقات الشعراء ، توفي عام (٢٣٢هـ/٨٤٦م) [
انظر الفهرست، ص ١١٣؛ والبغدادي طريح، الجزء الخامس، ص
٣٢٧؛ وبلاشير: تاريخ الادب العربي، الجزء الاول، ص ١٣٩-
١٤٠].

١٤- ابو البیداء الياحي، اسعد ابن اسامة ، معلم في البصرة (انظر
الفهرست، ص ٤٤).

١٥- العلاء ابن جرير الغنبري، غير مسمى.

١٦- عامر ابن شبل الحرمي، غير مسمى.

الفهرس

المحتويات الصفحة

أ الإهداء

ج مقدمة المترجمة

الجزء الأول

١ مقدمة المؤلف

١١ الفصل الأول: الإمامة قبيل ولادة جرير

١٩ الفصل الثاني: جرير

٣٥ الفصل الثالث: جرير وثورة الزبير

٤٩ الفصل الرابع: جرير والأمويين

٩١ الفصل الخامس: جرير ومنافسوه

١٣٢ الفصل السادس: الرجل وصفاته

١٤٧ الفصل السابع: وفاته

الجزء الثاني: جرير ونتاجه

١٦١ الفصل الأول: جرير ونتاجه

١٩٣ الفصل الثاني: شعر جرير، الإطار العام- النوع

٢٣٣ الفصل الثالث: فن جرير

٢٦٣ الفصل الرابع: جرير في النقد القديم والحديث

٣٠٥ قائمة بالأعمال المذكورة كمراجع

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



AL-RA'AID BOOKSHOP

City Center - King Hussein Str.
Tel. 4658883 - Telfax 4649883
P.O.Box 7177 Amman 11118 Jordan



مكتبة الرائد العلمية

وسط البلد - شارع الملك حسين - مقابل مجمع الفحيم
هاتف ٤٦٥٨٨٨٣ - تليفاكس ٤٦٤٩٨٨٣
ص.ب ٧١٧٧ عمان ١١١١٨ الأردن

E-mail: alraedbookshop@index.com.jo